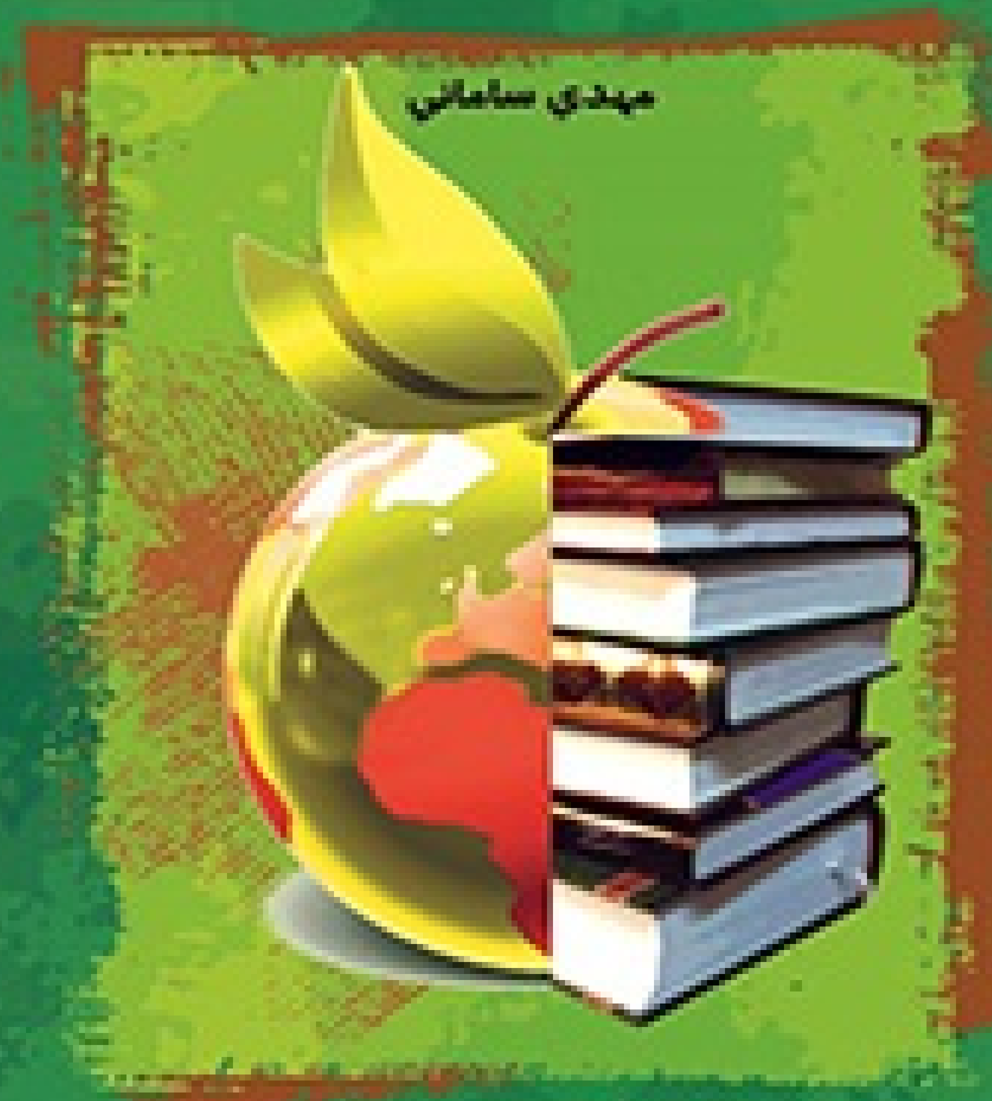
الدين وعملية العولمة



تعريب: عبدالكريم الجياني


بسم الله الرحمن الرحیم

الدين و عملیۀ العولمۀ

کاتب:

مهدی سامانی

نشرت فی الطباعۀ:

جامعۀ المصطفی (صلی الله علیه وآله) العالمیۀ

رقمی الناشر:

مرکز القائمیۀ باصفهان للتحریات الکمبیوتریۀ

الفهرس

الدين و عمليه العولمه

اشاره

سامانی، مهدی

الـدین و عملیه العولمه / تألیف: مهدی سامانی؛ تعریب: عبدالکریم الجنابی؛ [ل] جامعه المصـطفی صـلی الله علیه و آله العالمیه، معاونیه تحقیق. -- قم: جامعه المصطفی صلی الله علیه و آله العالمیه، معاونیه تحقیق، ۱۳۸۸ ش.

۲۹۶ ص. -- (جامعه المصطفی صلی الله علیه و آله العالمیه، معاونیه تحقیق؛ ۱۷۸)

ISBN: ۹۷۸-۹۶۴-۱۹۵-۰۹۸-۱ ۳۳۵۰۰ ریال عربی.

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیپا.

کتابنامه: ص. [۲۹۱]-۲۹۶ همچنین به صورت زیرنویس.

۱. جهانی شـدن -- جنبه های مذهبی. ۲. دنیوی گرایی. ۳. تجدد. الف. جامعه المصـطفی صلی الله علیه و آله العالمیه. معاونت پژوهش. ج. عنوان.

۹ د ۹ ج / ۱۳۱۸ ۱۷/۳۲۷ JZ

الدّین وعملیّه العولمه

تألیف: مسعود سامانی

تعریب: عبدالکریم الجنابی

الطّبعه اولی: ۱۴۳۰ ق / ۱۳۸۸ ش

النّاشر: دارالمصطفی صلی الله علیه و آله العالمیّه

الإخراج الفنی: السّید مهدی عمادی المجد

المطبعه: التّوحید السّعر: ۳۳۵۰۰ ریال عدد النسخ: ۲۰۰۰

التّوزیع:

قم، استداره الشهداء، شارع الحجتیه، مقابل مدرسه الحجتیه، محل بیع دارالمصطفی صلی الله علیه و آله العالمیه. هاتف - فکس: ۰۲۵۱۷۷۳۰۵۱۷

قم، شارع محمد الامین، تقاطع سالاریه، قرب جامعه العلوم، محل بیع دارالمصطفی صلی الله علیه و آله العالمیه. هاتف - فکس: ۰۲۵۱۲۱۳۳۱۰۶-۰۲۵۱۲۱۳۳۱۴۶

www.miup.ir , www.eshop.miup.ir

E-mail: admin@miup.ir, Root@miup.ir

ص :۱

الإهداء

إلی رَوح الجَنان إمام الإنس والجان

صائن الدّین والقرآن، الحقیقه العیان

الّذی ینتظر العالم فیض حضوره

ویترقّب نور ظهوره

أقدّم جهدی هذا...

هامت عیون الکون ترنو حنینا هاجت بنا الآمال تدعو: ولینا(۱)

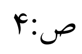
۱- (۱) ترجمه للنسّ الفارسیّ:به تماشای طلوع تو جهان چشم به راهبه امید قدمت جان و جهان چشم به راه «المعرّب».

الدّين وعمليّه العولمه

مسعود سامانى

تعريب: عبدالكريم الجنابى

ص:٣



کلمه الناشر

إنّ عملیه الشروع بأیّ بحثٍ و إنجازه، تعنی طیّ مرحلهٍ من النمو تبتدئ بنثر بذور السؤال، فی حق الذهن الوقّاد للباحث و تنتهی بإیناعها و من ثمّ قطف ثمارها. و إنّ هذه النهایه بالطبع، تبشّر بفصلٍ جدیدٍ من النمو؛ لأنّ ثمار السعی إضافه إلی الاخضرار، النضاره و البرکه، تتمخّض عن عدّه أسئلهٍ جدیدهٍ و تکتنز بذوراً قابله لنمو أوفر. فالأسئله بذور تنمو متساوقه و حاجات العصر و قدره الباحثین و تؤدّی إلی دوران عجله الثقافه و الحضاره خلفها.

إنّ ازدیاد سرعه التنقل و تضایق الفواصل المکانیه، غدت کالریح تعصف ببذور السؤال فی ذهن الباحث من مسافاتها الأبعد و تتحفنا بتنوّع و تجدّد علی طریق حضاره أرقی. و من المؤکّد أنّ الوعی و حسن الإداره سیکون لهما کما کان دور مرموق فی تسریع مثل هذه العملیه.

إنّ جامعه المصطفی صلی الله علیه و آله العالمیه تعتقد بأنّه من الواجب علیها القیام بدورٍ مؤثرٍ فی تهیئه الأجواء المناسبه للبحث و التحقیق نظراً إلی رسالتها العالمیه و مکانتها الممیّزه فی الحوزات العلمیه و کذا لتنوّع الطاقات الإنسانیه الّتی تزخربها. و یعدّ إعداد البنی التحتیه اللازمه، الإداره الأمثل لما تمتّع به من

القابلیات و الاهتمام بشؤون الباحثین فی المجال الدینی من أهمّ الوظائف الملقاه علی عاتق قسم البحوث فیها.

یحـدونا الأملو من خلال تنظیم النشاطات العلمیه الـذاتیه و تنمیه البواعث الحاضـره فی تفتّیح أزهار الثقافه الـدینیه أکثر فأکثر فی مختلف أصقاع العالم.

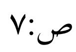
دارالمصطفی صلی الله علیه و آله العالمیه

قسم البحوث

صیف ۲۰۰۸

ص:۶

الفهرس



ص:۹

ص:۱۱

أوّل المقال

«إنّ العالم فى حال توحّد وتصاغر. وإنّ القريه العالميّه الّتى تكهّن بها ماك لوهان فى طريقها للتّحقّق».

ورنر شاب

«نحن نحيا فى صميم ثوره عالميّه (ثوره المعلومات) إنّ كوكبنا الأرضى يتعرّض لضغوط ثنائيّه متزايده ومتضادّه: العولمه من جهه والتفتّت والتشتّت من جهه أخرى».

الأمين العام السّابق للأمم المتّحده بطرس غالى

«إنّ الوحده العالميّه هى آخر ما أمِلته وتلهّفت إليه البشريه، فلطالما سعت لتأسيس حكومه عالميّه».

دستويفسكى

ص:١٣

توطئه

اشاره

العولمه: تيّار جارف يسوق البشريّه من عالم محدود، ثابت وشفّاف، نحو عالم متجدّد، محيّر، متمرّد، مبهم ومجهول. عالم وسيع وبلا حدود، عالم المتضادّات والتعقيدات، عالم التشتّت الاندماجيّ والتكثّر الاتّحاديّ والتّصاغر الاتّساعيّ، هذا العالم ذو التّحوّلات السّريعه والمؤثّره جعلت الإنسان – وهو يعيش فى خضمّ أزمات تحيط به فكريّاً و ثقافيّاً و اجتماعيّاً واقتصاديّاً وسياسياً – أن يقف وجهاً لوجه أمام مسائل مشتركه ومتعدّده تُملى عليه التّخطيط لقضاياه المحلّيّه برؤيه عالميّه شامله.

و كما يرى روبتسون: «إنّ التّبلور الشّامل للقيم والمعرفه العالميّه يرتكز على أساس القيم المعنويّه والازدياد المضطرّد لحركات و منظمات العالم الشّموليّ، هذه الظروف، لعبت دوراً أساسيّاً فى تبلور المسأله العالميّه. ومن ثمّ أقحمت الإنسان فى ظروف جديده، غطّت فيه على هويّته وحاجاته وحياته الاجتماعيّه والشّخصيه و لوّنتها بصبغه عالميّه». إنّ هذه التّحولات البنيويّه والشّامله تدعنا نتساءل، إلى ما ستؤول إليه مكانه الدّين ومستقبله فى هذا العصر، عصر العولمه؟

ص:۱۵

عـالم اليوم، عـالم حـدا بآل دوس هكسـلى أن يصوّره بهـذا التّصوير اليائس: «عالم وُضـعت فيه الثّقافات والقيم الإنسانيّه فى درج النسيان، وفقد فيه الإنسان إرادته ومشاعره، وقصر همّته على الرّخاء والتّطوّر واللّهو والتّسلّى بما أبدعه من صناعات وتقنيات».

فـالعولمه بـدل أن تقترح وتعرض بـديلاً لتركيبه البنى الاجتمـاعيّه والثّقـافيّه، أوجـدت تحوّلات و اختلالات فى عمق تلك البنى، تحوّلات فى قـدره الحكومات والـدّول، فى ظرفيه وطبيعه الفكر البشـرىّ، وتمخضّت عن اضـطراب فى الأسـس الاجتماعيّه وفى التّوافـق والتّضـامن القومىّ، غزو الإعلام وتـدفّق المعلومـات، اختلال النّظـام الـتّربوىّ والتّعليمىّ، تغيّر مفهوم الأمن الاجتمـاعىّ، انتقاض أسس العداله الاجتماعيّه والديمقراطيّه، إضعاف الذّات، تمزّق الثّقافات، تشتّت المؤسّسات الشّعبيّه و الحزبيّه، حرّيّه تبادل السّلع والخدمات على النّطاق العالمىّ؛ كلّ ذلك يعدّ من الإفرازات الأساسيّه للعولمه.

ويمكن تلخيص أهمّ مسائل ومعطيات هذا البحث بما يلى:

فى مجال مسـتقبل الـدّين فى عصـر العولمه يمكن التّـذكير بما اسـتدلّ به الفيلسوف الألمانىّ الشّـهير بول تيليـخ، فهو يـذكّر بأنّه: «لايمكن على الإطلاق إزاحه الدّين عن واقع الحياه» ويستدل على ذلك بقوله: «إنّ الأمر الدنيوىّ ليس بإمكانه – لا ذاتاً وواقعاً – الاسـتمرار والـدّوام بصوره مسـتقلّه وعلى انفراد، فالأمر الـدّنيوىّ لا يسـتطيع البقاء والاسـتمرار اعتماداً على النّزعه الـدّنيويّه فقط». وعلى هـذا؛ فهو يتكهّن بانسـياق الإنسان نحو عمق الأصاله الـدّينيّه فى نهايه المطاف. وها نحن مـذهولون بهذا الانبعاث والتّجدّد الـدّينىّ فى أتون هـذا الرّقى الحضـارى، هـذه الصّحوه الـدّينيّه تعكس فى الحقيقه نزوع النّوع الإنسانىّ نحو العـداله، التّمرّد على معطيات العولمه، الانفلات من قيود المادّيّه، القلق من الأزمات الّتى تكتنف العالم... الـخ، كلّ ذلك ساهم من الوجهه العقليّه فى ردّ الاعتبار للدّين واكتسابه حيثيّه جديده.

ص:١٦

إنّ فكره عولمه الحضاره الغربيّه تتضمّن تناقضاً ماهويّاً؛ ففيما لو أدّت عولمه الحضاره الغربيه إلى سحق واكتساح الثّقافات والعقائد الأخرى، فإنّ ذلك سيؤدّى إلى سلب أىّ دور للبشريّه وثقافاتها المتنوّعه فى عالم المستقبل، فإذا كانت العصرنه ذات اتّجاه مستقبلى؛ وذلك بتسخير المستقبل لتنفيذ أهدافها وغاياتها، فستقع عندئذ فى تناقض فاضح مع حقيقه العولمه الّتى هى بحسب الفرض عالميّه وتستبطن التّبعيّه المتبادله فيما بين الثّقافات، وفى تضادّ مع الهيمنه والتّسلّط.

إنّ تناقضات تيّار العولمه والتّعولم كثيره جدّاً؛ فأزمه الحكم الوطنىّ، الحاكميّه الوطنيّه والغرب، أزمه الأمن العالمىّ، الأزمات السّياسيّه والاقتصاديّه و البيئويّه، أزمه الهويّه والمعنويّه، أزمه الأسره والنظام التّعليمىّ والثّقافىّ والاجتماعىّ تعدّ بعضاً من مظاهرها.

فالتّطوّر العلمىّ والتّقنىّ اليوم لا يقتصر على الغرب وحده، فكلّ الثّقافات تتفاعل وتشترك فى التّأثير لبلوره المستقبل العالمىّ، ولها دور مهمّ فى ذلك. فالعولمه ذاتها تدّعى بأنّ انتشار وسائل الاتّصال والإعلام سيؤدّى إلى وفاق ثقافىّ وتبلور (ثقافه عالميّه) عبّر عنها مارشال ماك لوهان بعباره (القريه العالميّه – Global Village). إنّ فكره الثّقافه العالميّه لا يمكن تحقيقها إلّا من خلال صفه العالم التّقنّى؛ لكونها وليده للعلم والتّقنيه. ولكنّ هذا لا يعنى بأنّ هذه العمليّه تبتغى صهر وتذويب الفروقات الثّقافيّه، وخلق وإبداع ثقافه موحّده وشامله.

١. إيضاح المسأله

إنّ موضوع هذا الكتاب (الدّين وعمليّه العولمه)، فالعولمه أضحت من المسائل المهمّه فكريّاً وثقافياً لعالم اليوم، وتتضمّن أبعاداً متنوّعه ثقافيّه

واقتصاديّه واجتماعيّه وسياسيّه. هذه الظاهره الجديده حدت بالكثير من المفكّرين إلى التّأمّل والبحث فى جوانبها المتعدّده؛ بحيث حاول كل منظّر منهم عرضها فى صيغه نظريّه علميّه وذلك باستخدام كافّه الاستدلالات والأساليب الممكنه.

فما هى العولمه؟ وكيف يمكن التّعرّف على مفهومها، حقيقتها، مميّزاتها ونتائجها بشكل صحيح باعتبارها ظاهره معاصره؟

فإلى الآن لم تتّضح أبعاد وحقيقه هذا التيّار الجارف، مع ما طُرح واتّخذ من أساليب ومطالعات متعدّده فى هذا المجال. فبعض الباحثين بحث المسأله من خلال بعدها الاجتماعىّ، وحاول دراسه تأثيرها على الأسس والرّوابط الاجتماعيّه. والبعض الآخر طالعها من خلال الزّاويه السّياسيّه، وحاول اكتشاف تأثيرها على البنى السياسيّه، شؤون السّلطه، علاقه الحكومه بالشّعب أو علاقات الدول ببعضها البعض وتأثير ذلك على الهويّه الوطنيّه والقوميّه. ونظر جمع آخر من المحقّقين إليها من خلال علوم الاتّصال والتّقنيه المعلوماتيّه والتّأثير الّذى أحدثته من خلال سرعه وسهوله تداول المعلومات على الصّعيد العالمىّ.

بعض المفكّرين الآخرين أمثال غينز وروبتسون؛ ركّز بحثه على المظاهر الجديده والأبعاد الأكثر غموضاً للعولمه، وحلّلها بناءً على مبدئى الثّقافه والمذهب.

إنّ أغلب المفكّرين اليوم يخوضون فى نطاق مفاهيم ثنائيه الجانب، أمثال: (المحلّيه والعالميّه)، (الحداثه وما بعد الحداثه)، ويقترحون أحد جانبى هذه المعادله حلاًّ لمشاكل العالم وقضاياه الماديّه؛ فبينما يرى العولميّون أنّ العولمه تعدّ الحلّ المناسب لمشاكل عدم التّنميه، التّخلّف، الانزواء المحلّىّ. يقف المحلّيّون على خلاف ذلك ويرون بأنّ المشكله هى العولمه ذاتها وأنّ حلّها يكمن فى المحلّيّه.

ص:١٨

إنّ التجاذب الحاصل بين البقاء محلّيّاً والتّعولم، التّقليديّه والتّجديد، الحداثه وما بعد الحداثه؛ عمليّه معقّده لها نتائج خاصّه، عمليّه تعدّ التجزئه وعدم التّشخّص وعدم الحتمِيّه والتّبدّل المستمر والفائق من مكوّناتها الأساسيّه. إنّ التّقدّم والتّجدّد المذهل والتّطوّر التّقنى تسبّب فى بروز ظواهر جديده ومفاهيم حديثه؛ ثقافيّه واجتماعيّه وسياسيّه واقتصاديّه. وقد تقارنت هذه الظّاهره مع التّطوّر العلميّ وثوره الاتّصالات وتقنيه المعلومات، ممّا أدّى إلى اتّساع نطاقها بسرعه فائقه.

وعلى رغم الجدل والبحث الوسيع الدائر فى مسأله العولمه، لم يحصل حتى الآن اتّفاق فى الآراء حول حقيقتها وأبعادها وآثارها. ولازال هناك طيف وسيع من المعترضين يسعون لإنكار وجودها الواقعيّ والموضوعيّ ممّا يرسّخ الخلاف فيما بينهم وبين أنصارها. فيا ترى أين تكمن عقده هذا الجدال والتّجاذب؟ فهل المسأله متعلّقه بعدم وجود عولمه أساساً، أم أنّها عمليّه من غير الممكن بيانها وتحليلها فى إطار المقولات والنّظم الفكريّه السّائده. أم أنّها بسبب حقيقتها المتلوّنه وتأثيرها الجذريّ؛ تكتسب باستمرار أبعاداً جديده، ولذا لا يمكن وضع تعريف محدّد لها؟

ونظراً لتعدّد البحوث وعدم انسجام الأدلّه المطروحه فى هذا المجال، ينبغى ابتداءً توضيح النّقاط الأساسيّه والمختلَف حولها، كى نصل إلى النّتيجه المطلوبه ويتّضح مدى تطابق الاتّجاهات المطروحه حول العولمه مع نظريّه (هيمنه وانتشار الرأسماليّه) أو (عولمه الرأسماليّه) أو (عولمه العصرنه) أو (القريه العالميّه) لماك لوهان، أو نظام (التبعيّه المتبادله) لوالترشتاين؟

ويبرز هذا التّجاذب بشكل واضح فى المناظرات السّائده فى أنّ العولمه، هل هى عمليه اقتصاديّه أم مشروع سياسيّ؟ وهل هى أساساً تعدّ تطوّراً علميّاً وتقنيّاً وبعباره أخرى؛ رؤىً جديده بوسائل جديده لإداره العالم أم أنّها مجرّد عمليّه ليس إلّا؟

ص:١٩

وعلى أيّه حال، ينبغى النّظر فى مدى انسجام العولمه بمعناها الواقعىّ مع النّظريّات المطروحه والّتى يمكن إثباتها فى هذا المجال. فهل أنّ الرأسماليّه الليبراليّه الغربيّه أو العصرنه الغربيّه تتناغم وتتّسق معها، أم أنّها تنسجم وتتوافق مع الأسس الفكريّه و الفلسفيّه للأديان الإلهيّه؟ وأيّه رؤيه من هاتين الرؤيتين تستحق أن تكون باعثاً ومبرّراً للعولمه؟ إنّ هذا التّحديد يعدّ من المسائل المهمّه المتعلّقه بالعولمه.

٢. أهميّه البحث وضرورته

مع بدء الألفيّه الجديده، حقّقت البشريّه تطوّراً نوعيّاً سبّب تغيّراً ملحوظاً فى مظاهر العالم المعاصر والرّوابط والعلاقات الدّوليّه. حتى أصبح ذلك مدار حديث السّياسيّين، الاقتصاديّين، الفلاسفه وعلماء الاجتماع على اختلاف اتّجاهاتهم ومشاربهم. ولا يتطرّق أدنى شكّ بأنّ البشريّه أخذت تتّجه وبسرعه فائقه نحو الاقتصاد والسّياسه والثّقافه العالميه الواحده، ولكن مع ذلك كلّه لا توجد نظره مشتركه فى مجال مفهوم (العولمه) وعلاقتها بأسبابها والنّتائج والآثار الّتى أفرزتها.

إنّ للعولمه كظاهره مهمّه وحديثه أبعاداً متنوّعه؛ ثقافيّه واجتماعيّه واقتصاديّه و سياسيّه ألقت بظلالها على جميع البنى الثّقافيّه والاجتماعيّه، وأقحمت أديان وثقافات جميع الأمم والشّعوب فى أزمه حقيقيّه لا يمكن اجتنابها وتلافيها. وإذا ما أردنا مواجهه هذه الظّاهره العالميّه الشّامله ينبغى أن تكون لدينا معرفه واقعيّه بحقيقتها وأسسها ومقتضياتها. ونظراً لتأثيرها الّذى لايمكن إنكاره على مكانه الثقافات والأديان؛ غدت من أهمّ القضايا الدّينيّه والاجتماعيه والثّقافيّه للعالم الإسلامى، وبناءً على المعرفه والتّفسير الّذى نمتلكه لهذه العمليه ستكون دراستنا وتحليلنا لها مختلفاً إلى حدّ كبير.

۳. مفاهیم أساسیّه

مفهوم العولمه

إنّ العولمه (Globaliziation) تأتی بمعنی الصّیروره العالمیّه، صنع العالمیّه، الاتّجاه العالمیّ والعالم الشّمولیّ؛ ویتعلّق جذرها – بشکل عامّ – بلفظه (Global) الّتی تُستعمل فی المعانی التّالیه:

۱. الشّیء المستدیر مثل الکره والشکل الکرویّ.

۲. کلّ شیء عامّ و کلّیّ وذو شمولیّه عالمیّه فتفید معنی (Tatal).

۳. جمیع المقولات العامّه الّتی تشمل الکره الأرضیّه.

وفی هذا الخصوص یطرح السّؤال التّالی نفسه؛ وهو هل أنّ التّعولم والعولمه لهما نفس المعنی أم لا؟

إنّ أغلب المفکّرین الّذین قاموا باستقصاء البحث فی مجال العولمه والتّعولم یعتقدون بعدم الفارق فیما بین الاصطلاحین، ولا ینفرد أیّ منهما بمصداق أو مفهوم مستقلّ عن الآخر، بل إنّهما یتوافقان مفهوماً ومصداقاً ولا یوجد أیّ تمایز بینهما. ویبدو أنّ هناک خلطاً واشتباهً أساسیاً فی هذا الموضوع؛ وهو أنّ بعض التراجم لم تعرض بصوره صحیحه المعنی الدقیق لهذین المصطلحین، وعلی أساس ذلک لا یمکن أن یکونا ذا مفهوم واحد، کما أنّهما یتمایزان ویختلفان فی المصداق أیضاً.

وهنا لابدّ من القول، بأنّنا نلاحظ وجود ظاهرتین وعملیّتین مختلفتین تتضمّنان حقیقتین مختلفتین. فمن الناحیه المنطقیّه و المعرفیّه یمکن إطلاق مصطلح (التعولم) علی إحدی العملیّتین والّتی یمکن التعبیر عنها بالحاله الذّاتیه للتّحوّل العالمیّ، أمّا الظّاهره الأخری وهی العولمه فینبغی اعتبارها مشروعاً مفروضاً من الخارج.(۱)

ص:۲۱

۱- (۱) إنّ التّعولم علی وزن تفوعل یفید التّغیّر والتحوّل الذّاتیّ دون إعمال إراده خارجیّه أمّا العولمه فهی علی وزن فوعله وتفید التّغیّر والتّبدّل من خلال إعمال إراده خارجیّه. «المعرّب».

إنّ التّعولم بالمعنى الحالى دخل قاموس الأدب السّياسىّ، الاقتصادىّ والثّقافىّ فى النصف الثّانى للقرن العشرين وذلك فى حدود عام ۱۹۸۰ فصاعداً. إنّ لفظه (Globalizition) الّتى هى بالمعنى العامّ؛ الأمر ذو الاستيعاب والشّمول العالمىّ، وكذا بمعنى التكامل والاندماج الّذى يعتمد أحد النّماذج السّائده عالميّاً.

إنّ هذه التّعاريف على رغم تفاوتها المفهومى والاستعمالىّ، لا يمكن أن تؤدّى المعنى الدّقيق للوضع الجديد والّذى عبّرنا عنه بالتّعولم. وكما تقدّمت الإشاره؛ ينبغى التّفريق من ناحيه المفهوم بين عمليه التّعولم وصيغه العولمه. عامّه المنظّرين يرون اتّحاد مفهومى التّعولم والعولمه، ولهذا فقد خلطوا بين مميّزات ونتائج كلّ منهما. وينبغى الالتفات إلى هذه النّقطه؛ وهى أنّ التّعولم وكون العالم شموليّاً أمر تعدّ العالميّه من مقتضياته الطّبيعيّه والذّاتيّه وهو يختلف عن الأمر الّذى لا يقتضى ذلك ذاتيّاً. وفى عقيدتنا أنّ (التعولم) هو المعنى اللازم للفظه (Globalizition) ، أمّا العولمه الّتى هى بمعنى فرض العالميّه وبسط نفوذ أنموذج معيّن على جميع المجتمعات هى المعنى المتعدّى لهذا المصدر.

ونظراً للاختلاف المفهومى بين هذين المصطلحين باللحاظ العملىّ والتّطبيقىّ يمكن القول؛ إنّ التّعولم هو الحاله الطّبيعيّه للنّمو والتّنميه العلميّه والتّقنيّه على مستوى العالم. أمّا العولمه فهى بمعنى استيلاء وفرض أنموذج وطراز خاص يكون مدعوماً سياسيّاً واقتصاديّاً وثقافيّاً للسيطره على غيره من الثّقافات والأمم وتذويبها فى بوتقته. وعلى هذا الأساس، فإنّ محاوله بعض المفكّرين تصوير المفردتين تصويراً واحداً مشتركاً يعدّ محاوله فاشله وغير موفّقه وناشئه من عدم التّمييز بين هذين الوجهين للتّحوّل إلى العالميه.

ولتحليل وبيان مسأله التّعولم يلزم الالتفات إلى عدّه قضايا أساسيّه:

۱. إنّ بعض الإبهامات والمغالطات الّتی ظهرت فی خصوص التّعولم کانت ناشئه من عدم الاطّلاع علی الجوانب والأبعاد المختلفه له.

۲. إنّ بعض الباحثین یحاول تصویر التّعولم علی أنّه وسیله لسیطره النّظام الرأسمالیّ اللیبرالیّ أو أنّه غربنه للعالم، وینفون البُعد العلمیّ والمنطقیّ له، ویتناسون کلّ أسسه ومقتضیاته. فی حال أنّ العولمه هی المشروع الّذی یُراد منه بسط السّیطره الغربیّه و تحقیق النّظام العالمیّ الجدید. فالتّعولم هو عملیّه تقوم علی أسس تاریخیّه وثقافیّه وفلسفیّه ولها مقتضیات مختلفه.

۳. إنّ بعض الاشتباهات والتّحلیلات الخاطئه فی موضوع التّعولم نشأت من عسر وصعوبه التّفریق بین هاتین الظّاهرتین (التّعولم والعولمه)؛ لتقارنهما الزّمانی واشتراکهما فی بعض الوجوه، کالشّمولیّه، أو الاستفاده من أسباب التّطوّر العالمیّ، أو من خلال تعرّضها للإنکار أثناء البحث والنّقاش فیما بین المعارضین والمؤیّدین.

المقصود من (التّعولم)

(۱)

بناءً علی الافتراضات والمقدّمات الآنفه وکما ذکرنا سابقاً ینبغی التّفریق فیما بین (التّعولم) و (العولمه) سواءً فی نطاق العلم المعرفیّ أو فی إطار التّطبیق والتّحقّق الخارجیّ: فمع أنّ کثیر من المفکّرین لم یکونوا بمنأی عن الوقوع فی مغالطات واشتباهات فی الخلط بین کلتا المقولتین، ولکنّ الموضوع یستدعی التّمییز بینهما، وقراءه وتحلیل مستلزمات کلّ منهما علی حده. وعلی هذا فلابدّ من الالتفات إلی أنّ «التّعولم» هو موضوع علمیّ وفکریّ ویتضمّن تحوّلاً ـ وتغیّراً بنیویّاً وأساسیّاً فی جمیع البنی الثّقافیّه والاجتماعیّه والاقتصادیّه

۱- (۱) ونحن بدورنا سنستعمل مصطلح العولمه ویفهم المراد منه من خلال السّیاق إلّا فی المواضع الّتی یراد فیها التّمییز بین المصطلحین؛ وذلک لشیوع استعماله، کما أنّه لا تشاحّ فی الاصطلاح، (المعرّب).

الّتی تخصّ البشـریه جمعاء، والّـذی یعـدّ عملیّه طبیعیّه للنّمو العلمیّ والتّقنیّ الحاصل. فی حال أنّ (العولمه) تعدّ منهجاً وموضوعاً خُطط له مسبقاً، ونموذجاً مفروضاً لأجل السّیطره الاقتصادیّه والسّیاسیّه والثّقافیّه علی العالم، والّذی یرتکز فی الأساس علی مبادئ النّظام اللیبرالیّ والرأسمالیّ الغربیّ، بهدف استغلال المجتمعات الأخری وبأسلوب حدیث. إنّ هذا النّوع من العولمه أو بتعبیر أدق العـولمه الغربیّه والّـذی یصـطلح علیه بغربنه العـالم (Westernize) لا ـیمکن القبـول به، فضـلًا عن عـدم إمکـان تحقیقه. أمّا الصّوره الأولی للعولمه أو العولمه العلمیّه، فهی لیست عملیّه علمیّه مطلوبه فقـط، وإنّما من الممکن تحقیقها، إضافهً إلی احتوائها علی فوائـد إیجـابیه وعالمیّه، وهی تماثل الثوره العلمیّه فی الغرب والّتی کان لها أثر کبیر فی العصـرنه الغربیّه والإقرار بقیمه العلم ومکانه البحث والتّحقیق والاکتشافات العلمیّه والنّمو والتّحوّل العلمیّ.

و إذا أخـذنا العولمه بمعنی کونها عملیّه وجدت جرّاء النمو العلمیّ والتّقنیّ، فهی فی ذلک تقوم علی الأسـس العقلیّه والتّطوّرات العلمیّه والتّقنیّه، فلذا ینبغی عدم رفضـها أو الفرار والانزواء تّجاه مقتضیاتها. إنّ التّعولم بهذا المعنی یعنی انکشاف الحدود الزّمانیّه والمکـانیّه، وإمکـانیّه التّـداول السّـریع للمعلومـات الوفیره والواسـعه، واسـتعمال وسائل الإعلام العالمیّه، وکسب جموع کثیره من المخاطَبین، وتیسـیر الرّوابط والعلاقات فیما بین الثّقافات ومختلف أبناء البشـریه بطرق مباشره و غیر مباشره، والتبادل السهل للسلع الثقـافیّه والفنیّه والاقتصـادیّه والعلمیّه والمعلومـاتیّه علی المسـتویین الزمـانیّ والمکـانیّ. إنّ التّعولم یعنی فیمـا یعنی الوقوف وجهاً لوجه أمام تراکم المعلومات، الهمّ الإنسانیّ المشترک، الحاجات البشریّه المختلفه ومقتضیات الحیاه البشریّه الجدیده.

ص:۲۴

إنّ من الأهمّيّه بمكان أنّه من خلال (عمليّه العولمه) سيتّضح لنا جليّاً المراد والمقصود من الدّين، فإنّ المقصود من الدّين فى هذا البحث ليس هو بمعنى عولمه الدّين أو صيروره العولمه ديناً، أو خضوع العالم للدّين (دينونه العالم)، بل إنّ هناك تفاوتاً أساسيّاً وجدّيّاً بين أيٍّ من هذه العمليات، فإنّ حقيقه ونطاق كلٍّ منها يختلف تماماً عن الأخريات.

إنّ العولمه الّتى هى فى حال التبلور لا تقتصر على عولمه الاقتصاد والسّياسه والثّقافه، وإنّما هى عمليّه معقّده لها أبعاد علميّه وثقافيّه واقتصاديّه وسياسيّه واجتماعيّه وتقنيّه متعدّده. فليس المقصود من عولمه الدّين هنا هو انتشار واستيلاء دين ما على غيره من الأديان والثّقافات، بحيث يكون ملهماً فى كافه مجالات الحياه البشريّه، أو تغلغل الدّين فى الحياه الفرديّه والاجتماعيّه على النّطاق العالميّ. مع كون هذه المسأله قد أكّدها الإسلام وتعلّق بها الوعد الإلهى الحتميّ فى تحقّق العولمه للدّين الإسلاميّ، ومع أنّ هذا النوع من العولمه ينسجم وما تصبوا إليه المجتمعات الدّينيّه وكثير من المتألّهين، ولكنّها تختلف والعمليّه الفعليّه للعولمه.

ونحن فى هذا البحث لسنا بصدد بيان هذا النوع من عولمه الدّين، ولكنّنا نخوض عمليّه تتبلور خارج نطاق الدّين ودون تدخّله وتؤدّى تبعاتها إلى توتّر وتأزّم الحياه الدّينيّه وتضيّق الخناق على بعض مجالاتها، وتمحو مظاهر الدّين عن سيماء المتديّنين، أو أنّها ربما تهيّء فى بعض الموارد فرصاً لنمو الدّين وانتشاره. والسّؤال الأساسيّ الّذى يطرح نفسه هنا، هو المكانه الّتى سيؤول إليها الدّين فى عصر العولمه. فهل يستطيع الدّين لعب دور أساسيّ ومؤثّر، أم أنّ العولمه عمليّه علمانيّه محضه لا تتّفق والدّين؟ أم أنّها بذاتها وطبيعتها لا تحمل أىّ بلاغ قيميّ وأيديولوجيّ، وما هى إلّا وعاءً بإمكانه استيعاب أيّه ثقافه كانت؟

۴. أسئله البحث

إنّ هذا البحث وبناءً على الموضوع الّذى يطرقه يتعهّد بالإجابه عن الأسئله التّاليه:

۱. ماهى العولمه؟

۲. ماهى مميّزاتها؟

۳. ماهى أبعادها؟

۴. ماهى أسسها الفكريّه والفلسفيّه؟

۵. هل التّعولم عمليّه طبيعيّه وموضوعيّه أم إنّه مشروع وأطروحه؟ وبماذا يختلف عن العولمه؟

۶. ماهى آثارها فى دائره الثّقافه والدّين، وما هى التّغييرات الّتى ستُحدثها فى البيئه الدّينيّه؟

۷. كيف ستكون مكانه الدّين وبخاصه الإسلام فى عصر العولمه؟

نظراً لحتميه هـذه العمليه وتأثيرهـا على الـدّين نظريّاً وعمليّاً، لـذا ينبغى التّفكير فى كيفيه تلافى آثارها السـلبيّه ونتائجها الخطيره والحؤول دون وقوعها؟

وللإجـابه عن الأسـئله الآنفه وطرح أىّ حلول فى هـذا المجـال فنحن بحـاجه إلى بيـان واقعىّ وموضوعىّ للعولمه والالتفات إلى دورهـا فى تقرير مصـير الحيـاه البشـريّه، ومع وجود مفكّرين كثيرين حـاولوا بـآرائهم وتوجّهاتهم المختلفه؛ التنظير لهـذه الظاهره بطريقه واضـحه، ولكنّهم عجزوا عن التوصّل إلى تفسير واقعىّ وعلمىّ لها. ونحن فى هذا البحث سنسعى وبأسلوب جديد ونقدى للافتراضـات المطروحه أن لا نقتصـر على التّعامل مع العولمه بـذاتها، وإنّما نحاول اكتشاف أسسـها وجـذورها العلميّه والفلسـفيّه ومراعاه مبادئها ومعطياتها.

ويبـدو أنّ معظم المفكّرين يعتبرون العولمه معلولاً وظاهره جديـده مفروضه ومشؤومه، وقـد دعى ذلك المعارضون والمؤيّـدون على السواء،

دعـاهم إلى عـدم إظهـار كونهـا موضوعاً منطقيّاً ومعقولاً. ولأجل ذلك سـيكون سؤالنا المحورى فى هـذه الصـفحات، هو كيفيه إدراك وفهم حقيقه العولمه، آخذين بنظر الاعتبار معطياتها وأسسها الفكريّه والفلسفيّه والعلميّه، والتّدليل علي أنّ كلّ واحده من الفرضـيّات المطروحه قـد نظرت إلى العولمه من زاويه خـاصّه ولـم تسـتطع أن ترسم نموذجاً حقيقيّاً ومسـتقلاًّ لها. ومن هنا ينبغى النظر فى ما يمكن إثباته وتحقّقه من تلك الفرضيّات، لنعكف حينها على بيان العلاقه بينها وبين الدّين وخصوصاً الإسلام.

إنّ هـذا الأسـلوب الجديد من الممكن أن يعطينا رؤيه جامعه ومعرفه أدقّ بهذا الموضوع الواسع والمتشـعّب، نسـتطيع من خلالها وبتعامل معقول مع هذه الظّاهره؛ اتّخاذ طريقه منطقيّه ومحدّده والاسـتفاده من هذه الفرصه باعتبارها أرضيّه فكريّه لعرض الإسلام عالميّاً.

۵. فرضيه التحقيق و البحث

نظراً لكون العولمه عمليّه حتميّه ولا يمكن تلافيها، فهل ينبغى أن نعتبرها عمليّه طبيعيّه لاسـتمرار العصـرنه، أم أنّها مشروع سياسىّ واقتصادىّ تصبّ فى اتّجاه غربنه العالم؟ وبناءً على هـذا الافتراض لابـدّ من اسـتكشاف مـدى تأثير مثل هذه العمليّه على الثّقافات والأديان فى البُعـدين النّظرىّ والعملىّ. فهل يمكن الوقوف بوجه إفرازاتها السـلبيّه؟ وهل يمكن اسـتخدامها كوسـيله لنشـر الـدّين ونفوذه على مسـتوى العـالم؟ و لأجـل ركوب موجه مثـل هكـذا وسـيله، مـاهى المقترحـات والأفكار الّتى يمكن طرحها؟ ما هى افتراضات الخصوم فى هذا المجال، وأىٍّ منها يمكن تحقيقها وباسـتطاعتنا بيانه؟ وفى هذا السياق يمكن ذكر النّظريّات المطروحه فى هذا المجال، كنظريّه (عولمه العصرنه)، (عولمه الرأسماليه)، نظريّه العبور من العصرنه (تجاوز العصرنه) والّتى تُشبّه

العولمه بمرحله ما بعد الحداثه، نظريّه (الأنظمه العالميّه) لوالرشتاين، العالِم الاجتماعيّ المعاصر، نظريّه (نهايه التّاريخ) لفوكوياما والّتى يبشّر فيها بتفوّق الحضاره الغربيّه، نظريّه (صراع الحضارات و الثّقافات) الّتى طرحها المنظّر الأمريكيّ هنتيغتون، ونظريّه (حوار الحضارات) الّتى جاءت كردّ فعل على النّظريّه السّابقه، ونظريّه (عالميّه العلم والتقنيه) الّتى تعدّ من أهم تلك النّظريّات، والّتى نحن بصدد إثباتها وترسيخها.

إنّ العولمه قبل أن تكون موضوعاً استعماريّاً أو عمليّه لنمو وانتشار الرأسماليّه، أو عولمه للعصرنه، أو دخولاً فى مرحله ما بعد الحداثه، أو أيديولوجيّه لنهايه التّاريخ، فقبل أن تكون كذلك، كانت نتيجةً للتّطوّر المذهل للفكر البشرىّ وسرعه تنامى الاتّصالات وتبادل المعلومات ورفع الحصار المالىّ والمادّىّ بواسطه مكاسب التقنيه البشريّه، والّتى يمكن لأىّ من الحضارات والثّقافات الاستفاده من آليّاتها واستغلال الفرص المؤاتيه لإشاعه ثقافتها عالميّاً.

وسنتوفّر فى هذا البحث على دراسه كلّ من هذه النّظريّات لنختار فى آخر الأمر النّظريه السّادسه (عالميّه العلم والتقنيه) الّتى تؤكّد على أنّ أجواء الاكتشافات العلميّه وبالخصوص تقنيه الاتّصالات (والّتى تعدّ من عناصرها الأساسيّه) ساهمت فى محو وإزاله الفواصل الزمانيّه والمكانيّه وزياده المعرفه، وقد عرفنا بأنّ العولمه ما هى إلّا «ثوره معلوماتيّه» وتقدّماً علميّاً للمجتمعات البشريّه ونموّاً للفنون الاتّصاليّه الحديثه، وفى النّتيجه ازدياد العلاقات فى الشؤون البشريّه بأبعادها المختلفه، وليس ذلك إعمالاً لنفوذ حضاره وثقافه معيّنه على العالم، وعلى خلاف كثير من المنظّرين؛ نعتقد أنّ العولمه ليست استمراراً للعصرنه وليست تجاوزاً لها ودخولاً فى عصر ما بعد الحداثه، وليست استيلاءً للرأسماليّه، وليست بمعنى غربنه العالم أو عولمةً

غربیّه، وإنّما هی عملیّه علمیه وطبیعیّه علی خلاف العولمه الغربیّه الّتی تعدّ مؤامره إمبریالیّه غربیّه.

۶. أسلوب البحث

اشاره

سنحاول فی هـذا البحث التركیز علی الجوانب الثّقافیّه والمعرفیّه للعولمه لنتوصّل من خلال التعاریف المتعدّده والمبهمه المطروحه؛ إلی تعریف واضح ینسجم والوقائع السائده، ویُزیل ویكشف النقاب عن الأسالیب العلمیّه والمقولات والرؤی الفكریّه للمفكّرین. ومن هنا فإنّ هـذا البحث غالباً ما یتّخذ الطابع النّظریّ والعلمیّ، ویحاول اكتشاف حقیقه وماهیّه العولمه، وقراءه العلاقه والتأثیر الّذی تحدثه هذه العملیّه علی الثّقافه والدّین. ومن الطبیعی جدّاً أنّه لیس باستطاعته الكشف عن جمیع أبعاد و استلزامات هذه العملیه. ولهذا سنتلافی الخوض فی أبعادها السّیاسیّه والاقتصادیّه والعسكریّه، فهی خارج نطاق اختصاصنا.

ونظراً لدینامیّه هذه العملیّه ومقتضیاتها، لا نستطیع الحكم علیها بصفه قطعیّه، أو تصویر رؤی وتصوّرات عصر العولمه، ولكن من خلال الإحاطه بأسس هـذا التیّار السیّال والمتحرّك یمكن الاطّلاع والتعرّف علی مظاهرها المجهوله ولوازمها وإفرازاتها، تلافیاً للحیره والارتباك فی مواجهه مفاجآتها.

ومن ناحیه الأسلوب المعرفیّ وطریقه البحث؛ ینبغی القول أنّه یمكن الاستفاده من أسالیب متعدّده لبیان ظاهره العولمه:

۱. من منطلق نظریّ صرف واتّجاه فلسفیّ وانتزاعیّ.

۲. أسلوب الواقعیّه والمبدئیّه.

۳. الطّریقه التّجریبیّه واستقصاء الوقائع والتّغییرات العالمیّه فی عالم السّیاسه والاقتصاد والاجتماع والثّقافه.

۴. الأسلوب الانتقادی (كأسلوب ما بعد الحداثه).

إنّ علماء الاجتماع اليوم وبناءً على دراستهم للتّغيّرات الاجتماعيّه من خلال مطالعه العلوم الاجتماعيّه والتاريخيّه، أخذوا فی دراسه علاقات المعطيات والمتغيّرات الاجتماعيّه، وذلك لرسم الخطوط العامّه لظواهر المستقبل. فی حال شرع بعض المنظّرين وبأساليب متنوّعه فی دراسه ظاهره العولمه، وفی هذا المجال برزت نظريّات (السّلام الديمقراطیّ)، (نهايه التّاريخ)، (صراع الحضارات والثّقافات)، (حوار الحضارات)، (التبعيّه المتبادله) و (ترويج العصرنه)، وكلّها تصبّ فی بيان مستقبل العالم والتكهّن بنوع علائقه المجتمعيّه.

ونحن بدورنا سنخوض وبأسلوب علمیّ فی دراسه حقيقه وماهيّه العولمه، أصولها وأسسها وأسباب ظهورها، وكذا سندرس علاقتها بالدّين، ونعكف على تبيينها وحليلها كأمر واقعیّ وكظاهره علميّه ملموسه بطريقه فلسفيّه ومعرفيّه، ونحاول كذلك نقد ودراسه النّظريّات المطروحه حولها، ونبحث فی مجال علاقه وارتباط تلك النّظريّات بظاهره العولمه، ومن خلال ذلك سيتّضح الاختلاف الفاحش فيما بين المفكّرين حول حقيقتها.

وعلى هذا فالمسأله المهمّه فی هذا البحث، هی أنّنا لا نستطيع التّحدّث عن علاقه العولمه بالدّين ما لم نمتلك إدراكاً صحيحاً وواقعيّاً ومعرفيّاً عنها، وقبل اكتشاف أبعادها ومقتضياتها. ومن هذا المنطلق؛ فإنّ عرض أیّ أسلوب فی هذا المجال ينبغی أن يكون مبتنياً على نظريّه علميّه ومنطقيّه محدّده.

أسلوب المعرفه الدّينيّه (معرفه الدّين)

إنّ هناك معايير خاصّه لأساليب البحث العلمیّ فی موضوع الدّين، فينبغی أن تتطابق والمعايير العلميّه والعقليّه من جهه، وأن تكتسب رضا

وقبول المجتمع الـدّينىّ من جهه أخرى. إنّ المعرفه الـدّينيّه بشـكلها العلمىّ والقانونىّ، تعتمد على تجزئه وتحليل وتفسـير التّعاليم الـدّينيّه والعقائـد والمـذاهب، ويمكن أن تحـوى جنبه معرفيّه؛ تـاريخيه واجتمـاعيّه ونفسـيّه وكلامـيّه وفلسـفيّه. ولكنّ الأصـل فى المعرفه الـدّينيّه؛ أنّهـا علم وضـعىّ، الهـدف منه فهم حقيقه جميع الأديان وفلسـفتها وضـرورتها. ولأجل ذلك، نلاحظ تفاوتاً بين استنتاجات وأساليب وأهداف البحث الدّينىّ عن غيره من العلوم.

ولهـذا السّـبب بالـذّات، جاء اتّجـاه البحث الحـالىّ، فهو يحـاول معرفه مكـانه الـدّين من خلال اعتمـاده على التّغيّرات التـاريخيّه والاجتمـاعيّه، وسـيختصّ القسم الأعظم من البحث حول دور الـدّين فى الحيـاه البشـريّه وعلاقته بالمؤسّـسات والبنى الاجتماعيّه والتّحوّلات العلميّه والثّقافيّه للمجتمع. ومن هـذه الجهه سـتكون لملاحظات علم الاجتماع الـدينىّ والفلسـفه الـدّينيّه دور مهمّ فى هذا البحث.

إنّ إحـدى مشـاقّ هـذا البحث، هـو عرض تعريف وبيـان كامـل وجـامع للعولمه يكون مقبولاً ـ من قبـل الجميع. إنّ هـذا المفهوم لحـداثته وتعقيـداته لم يتشـخّص بشـكل واضـح حـتى الآن، وكـلّ من بحثه من المفكّرين نظر إليه من زاويته الخـاصّه، فجاءت التّعـاريف متعـدّده ومتنـاقضه فى بعض الأحيان. ولهـذا لا يمكن الركون إلى المصادر المـدوّنه فى هـذا المجال لفقـدانها التّجربه الكافيه والرّصـيد النّظرى الّذى يعتمد عليه. ولذا سـيكون الحكم عسيراً فى قبول أو ردّ أيٍ من النّظريّات المطروحه أو كونها ذات اسـتدلال متقن ومطـابق للواقـع. فينبغى على المفكّرين الّـذين يمتلكـون اطّلاعـاً واسـعاً فى موضـوع الحـداثه والعلوم الاجتمـاعيّه، العلاقات الدّوليّه؛ تقويم ونقد النّظريّات المطروحه فى أسباب ودواعى العولمه ونتائجها.

٧. تاريخ العولمه

يرتبط البحث فى تاريخ العولمه ارتباطاً وثيقاً بتعريفنا لها، فيُرجع البعض تاريخ العولمه إلى ظهور أوّل الحضارات، أى منذ حدود ثلاثه آلاف سنه مضت. ويرى هؤلاء بأنّ الاتّجاه نحو العولمه وحلم العالميّه والانفتاح العالمىّ ترعرع فى أكناف جميع الامبراطوريّات والممالك الغابره. والبعض يربط تاريخها بظهور الثّوره الفكريّه والعلميّه فى الغرب وعصر التّنوير الفكرىّ، ويعتقد بأنّ العولمه تزامنت مع توسّع وانتشار العصرنه. وبعض المنظّرين اصطلحوا على العولمه اصطلاح الدّوليّه أو التدويل أو ما بعد الدوليّه، وربطوا ظهورها بالحرب العالميّه الأولى ونشوء المجتمع الدّولىّ ومن ثمّ منظّمه الأمم المتّحده عام ١٩٤٥. أمّا رولاند روبتسون(١) فقد حلّل تاريخ العولمه على ضوء التّحوّلات العالميّه المهمّه، والّتى عبّر عنها بالمراحل الخمسه، وبحسب اعتقاده إنّ ظهورها كان تدريجيّاً وممتدّاً من القرن الخامس عشر وحتى القرن الواحد والعشرين. فهو يرى بأنّ العولمه طوت المراحل التاليه:

١. مرحلتها الأولى ابتدأت مع تفكّك الكنيسه وظهور المجتمعات الحكوميّه وتأسيس الكنيسه الكاثوليكيّه وطرح فكره محوريه الفرد أو أصاله الفرد وظهور النّهج الاستعمارىّ.

٢. المرحله الثّانيه تزامنت مع الحوادث الّتى عصفت بأوربا خلال الفتره (١٧٥٠-١٨٧٥) ففى هذه المرحله شاهدنا ظهور النّظام السّياسىّ، الدّوله، الشّعب، حقوق المواطن، الاتّفاقات والمعاهدات الدّوليّه وطرح فكره تأسيس الجمعيّات الدّوليّه.

٣. المرحله الثّالثه؛ مرحله القفزات المشهوده لعمليّه العولمه والّتى وقعت خلال الفتره (١٨٧٥-١٩٢٥). فقد لعبت أربعه عوامل عالميّه دوراً مؤثّراً فى

١- (١) يان ارشولت، نظره فاحصه لظاهره العولمه، ص ٧٣. «التّرجمه الفارسيّه لمسعود كرباسيان».

هـذه المرحله، وهی عباره عن: الحکومات الّتی اعتمـدت نظام الدّوله، الشّـعب، نمو العلاقات الدّولیّه، طرح نظریه حقوق الإنسان ونشوب الحرب العالمیّه الأولی.

۴. المرحله الرّابعه؛ والّتی عاصـرنا فیهـا تکـوّن المجتمع الـدّولیّ وتأسـیس منظّمه الأـمم المتحّدـه، وقـوع الحرب العـالمیّه الثـانیّه والمرحله الطّویله للحرب البارده وظهور منظومه دول العالم الثّالث وظاهره الاستعمار.

ویوافق بول سوئیزی هـذا الرأی، حیث یعتقـد: «بـأنّ العولمه لیست وضـعاً وظاهره جدیـده، ولکنّها حاله کانت مسـتمرّه منـذ مـدّه طویله.

وفی الواقع إنّ عملیه العولمه ابتدأت منذ اتّخاذ المجتمعات الغربیّه النّظام الرأسمالیّ أسلوباً لنمط حیاتها».(۱)

وفی رأیه إنّ الرأسـمالیه ذات توسّع وانتشـار ذاتیّ، سواء فی جانبهـا الـداخلیّ أم الخـارجیّ، وقـد حـدّد بعض المفکّرین المراحل التّاریخیّه لنمو الرأسـمالیّه وانتشارها: «إنّ إحـدی هـذه المراحل، هی السـیطره علی القارّه الأمریکیّه، والقضاء علی حضاره الهنود الحمر، وفرض الثّقـافه الغربیّه علی مجتمعـاتهم. المرحله الثّـانیّه؛ النّفوذ المـدمّر للرأسـمالیه أو النّظام الإمبریالیّ الغربیّ الّـذی رافق الثّوره الصّـناعیّه، والّتی تسـبّبت فی صـنعنه الاقتصاد مما أدّی إلی افتتاح أسواق جدیده ومن ثمّ إلی اسـتعمار قارتی آسیا وأفریقیا فی نهایه المطاف».(۲) ومن المعلوم أنّ هذه المرحله من الاختراق والسّـیطره الإمبریالیّه ترافقت مع إشاعه وسائل سیاسـیّه کإشاعه الحریّه والـدّیمقراطیّه، حقوق الإنسـان، وکـذا مع وسائـل ثقافیّه واجتماعیّه کالتّجدیـد، النّمو الثّقافیّ وعصـرنه الأمم الأخری، تیار التّنویر الفکریّ والمؤسّسات المدنیّه وغیرها. ونحن الیوم «نشهد بدایه الموجه الثّالثه من محاوله تدمیر المجتمعات لتعبید طرق

۱- (۱) بول سوئزی، هدف العولمه، ص ۷، «التّرجمه الفارسیّه»

۲- (۲) المصدر نفسه، ص ۷.

الإمبریالیه جرّاء انهیار النّظام الاشتراکیّ السوفیتیّ، والّتی تهدف إلی نشر الرأسمالیّه، السّیطره علی الأسواق، نهب الثّروات واستغلال القوی الفکریّه والعامله فی کافّه أنحاء العالم».(۱) وتُتابع هذه المقوله الأیدیولوجیّه من خلال التدخّل فی الشّؤون الداخلیّه و (الدّفاع عن الدّیمقراطیّه)، (حقوق الإنسان)، (بسط السّلام) و (إقرار الأمن).

وفی رأی بعض المفکّرین، أنّ هذه الظاهره ابتدأت فی عهد الاستعمار وإنشاء المستعمرات وقد احتدّ تأثیرها فی عقد السّبعینات من القرن الماضی، وأکسبتها التّغیّرات العالمیّه إطاراً جدیداً إثر انحلال النّظام الشّیوعیّ، وأدخلت کافّه مناطق العالم فی بوتقه نظام واحد.

الرؤیه الأخری فی مجال تاریخ العولمه - والّتی تعدّ رؤیه جامعه ومقبوله إلی حدّ ما - النّظریّه الّتی تقول بتأثیر عوامل مختلفه فکریّه، ثقافیّه، سیاسیّه، اقتصادیّه، علمیّه وتقنیّه وبشکل عامّ جمیع الحضارات والجهود البشریّه، فی تبلور وإیجاد ظاهره العولمه؛ ولکنّ الأسباب الثّقافیّه والعلمیّه، نمو تقنیه المعلومات و التّقدّم التّقنیّ فی مجال وسائل الاتّصال کان لها دور مؤثّر فی ظهورها. وعلی هذا فإنّ حدوث الثّوره الصّناعیّه فی الغرب کان من الممهّدات الرئیسیّه للعولمه.

۸. ممهّدات العولمه

أ) الممهّدات الفکریّه

إنّ بعض الباحثین ومن خلال إیراد بعض الشّواهد، یعتقد بأنّ انطلاقه العولمه قد تزامنت مع التّجدید والعصرنه.(۲) ویری بأنّ التّقدّم العلمیّ الّذی حدث إثر

۱- (۱) الوین تافلر، الموجه الثّالثه، ص ۵۷، «التّرجمه الفارسیّه».

۲- (۲) غینز، انتونی، إفرازات الحداثه، ص ۵۱، «التّرجمه الفارسیّه».

النّهضه والثّوره الصّناعيّه والاختراعات واكتشاف وسائل الاتّصال، مثل: الهاتف، التّلغراف، الرّاديو، التّلفاز، الأقمار الاصطناعيّه و الأنترنيت، كان له أبعد الأثر فى نموّ وتغيير المجتمعات ورفع الحدود الزمانيّه والمكانيّه والفضائيّه. وبعباره ماك لوهان المميَّزه؛ صيروره العالم (قريه عالميّه) أو قريه صغيره.

إنّ جميع الممهّدات والأسباب الّتى أشرنا إليها فى هذا القسم، ترتبط بعمليّه العولمه وتعدّ من علائم أو عوامل بروزها. ولكن يبدو أنّ أغلب المفكّرين لم يولوا الأسس الفكريّه والفلسفيّه للعولمه الدّقه والاهتمام الكافيين، فلو حاولنا معرفه الأسس الفكريّه لمرحله العصرنه وقراءه مؤشّراتها ومحاورها بطريقه تحقيقيّه ومنطقيّه، لتوصّلنا إلى نتيجه قاطعه تبيّن بأنّ عمليّه العولمه ما هى إلّا مرحله طبيعيّه لا يمكن اجتنابها ومرتبطه بالمرحله السابقه عليها ألا وهى «العصرنه».

وبهذه الرؤيه يمكن حلّ كثير من الغموض الّذى يكتنفها، ومع تحليل مؤشّراتها ومميّزاتها فى إطار الأسس والقواعد الّتى ترتكز عليها يمكن استكشاف آفاقها المستقبليّه ومدى تأثيرها على المصير الفكريّ والاجتماعيّ والثقافيّ للمجتمعات الأخرى.

وبناءً على المعيار العلميّ والفلسفيّ المتقدّم، فسنقوم ابتداءً بالتّحقيق فى الافتراض الّذى يدّعى ارتباط العولمه بالعصرنه وكونها إحدى مراحلها المهمّه والمتكامله. ومن خلال إعاده قراءه وتحليل أسس ومميّزات مرحله الحداثه، سندرس الأسس الفكريّه والفلسفيّه للعولمه. ويمكن الإشاره تاريخياً إلى ممهّدات فكريّه ودينيّه وسياسيّه كثيره لفكره العالميّه والعولمه. وملاحظه انعكاس فكره الحكومه العالميه الواحده فى آراء كثيرٍ من المفكّرين، أمثال: جون جان لاك، كانت، هيجل، ماك لوهان، الوين تافلر، تولستوى وغيرهم.

خلاصه الأمر، أنّ الاتّجاه نحو العالميّه لم يتبلور فى الواقع الموضوعىّ

قبـل القرن التّـاسع عشـر، ولكن من النّـاحيه الفكريّه والفلسـفيّه والعقائـديّه كـان لهـذه الفكره حضـور ملمـوس فى أغلب الأدوار التّاريخيّه.

فمن النّاحيه الـدّينيّه والعقائـديّه يمكن القول: إنّ اليهود بالتّحديـد كانوا ومنذ قرون متماديه تداعبهم أحلام تحقيق مجتمع عالمىّ والسّيطره على أرجاء العالم قاطبه.

وفى المسـيحيّه كان حلم العالميّه حاضـراً أيضاً، وقد تجسّد ذلك بالاعتقاد بأنّ «المسـيح» سـيحكم كلّ ما أشـرقت عليه الشّمس، ومن هنا نراهم يترقّبون الحكومه العالميّه للمسيح.

أمّا المسـلمون، فهم يعتقـدون بـأنّ الأسـلام دين عـالمىّ وذو رسـاله عـالميّه ولابـدّ أن يأتى ذلك اليوم الّـذى تتحقّق فيه عالميّته بظهوره على غيره من الأديـان. إضـافهً إلى أنّ حكومه الإمـام المهـدىّ عجـل الله تعالى فرجه الشـريف فى عصـر ظهوره ستُحقّق العداله الحقيقيّه والسّلام العالمىّ والدّين الواحد والحكومه العالميّه الواحده.

وأمّا من النّاحيه الفلسـفيّه، فإنّ فكره العولمه والعالميّه يمكن تلمّسـها فى آثار بعض الفلاسفه، ومن ضمنهم هيجل الّذى لمّح إلى عولمه الحضـاره الغربيّه، ففى كتـابه «فلسـفه التاريـخ» يشـير إلى مراحـل نمو الحضـارات العـالميّه، أمثـال: حضـاره إيران، اليونان والروم، ويبحث فى أسـباب ظهورهـا واضـمحلالها. فهو يعتقـد بوجود ثلاث مراحل تكامليّه لكلّ حضاره كبيره، لا يمكن تخلّفها عنها، ويفصّل ذلك كالآتى:

المرحله الأولى: مرحله الولاده والظّهور.

المرحله الثّانيه: مرحله الرّسوخ والنّضوج.

المرحله الثّالثه: مرحله الانفتاح والخروج عن حدودها وانتشارها عالميّاً.

وفى اعتقـاد هيجـل أنّ مرحله الحـداثه لكونهـا عقليّه، سـتكون هى المرحله النّهائيّه والمتكامله للحضارات. ففى رأيه أنّ الحضاره الغربيّه قد طوت المراحل الثلاث الآنفه، وها هى الآن قد وصلت إلى مرحله العقلانيّه، وهى

فی حال التّوسّع والشّمول. فهذه الحضاره وبارتکازها علی الحداثه سیستمرّ تجدّدها ونشاطها ودینامیّتها، ولکونها تتمیّز بالخصوصیات الثّلاث المهمّه الآتیه، فهی تعدّ غایه ومنتهی کلّ الحضارات البشریّه. فالممیّزات الثلاث للحضاره الغربیّه فی رأی هیجل هی کالتالی:

۱. الخلاصیّه(۱) والشّمولیّه العالمیّه.

۲. عدم المحدودیّه حسب الرؤیه الفلسفیّه والرّیاضیّه.

۳. تمایز الإنسان عن الطّبیعه والاعتقاد بهیمنته الواقعیّه علی العالم الّذی هو محصّله تمایز الشیء عن موضوعه.

ب) الممهّدات السیاسیّه والاجتماعیّه

إنّ موضوع العالمیّه وتأسیس حکومه عالمیّه کان من المواضیع المهمّه فی الفلسفه السیّاسیّه المعاصره، وقد عُرض من قبل المنظّرین والسّیاسین بأسالیب واتّجاهات متعدّده ترتکز جمیعها علی مسألتین:

المسأله الأولی: تعدّد الحکومات، الثّقافات والقیم واستقلالها عن بعضها البعض فی السّابقه والمنشأ الحضاریّ والتاریخیّ.

المسأله الثّانیه: إنّ العقلانیّه تعدّ أسلوباً وتدبیراً لحلّ المشاکل العالمیّه المشترکه وتحول دون وقوع الفوضی فی العلاقات الدولیّه الّتی تنشأ عن تعدّد الحکومات والثّقافات، وأنّ فلسفه تأسیس الأنظمه والمبادئ الدولیّه والعالمیّه یصبّ فی هذا الاتّجاه أیضاً. وکما یقول عالم الاجتماع الشهیر سان سیمون (القرن الثّامن عشر): «إنّ تجارب جمیع القرون تثبت بأنّ الإنسان یسعی دائماً للحصول علی مستقبل أفضل والّذی یصبّ فی اتّجاه رفاهیه

۱- (۱) فکره بروتستانتیّه تقول بإنّ النّاس سینعمون جمیعاً بالخلاص آخر الزمان. «المعرّب عن المورد».

ورخاء مجتمعه. ولهـذا نرى الإنسان يميل فطريّاً نحو إصـلاح القوانين السّياسـيّه الحاكمه فى مجتمعه».(۱) ويستنتج من ذلك بأنّ هذا الاتّجاه سينتهى إلى «تحقّق وتبلور عالم منظّم ومخطّط له».(۲)

ج) الممهّدات التاريخيّه للعولمه

إنّ ممهّدات العولمه تجلّت واتّضحت منذ حصول الثّوره العلميّه وتطوّر التّقنيه الغربيّه، فقد أعقب عولمه الصّناعات والشركات العـالميّه ومتعـدّده الجنسـيّات من خلال الانـدماج فى البنـك الـدّولىّ وكـذا عولمه الأنـظمه الماليّه والتّجاريّه، أعقبها مقتضـيات ومسـتلزمات متعدّده اسـتولت على الجوانب الثّقافيّه والاجتماعيّه والسّياسـيّه لحياه الإنسان، وأدّى تقدّم وسائل الاتّصال والشّبكات الألكترونيّه لإيصال المعلومات إلى التّبادل السّريع للآراء والفكر الإنسانىّ، ممّا دعى الوين تافلر إلى تسـميه ذلك العصـر (عصـر العلم) أو (المجتمع العلمى). أضف إلى ذلـك وجود عناصـر كثيره أخرى ساعـدت على وضع عمليّه العولمه على جـادّه الطّريق، ويمكن الإشاره باختصار إلى بعض مواردها:

١. انتشار المنظّمات الدّوليه، تداول رأس المال والمعلومات، التّقنيه والثّقافه.

٢. المشاكل الدّوليّه والإقليميّه كمشكله البيئه، السّلام والأمن العالمىّ والصّحه.

٣. أسلحه الدّمار الشّامل والعلاقات الدّوليّه المتشابكه والأزمات الدّوليّه والإقليميّه.

إنّ هـذه المسائـل النوعيّه الّتى تؤدّى إلى التّقـارب الثّقـافىّ والسّياسـىّ والاجتمـاعىّ، تعـدّ من مسـتلزمات العولمه، والّتى عبّر عنها البعض بالمحكّ

ص:٣٨

١- (١) سيدنى بولارد، فكره التّطوّر، ص ١١٥، «التّرجمه الفارسيّه».

٢- (٢) المصدر نفسه، ص ١١٦.

الثّقافیّ.(۱) و یعبّر ماک لوهان عن ذلک بانهیار الحدود واختصار المسافات فی القریه العالمیّه. إنّ العولمه برزت ابتداءً فی حیطه الاقتصاد لأجل بیان إحدی الظواهر الّتی أخذت فی الانتشار، یعنی ظاهره اتّساع دائره الإنتاج والاستهلاک والتّجاره إلی حدّ شمل جمیع أسواق العالم.(۲) وتعدّ العولمه من هذه الزّاویه إحدی مراحل التّطوّر الاقتصادیّ والنّظام الرأسمالیّ. وفی مجال السّیاسه والعلاقات الدّولیّه یمکن العثور أیضاً علی شواهد لسوابق وممهّدات العولمه، فتبلور الاتّفاقات الدّولیّه والاتّجاهات الإقلیمیّه والعالمیّه وتأسیس المنظّمات الدّولیّه، کلّ ذلک یعدّ من ممهّدات العالمیّه والعولمه.

أمّا الجانب العلمیّ والفلسفیّ، فإنّ هناک اتّجاهاً عقلیّاً وحلماً إنسانیّاً یقوم علی أساس مفاهیم قیمیّه وثقافیّه وإنسانیّه، أدّی إلی أن یکون النظر إلی الحاجات الإنسانیّه ذو بعد عالمیّ، فأغلب الفلاسفه الّذین اقترحوا نظاماً عقلیّاً وأخلاقیّاً کانوا ینظرون إلی الأمور برؤیه تتجاوز العِرق والقومیّه وتعتمد نوعاً ما علی العولمه والتّجانس العالمیّ.

وخلاصه القول: إنّ العولمه لیست ظاهره جدیده وحدیثه، فعلی امتداد تاریخ المدنیّه البشریّه کانت هناک صور مختلفه للعولمه والعالمیّه ولکن لم تکن الوسائل الّتی یمکن أن تحقّق هذا الهدف متوفّره آنئذ.

إنّ نزعه تحقیق السّیطره علی العالم وتأسیس الحکومه العالمیّه الواحده وإیجاد نظام إداری مرکزی کانت علی الدّوام تداعب مخیّله الإنسان؛ وهذا یختلف عن العولمه الفعلیّه حیث إنّها تعنی حریّه الأمم من أیّه قیود زمانیّه ومکانیّه، القدرات العالمیّه، العلم، التّقنیه، الصّحه، الأمن، العداله، السّلام والتّداول الحرّ للمعلومات، الرّوابط الثّقافیّه، الحدّ من الفقر وعدم المساواه. إنّ

۱- (۱) غینز، الحداثه، ص ۱. «التّرجمه الفارسیّه لمحسن ثلاثی».

۲- (۲) محمّد عابد الجابریّ، قضایا الفکر المعاصر، ص ۱۳۹. کتاب نقد، ص ۳۶۲.

هذا النّموذج من العولمه ليس المقصود منه فرض قوّه وسلطه ثقافه وحضاره معيّنه دون غيرها وإنّما هو حاجه وضروره وانطلاقه عالميّه تتطلّب شراكه ووحده جميع الأمم والاستفاده من نتاجات وقابليات كلّ إنسان لحلّ مشاكل العالم المعقّده.

إنّ نمو المجتمعات البشريّه، انسجام القوانين الاجتماعيّه والعوامل الثّقافيّه والسّياسيّه والاقتصاديّه المهمّه أوجبت تحوّلات جذريّه فى البنى الاجتماعيّه، أخرجت فيه المجتمعات من الطّور القبلى إلى الحاله القرويّه، ومع تأسيس المدن واستيطانها والتّغيّرات الواسعه فى علاقات المجتمعات مع بعضها البعض استمرّ تنامى وتوسّع هذه العمليّه فى كافّه أرجاء العالم إلى أن تسبّبت التّغيّرات والثّورات العلميّه والصّناعيّه مرّه أخرى فى حدوث تغييرات جذريّه فى البنى السّياسيّه والاجتماعيّه. إنّ التّقدّم والتّطوّر العلميّ والتّقنى أكسب العلاقات الإنسانيّه والمجتمعيّه تسارعاً مستمرّاً وتكاملاً وغدت أكثر اتّساعاً و سهوله، وأدّى إلى تحطيم الحدود الجغرافيّه بين المجتمعات. إنّ هذه التّطوّرات كانت على درجه من السرعه والتأثير غيّرت فيه جميع قواعد وأسس الحياه البشريّه، وأفضت عليها تماثلاً وتشابهاً لايمكن صرف النّظر عنه، وبالإضافه إلى الآثار الاقتصاديّه والسّياسيّه والاجتماعيّه لهذه العمليّه، فإنّها ألقت بظلالها أيضاً على العلاقات الثّقافيّه والأمور النّفسيّه والرّوابط الفكريّه والعلميّه.

٩. سوابق البحث

اشاره

لقد استحوذت ظاهره العولمه على أذهان كثير من المفكّرين وقد قاموا بنشر بحوثهم واستنتاجاتهم حولها والّتى يمكن الإشاره إليها بصوره إجماليه: فعلى الرّغم من أنّ فكره العولمه كانت قد طُرحت بين بعض الفلاسفه وعلماء

الإجتماع منذ قرون خلت، وفضلاً عن الخطوات والإجراءات الّتی اتّخذها الزعماء والأباطره باتّجاه العالميّه وفتح العالم والسّيطره عليه فی غابر الزّمان، ينبغی القول: إنّ مقدّمات مشروع وفكره العولمه بشكله الحالی كانت قد طُرحت لأول مرّه فی المجامع العلميّه والأكاديميّه متزامنه مع التّغيّرات والإجراءات العالميّه. ويعدّ غينز من أهمّ المنظّرين على صعيد العولمه، فقد اعتبرها بشكلها الظّاهریّ استمراراً للعصرنه وأطلق عليها (عولمه العصرنه)، فهو يعدّ من أشدّ أنصار العصرنه ومن المعارضين لما بعد العصرنه، ففی تحليله لمقولته؛ يعتبر عولمه العصرنه مسألهً ذاتيّه، وهو على خلاف غيره من المنظّرين لم يعتقد بأنّها «اضمحلال الحكومات الأمميّه وانخفاض قدراتها، ولكنّه يعتبرها تناغماً و توافقاً عالميّاً فيما بين الدول.(۱)

وهو يری: أنّ العولمه تعنی تعزيز العلاقات الاجتماعيّه على مستوی العالم. العلاقات الّتی تربط بين المناطق المتباعده إلى درجه أنّ أیّ حدث يقع فی أيّه منطقه من العالم مهما كانت نائيه يؤثّر تأثيراً سريعاً وعميقاً فی تغيير العلاقات الاجتماعيّه والسّياسيّه والاقتصاديّه والثّقافيّه.

ماك لوهان وبعض الكتّاب الآخرين الّذين نظّروا للعولمه ركّزوا على أفقين:

عمليّه العولمه من خلال العلاقات الدّوليّه ووسائل الاتّصال المبتكره.

العولمه من خلال نظريّه (النّظام العالمیّ الواحد).

والرّشتاين الّذی طرح نظريّه «النّظام العالمیّ»، يعتقد بأنّ الحكومات الأمميّه تخطوا نحو النّظام العالمیّ الواحد فی عمليّه العولمه. ويتكهّن بأنّ تشكّل الدّول العالميّه سيكون من الآفاق الجديده والانطلاقه المستقبليّه للحكومات.

إنّ هذه النّظريّه تختلف اختلافاً أساسيّاً مع نظريّه العلاقات الدّوليّه الّتی تصوغ العلاقات المستقبليّه للأمم والحكومات، على أساس قاعده التّعامل

۱- (۱) انتونی غينز، إفرازات العولمه، ص ۸۳ و ۸۰. «التّرجمه الفارسيّه لمحسن ثلاثی»

والتّفـاهم المشترک. إنّ فرضـیه الرّوابط المتبادله، تفترض حکومات وثقافات مسـتقلّه ومتنوّعه، لها جـذور متمایزه وخاصّه وذات انفعالات مختلفه وأسـالیب محتـاطه ومختـاره؛ ولکن بنـاءً علی تحلیـل والرّشـتاین فإنّ وجود النّظام العالمیّ هو بمعنی قبول نظام مشترک ومتوافق علی جهه الإلزام والضّروره ولیس علی جهه التّفاهم المشترک.

عولمه العصرنه حسب رؤیه غینز

«إنّ العولمه عملیّه تتضـمّن مراتب أوسع وأکثر تعقیداً، وذات طبیعه أشمل من مجرد التّنمیه وإشاعه المؤسّسات الغربیّه فی السّاحه العـالمیّه، عملیّه تـذوب فی رحمهـا الثّقافات الأخری أو تکون فی حاله ذوبان».(۱) وبتعـبیر آخر «إنّ الانسـجام والتوافق فی عملیّه العولمه ینعکس کعملیه متنـاقضه ظاهریّاً وهی بهـذا القـدر تُحـدث توافقـاً وتکاملاً، وهی أیضاً تُجزّء وتُفتّت الأسـس الموروثه وتبتدع أشکالاً حدیثه للتّبعیّه العالمیّه المتبادله».

ویعدّ انتونی غینز من ضمن المعتقدین بمقوله:

إنّ العصـرنه فی ذاتهـا هی ظاهره فی طور العولمه والشـمول وتتمیّز بـدفع خارجیّ ونظره مسـتقبلیّه. إنّ العولمه فی إطار فکر غینز تؤدّی إلی تکوین الـذّات والتّشـکیلات الاجتمـاعیّه الجدیـده والّتی تتمحور علی أسـاس المـدنیّه الغربیّه، وبهـذا البیان لم یتّضـح المـدار فی تفریقه وتفکیکه فیمـا بین العولمه والغربنه، فهو یقول: «إنّ العولمه أمر متفاوت عن نشـر المؤسّـسات الغربیّه فی العالم وتفتیت الثّقافات الأخری».(۲)

۱- (۱) انتونی غینز، هل العصرنه مشروع غربیّ متکامل؟ العصرنه والعصرانیّون، ص ۲۹، «التّرجمه الفارسیّه لحسین علی نوذری».

۲- (۲) انتونی غینز، إفرازات العصرنه، ص ۲۰۹، «التّرجمه الفارسیّه»

عمليه العولمه من وجهه نظر الوين تافلر

الوين تافلر(۱) فی کتابه (الموجه الثّالثه)، یرسم عالماً یکون فیه الوفاق والوئام مع المعطیات النّاجمه عن صراع وتصادم الموجات التّاریخیّه ضروریّاً ولازماً. وسیکون من نتائج هذا التّطوّر والتّغیّر - نوعاً ما - السعی نحو التوحّد والتّبعیّه المتبادله (من خلال زوال الحدود السّیاسیّه وشمولیّه القیم الجدیده).

آل دوس هسلی أیضاً فی کتابه (عالم جدید مذهل) یتحدّث عن عملیّه العولمه ویقرّر بأنّ الثّقافه والقیم الإنسانیّه والتّاریخ البشریّ ستطوی فی عالم النّسیان، ویفقد الإنسان فیها إرادته وإحساسه، ویقتصر فیها علی تلبیه رغباته فی الرّخاء والتّقدّم والتّنوّع والتّسلّی بصناعاته وتقنیاته. وسیکون (الإنسان الآلیّ) حسب تعبیره مقیّداً فی حکومه عالمیّه واحده تحصی وتراقب وتسیطر علی کلّ شیء بنظام حدیدیّ صارم، ولا یمکن تصوّر مقدار ما ستؤول إلیه معرفته بنفسه وبعالمه، العالم المندمج والمتشابک، العالم الّذی یستحیل فیه الإنسان والفکر والثّقافه.

أمّا کارل مارکس فهو بنظریته «نهایه الرأسمالیّه» یتکهّن بحکم الطّبقه العامله وقیام الثّوره الشّیوعیّه العالمیّه. فهو وبناءً علی التّناقض الدّیالکتیکیّ المزعوم للمجتمع الطّبقیّ؛ یفسّر التّحوّلات والتّغیّرات الاجتماعیّه تفسیراً شیوعیّاً، یؤدّی فی نهایه المطاف إلی تحقیق حلم المدینه العالمیّه والمجتمع غیر الطّبقیّ الّذی تسوده المساواه. إنّ نظریّته هذه لم تکن سوی سراباً وقد لاقت تکهّناته فی التّطوّرات العالمیّه نهایه مأساویّه، ولکن والحق یقال، کان للنظام الشیوعیّ أثر مهمّ علی التحوّلات العالمیّه، وکان لسقوطه أیضاً أثر لا یُنکر فی تسارع عملیّه العولمه.

۱- (۱) . Alvin Tofflers.

والرّشتاين، عالم الاجتماع الألمانىّ فى نظريّته (النّظام العالمىّ) يفسّر العلاقات الدّوليّه على أساس التغييرات الّتى تؤدّى فى نتيجتها إلى العولمه وتوجِد نوعاً من الاندماج والتّوحّد. ويبرّر نظريّته اعتماداً على نظام الرأسماليّه التّاريخيّه، وقد تعرضّت نظريّته للنّقد اللّاذع لتأكيدها على الجانب الاقتصادىّ دون غيره من الجوانب الأخرى.(۱)

ويرى روبتسون أنّه: «لا يمكن أن تنشأ الوحده العالميّه من خلال عامل واحد كالمدنيّه الغربيّه أو الإمبرياليّه، وأنّ هذا التّجدّد والتّغيّر العالمىّ لايمكن النّظر إليه على أنّه مجموع واحد وعمليّه واحده». وفى اعتقاده أنّه ينبغى «عدّ القاعده الأساسيّه للتّطوّرات البنيويّه فى العالم المعاصر هى مجموعه عوامل وليست مجرد عامل داخلىّ أو خارجىّ، صحيحٌ أنّنا نتعرّض لتداعيات وضغوط هذه الظّاهره، ولكنّ هناك عناصراً أخرى كالمجتمع العالمىّ، البشريّه، فكره التّطوّر، العلم والتّقنيه كلّها تعدّ من عوامل العولمه».(۲)

ايزابيل مونال المفكّره الشّيوعيّه هكذا يحلو لها أن تتصوّر: «إنّ المجتمع الواحد فى المقاييس البشريّه يعنى دقّ ركائز عدم المساواه فى العالم وسيطره حكومه واحده على جميع العالم».(۳) وبافتراضها أنّ العولمه تعنى عدم المساواه والمخاطره بمستقبل البشريّه، تعتقد بأنّه ينبغى الشروع فى بسط المساواه فى كافّه أرجاء العالم أوّلاً ومن ثمّ قيام مثل هذا المجتمع الواحد، ومن البديهىّ أنّ مثل هذا الحلم لا يمكن تحقّقه مطلقاً، فالدخول فى المجتمع العالمىّ بشكل متكافئ فكره ساذجه وأُمنيه من المستبعد تحقّقها.

ص:۴۴

۱- (۱) كيت نش، علم الاجتماع السّياسىّ المعاصر، ص ۸۲، «التّرجمه الفارسيّه لمحمّد تقى دلفروز».

۲- (۲) بهلوان جنكيز، علم الثّقافه، ص ۴۲۳، «باللّغه الفارسيّه».

۳- (۳) المصدر نفسه، ص ۴۷۹.

وهی تری بأنّ الثّقافات ما دامت غیر متکافئه وتتضـمّن اختلافاً واسـعاً فلا یمکن التّحدّث عن مثل هذه المساواه فیما بینها، ولأجل هذا فإنّ شمول المساواه والحرّیّه و إن کان اختیاریّاً وبلا ضغوط، فهو یعنی فی نهایه الأمر استسلام ثقافه لثقافه أخری أقوی منها.

إنّ المجتمع العالمیّ الواحـد، دائره من الأفعال والانفعالات المرتبطه مع بعضـها البعض تمتزج فیها العوامل السّیاسـیّه والاقتصادیّه، فلاـ یمکن علی هـذا الأسـاس تحقّق ثقـافه واحـده متجانسه. وبحسب تعبیر المحقّق الإیرانی جنکیز بهلوان «إنّ نـدره وجود ثقافه أصیله کندره وجود أمّه وعِرق أصیل».(۱)

أبعاد العولمه

۱. البُعد الاقتصادیّ

إنّ أغلب المنظّرین یعتقـدون بـأنّ (العـولمه الاقتصـادیّه) من أهمّ وأخطر أبعـاد العـولمه، فهی تـؤثّر تـأثیراً مباشـراً علی غیرهـا من الأبعـاد. فـإنّ نمـوّ تجـاره السّـلع الصّـناعیّه بُعـدیها النّوعیّ والکمّیّ، الازدیـاد المـذهل للشّـرکات العـالمیّه، الازدیـاد المتنـامی للاسـتثمارات الخـارجیّه، توسّع القنوات الألـکترونیّه للتّجاره العالمیّه، تطوّر المنافسات الـدّولیّه فی المجال الاقتصادیّ، کلّ ذلک حطّم جمیع مراکز السّیطره والرّقابه دفعه واحده، وأدّی إلی اکتساب (حجم التّداول) معنی جدیداً حلّت فیه السیطره الزمانیّه محلّ السیطره المکانیّه.

إنّ العالم قـد وصل حـدّاً فی مجال الإبـداع والتّقدّم التّقنی لم یترک المجال معه لأیّ نموّ للفعّالیّات الاقتصادیّه، حتی وصل الأمر إلی أن تکون مصـادر المیـاه والفضـاء والأـرض فی حـاله تغیّر متسـارع. إنّ (الطبیعه الثانیّه) أو ما خلّفه الإنسان من الطّاقه، الحمل والنّقل، الاتّصالات، بناء المساکن والفضلات قد

۱- (۱) المصدر السّابق، ص ۵۴۰.

غيّر وجه الأرض، ومن ناحيه أخرى فإنّ تقسيم الأعمال قد نمى بشكل مضطّرد، فمع الاكتشافات الحديثه تجاوزت الأعمال فى تنوّعها وعلاقاتها مع بعضها البعض الحدّ الطّبيعىّ، ولبست ثوباً عالميّاً متغيّراً. وتزامناً مع هذا، فإنّ عمليّه عولمه الملكيّه حلّت محلّ مركزيه الإنتاج المحلّىّ، وأخذت مراكز الانتاج الإقليمى تتشكّل و تظهر تدريجيّاً. إنّ مثل هذه العمليّات لم تقتصر على الاقتصاد، فهى تجرى أيضاً فى السّاحه السّياسيّه، إنّ الوحده الاقتصاديّه توجب تعزيز العلاقات فيما بين البلدان وإزاحه جميع العوائق عن طريق انتقال السّلع، رأس المال، الأيدى العامله وأمثالها. إنّ ذلك يؤدّى إلى انتقال العالم من مرحله تتمّ فيها العلاقات الدّوليّه على أساس تنظيم المعاهدات الثّنائيّه أو الثّلاثيه إلى مرحله تتمّ فيها السّيطره وتنظيم وتسيير الأمور، من خلال مؤسّسات سياسيّه واقتصاديّه عالميّه أكبر وأوسع.

ومن جهه أخرى، فنحن نعايش تعاملاً واسعاً فيما بين الأمم والدّول فى مسائل عالميّه معقدّه ومتعدّده الجوانب، مسائل لا يمكن حلّها وفصلها بواسطه دوله أو عدّه دول، أو حتى عن طريق المنظّمات الإقليميّه، مسائل يتطلّب حلّها مشاركه البشريّه جمعاء بدولها وشعوبها، أمثال صيانه البيئه، الأمن الغذائىّ العالمىّ، اكتشاف مصادر جديده للطّاقه، المحافظه على السّلم العالمىّ، وإنقاذ البشريّه من الكوارث النوويّه. فبواسطه (الثّوره المعلوماتيّه) خرج تأثير الأحداث السّياسيّه والاقتصاديّه والثّقافيّه عن حدوده الجغرافيّه وأخذ يؤثّر تأثيراً مباشراً وفوريّاً على باقى بقاع العالم. إنّ الحاجه إلى السّرعه فى اتّخاذ القرارات الإداريّه قد ازدادت ازدياداً خارقاً، فالتّأثير الثّقافىّ للأقمار الاصطناعيّه، الأنترنيت (شبكه الاتّصال المعلوماتيّه)، دقّه العمليّات الكامبيوتريّه والتّبادل الحرّ للمعلومات لا يمكن تصوّره والسّيطره عليه، وأدّى إلى ظهور أنظمه قياديّه ثقافيّه جديده وقيم عالميّه حديثه.

ويمكن تلخيص انعكاسات هذه التّحوّلات العالميّه بما يلى:

أ) إنّ البشريه قد وصلت إلى مرحله فاصله فى مجال التّكامل الحضاريّ، يمكنها فيها تشكيل وحده متكامله تحلّ بها مشاكلها، من خلال التّفاهم المتبادل.

ب) إنّنا لا يمكننا تنظيم وإداره المسائل التّنمويّه الملحّه إلّا باتّباع التّخطيط والأساليب العلميّه الحديثه.

ج) إنّ الاكتشافات الحديثه منحت البشريّه أملاً فى إمكان التّفوّق على المشاكل الكثيره الّتى تهدّدها.

٢. البُعد السّياسى

إنّ عجله العولمه كما سبق وأن أشرنا إليه لا تدور على الاقتصاد فقط، بل إنّها مهّدت لنا آفاقاً جديده يمكن من خلالها مشاهده التّقارب والتّوافق الحاصل فى السّاحه العالميّه، وكذا المخاطر المشتركه وقنوات التّخطيط المشترك بشكل أوضح. فإنّ تسارع وتراكم السّلع التّجاريّه والمعلوماتيّه ساعد على اختصار الفواصل الزّمانيّه والمكانيّه وقرّب أبعد البقاع للاستفاده من مصادرها الطّبيعيّه. إنّ هذا الوضع انتزع منّا إمكانيه تصدير كثير من نتائج مبادراتنا خارج الحدود.(١)

من جهه أخرى ينبغى الالتفات إلى أنّ الاتّفاق حول إيجاد نظام عالميّ واسع بإمكانه أن يوفّر مكاسب متكافئه بين جميع الأطراف، لايمكن تحقيقه للأسباب التّاليه:

١. عدم وجود باعث ونموذج لطرح مثل هكذا خطّه.

٢. عدم وجود مؤسّسه تمتلك الصّلاحيّه والقدره اللّازمه للتّخطيط لمثل هكذا مشاركه، كى تتمكّن من إرغام اللاعبين الأساسيّين فى دائره المصالح العالميّه، على وضع مصالحهم الفرديّه فى خدمه عمليّه البرمجه والتّنظيم العالميّ.

١- (١) يورغن هوبرماس، العولمه ومستقبل الدّيمقراطيّه، ص ٨٧ «التّرجمه الفارسيّه».

إنّ المجتمع العالميّ المعاصر ما زال يعانی من المشاكل المتضادّه للطّبقيّه، والّتی تحاول فی بعض الموارد توظيف المصالح الفرديّه والوطنيّه والإقليميّه لصالحها الخاص. وبعباره أخرى ما زال السّعی قائماً لتأمين المصالح الشّخصيّه والوطنيّه، مما يؤدّی إلى مخاطر تحيق بالعالم أجمع. وفی الواقع فأنّ عمليّه العولمه تعانی تناقضاً ظاهريّاً من جوانب مختلفه، فجميع وجوهها وأبعادها تتعرّض بالقوه للإضعاف من قبل الفعّالين الدّيمقراطيّين فی المجتمعات القوميّه والوطنيّه.(۱) أمّا كيف تؤثّر العولمه على قدره وحاكميه الحكومات الوطنيّه وأراضيها؟ فهو سؤال هامّ يتعلّق بوجودها ويقرّر مصيرها، فالإجراءات الّتی تتّخذ لصنع الأسلحه الفتّاكه تتضمّن مخاطر عالميّه وتعدّ تهديداً للأمن العالميّ.

وأنّ استنزاف البيئه وتلوّثها قد وصل حدّاً لا يمكن تداركه، الاحتباس الحراریّ المتولّد عن الانبعاثات الغازيه، المطر الحمضی، اختلال طبقه الأوزون والتّغييرات البيئويّه؛ لها آثار وانعكاسات واسعه خرجت عن إطار قدره وتخطيط الأنظمه المحلّيّه.(۲) إنّ إبداع أساليب للتّعاون العالميّ وتعميم المصالح باتّخاذ طرق عقلانيّه وإيجاد نظام ثابت ووطيد باتّجاه الوحده العالميّه من المسائل الّتی لا يمكن اجتنابها.(۳)

إنّ تعقيدات العولمه لا يمكن مواجهتها إلّا باتّخاذ أساليب عقلانيّه تستطيع فيها منظومه الأصاله والقيم المحلّيّه إيجاد أطر جديده لنفسها تتمكّن من خلالها تحقيق التّكامل الدّيمقراطيّ والاستعداد للتّعامل العالميّ المشترك.

۱- (۱) المصدر نفسه، منظومه ما فوق الوطنيّه ومستقبل الدّيمقراطيّه، ص ۱۰۵، «التّرجمه الفارسيّه».

۲- (۲) المصدر السّابق، ص ۱۰۵.

۳- (۳) يورغن هوبرماس، العولمه و مستقبل الدّيمقراطيّه، ص ۸۸، «التّرجمه الفارسيّه».

۱۰. الخطّه العامه للبحث

الكتاب الّذى بين يديك عزيزى القارئ يشتمل على مقدّمه وثلاثه أقسام عامّه، وقد تعرّضنا فى المقدّمه إلى بيان مسأله البحث وضرورته والأسئله والافتراضات الأساسيّه، ثم أشرنا إلى أسلوب التّحقيق وسابقه البحث والمطالعات الّتى أنجزت فى هذا المجال وأخيراً إلى الأسس العامّه للبحث. أمّا المواضيع الأساسيّه لهذا الكتاب، فهى تنتظم فى ثلاثه أقسام عامّه وحسب التّرتيب التّالى:

القسم الأوّل ويتضمّن خمسه فصول:

الفصل الأوّل: ويختصّ بدراسه مفهوم وحقيقه العولمه والتّعاريف المتعلّقه بها، وتتكوّن فى مجموعها من سبعه تعاريف، ثم نحاول الوصول إلى تعريف جامع وأكثر واقعيّه، من خلال نقد ودراسه التّعاريف الآنفه، ونعتمد هذا التّعريف كأساس وملاك لتحليل المواضيع المتبقيّه.

الفصل الثّانى: نحاول فيه مطالعه سوابق العولمه من خلال نظره عابره إلى الأسس الفكريّه والتّاريخيّه لها.

الفصل الثّالث: ونبحث فيه حقيقه وإمكانيّه العولمه وأسسها الفلسفيّه والمعرفيّه، ونقد ودراسه النّظريّات المطروحه فى هذا المجال. ونقتصر على النّظريّات الأساسيّه منها، وهى أربع:

النّظريّه الأولى: وتفسّر العولمه على أساس الحداثه وامتدادها العولمىّ.

النّظريّه الثّانيه: نظريّه ما بعد الحداثه والّتى تطالع العولمه بنظره تتجاوز الحداثه وتعتقد بأنّ هذه المرحله هى مرحله العبور من العصرنه ونهايه لها.

النّظريّه الثّالثه: والّتى تحصر العولمه فى البُعد الاقتصادىّ، وتعتبرها عولمه للرأسماليه ونشراً لأنموذجها فى العالم.

النّظريه الرّابعه: وتُعتبر من أهم النّظريّات والّتى تعتقد بأنّ العولمه ما هى إلّا عمليّه طبيعيّه للنّمو والتّوسّع العلمىّ وتقنيات المعلومات الحديثه.

ص:۴۹

وفى الفصول المتبقيّه نشير إلى بعض النّظريّات الأخرى، مثل نظريه الأنظمه العالميّه، نظريه التّبعيّه المتبادله، نظريه صراع الحضارات لصاموئيل هنتغتون ونظريّه نهايه التّاريخ لفوكوياما، ونحلّلها فى إطار النّظريّات الأربع الآنفه.

القسم الثّاني: ويتطرّق إلى بحث مفصّل فى مجال عمليّه العولمه ومؤشّراتها وإفرازاتها الإيجابيّه والسّلبيّه، ويعقد فى عدّه فصول.

القسم الثّالث: وهو القسم الأساسىّ لهذا الكتاب، ويبحث فى مجال علاقه الدّين بالعولمه ويتطرّق بصوره تفصيليه للبحوث الآتيه: علاقه الدّين والعولمه، مكانه الدّين فى عصر العولمه، ضروره الدّين وآثار العولمه على مصيره، وحده الأديان أو التّعدديّه الدّينيّه، المعنويّه، الحركات الدّينيّه الجديده.

وأخيراً أرى من واجبى تقديم الشّكر والامتنان لمن ساهم وشارك فى إعداد هذا البحث، الدّكتور العلّامه السّيد أمير عباس زمانى الّذى أخذ على عاتقه توجيهى وإرشادى، السّيد الدّكتور محسن جوادى الّذى أعاننى كثيراً بإرشاداته ونصائحه الخالصه، أرجو لهم الموفقيّه فى خطاهم العلميّه والثّقافيّه.

ص:٥٠

القسم الاوّل: التّعرّف على عمليّه العولمه

اشاره

ص:۵۱

۱. تعریف العولمه (مناقشه التّعاریف)

اشاره

إنّ التّعریف قبل أن یکون موضوعاً نظریاً أو علما اصطلاحیّاً، هو فی الحقیقه ظاهره لشیء ما، إنّ المفهوم الّذی نتصوّره لمصطلح (العولمه) من الممکن أن یکون مبهماً وتجریدیّاً وانتزاعیّاً، أو یکون واضحاً وحقیقیّاً وواقعیّاً. ولکن المهمّ فی الأمر هو أنّ التّعریف الواضح والشّائع الاستعمال یؤدّی إلی انسجام الأبحاث المرتبطه به وعدم خروجها عن دائرته.

ونحن فی هذا الفصل سنسعی للوصول إلی تعریف علمیّ وواقعیّ للعولمه، ینأی بنفسه عن الانتزاعیّه والمثالیّه ویحاول أن یکون منسجماً والوقائع الخارجیّه قدر المستطاع، ویبتعد عن إبراز أبعاد ومجالات معیّنه للعولمه علی حساب أبعاد ومجالات أخری، أو یکون تفاؤلیّاً وإفراطیّاً یغطّی علی آثارها السّلبیّه، وسنحاول أیضاً تلافی الخلط بین مفهوم التّعولم والعولمه.(۱)

لقد عُرضت تعاریف متعدّده (للتّعولم) ومن المحتمل أنّها لم توفّق فی طرح تعریف موحّد وجامع لها؛ وذلک لأبعادها المختلفه وماهیّتها المتجدّده

ص:۵۳

۱- (۱) سنقتصر علی استعمال مصطلح العولمه و إن أُرید به التّعولم، ویُفهم المراد منه من خلال السّیاق إلّا فی موارد إراده التمییز فیما بین المصطلحین، جریاً علی شیوع استعماله فی معنی التّعولم کما أنّه لا تشاحّ فی الاصطلاح، «المعرّب».

والمتغيّره. ومن هنا لم يحصل اتّفاق فيما بين المفكّرين فى هذا المجال؛ وذلك لأنّ هذه العمليّه لم تصل إلى محطّتها النّهائيّه من التّكامل، فهى على الـدّوام تفرز أبعاداً جديده(۱) من جهه، ولتضـمّنها أبعاداً متعـدّده وجوانب متنوّعه من جهه أخرى، فلذا ينبغى الابتعاد عن النّظر إليها بنّظره ذات بُعد واحد.

إنّ بعض المنظّرين ركّز على الوجه الاقتصـاديّ وعرّف العولمه على أنّها عولمه الاقتصاد، فمن خلال إدغام الأسواق العالميّه على الصّعيد التّجاريّ، الاستثمار وقوانين إزاله العوائق التّجاريّه والاستثماريّه نصل إلى مرحله عولمه النّظام الرأسماليّ الغربيّ.

ماك غرو؛ أحد الباحثين فى موضوع العولمه، يفسّرها على أنّها: «نموّ العلاقات المتبادله والمتنوّعه بين الدّول والمجتمعات والّتى تؤدّى إلى تكوين نظام علميّ، وأنّ أىّ حـدث أو فعّاليّه أو قرار يتّخـذ فى أيّه بقعه من العالم يؤدّى إلى إفرازات وآثار مهمّه على باقى المجتمعات».(۲)

ويفسّرها فى مكـان آخر بأنّهـا: «ازديـاد عـدد الرّوابـط والاتّصالات المتبادله الّتى تتشـكّل خارج نطاق قـدره الـدّول، فتؤدّى إلى انخفاض قدرتها وتغيير مفهوم الهويّه المستنده إلى الأرض والتاريخ والقوميّه».(۳)

مـاكوم ووترز، يعرّف العـولمه بأنّهـا: «عمليّه تؤدّى إلى تغيّر وتـداعى الحـدود الجغرافيّه والنّظم الاجتمـاعيّه والثّقـافيّه وإلى اتّسـاع المعرفه العامّه».(۴)

مارتن آل بيرو، يرى بأنّها: «مجموعه عمليّات تؤدّى إلى التّرابط بين جميع سكان العالم فى مجتمع عالميّ متّحد وواسع».(۵)

۱- (۱) بيتر هانس، فخّ العولمه، ص ۱۴، «التّرجمه الفارسيّه».

۲- (۲) مالكوم ووترز، العولمه، «التّرجمه الفارسيّه لإسماعيل مردانى كيوى و سياوش مريدى».

۳- (۳) المصدر نفسه.

۴- (۴) المصدر السّابق، ص ۱۲.

۵- (۵) زهراء بيشكاهى فرد، ملاحظه ديموغرافيه حول العولمه، ص ۲۷.

انتونی غینز، یعتقد فی استعراضه للعولمه بأنّها: تُماثل العصرنه وأنّها أحد مراحلها ویری بأنّ (العصرنه هی عالمیّه بذاتها).(۱)

فوکویاما، المنظّر الأمریکیّ المعاصر، یدّعی بأنّ العولمه: «هی انتشار الثّقافه الغربیّه واستیلاء المدنیّه الأمریکیّه علی العالم، ویسمّی ذلک نهایه التّاریخ».(۲)

روبتسون، المنظّر المعاصر الشّهیر، یری أیضاً: بأنّ العولمه عملیّه تؤدّی إلی تصاغر العالم وتراکم المعرفه البشریّه. ومن خلال تأکیده علی الجوانب الثّقافیّه للعولمه یعتقد بأنّها: ستؤدّی إلی تبلور ثقافه عالمیّه واحده ولکنّها لیست کالّتی یدّعیها فوکایاما والآخرون، ولیست بمعنی محو الثّقافات المتعدّده والقیم الدینیّه والأخلاقیّه، ولکنّها بدل من إضعافها للدّین وإبعاده عن واقع الحیاه، فهی توفّر ظروفاً مساعده للحیاه المذهبیّه وانتشار تعالیمها.(۳)

أمّا عمانوئیل والرّشتاین، فهو یصوّر قیام عالم متّحد بهذا التّصویر: «إنّ العولمه هی عملیّه تؤسّس قنوات لإدغام المجتمعات النّائیه والمنزویه فی تبعیّه متبادله ووحده عالمیّه».(۴)

نقد ومناقشه التّعاریف

إنّ عرض أیّ تعریف جدید للعولمه ینبغی أن یسبقه تحلیل للتّعاریف المطروحه، وتشخیص نقاط ضعفها ومواضع عجزها، ومن خلال التأمّل فی ما طُرح من تعاریف یمکن استخلاص خمسه مفاهیم، هی کالتّالی:

الأوّل: (إطلاق حرّیّه التّجاره والاقتصاد).

۱- (۱) غینز، انتونی: إفرازات العصرنه «التّرجمه الفارسیّه لمحسن ثلاثی».

۲- (۲) فوکویاما: نهایه التاریخ.

۳- (۳) روبتسون، روناله: العولمه «التّرجمه الفارسیّه لکمال بولادی».

۴- (۴) عمانوئیل والرّشتاین، السّیاسه والثّقافه فی النّظام العالمیّ المتطوّر «التّرجمه الفارسیّه لبیروز إیزدی» فصلیّه مطالعات استراتیجیّه.

الثّانی: (الحکومه العالمیّه الشّمولیّه) ونفوذ وسیطره دوله واحده.

الثالث: (غربنه أو أمرکه العالم).

الرابع: (حرّیّه تداول المعلومات) وتسارع العلاقات العالمیّه جرّاء التّطوّر العلمیّ والتّقنیّ.

الخامس: (التدویل) وتجاوز الحاکمیّه، أی النظام الدّولی الواحد والشّمولیّه العالمیّه، ویمکن الإشاره إلی النّقاط المشترکه فیما بین التّعاریف المتقدّمه:

۱. الاختصار المتنامی للزّمان والمکان.

۲. محو الحدود الجغرافیّه والضّوابط القومیّه والوطنیّه، وبعباره أخری، محو الضّوابط الثّقافیّه والهویّه الدّینیّه والقومیّه وخفض قدره الحکومات.

۳. تنامی التّبعیّه المتبادله بین أبناء البشریّه جمعاء.

وکما جاء فی تعریف العولمه، من أنّها مرحله من النّظام الرأسمالیّ الغربیّ – حسب وصف البعض – وأنّها استمرار للعصرنه وانتشار لأنموذجها فی کلّ العالم – حسب تفسیر البعض الآخر – فقد أطلق علیها بول هارست وغراهام تومبسون عنوان (التّدویل) وعدّها البعض الآخر (تحریراً ورفعاً للموانع الطّبیعیّه) واختصاراً للفواصل الزّمانیّه والمکانیّه وحرّیّه تداول المعلومات وسهوله الاتّصالات العالمیّه. الطّائفه الرّابعه عنونتها بأنّها: «الامتداد العالّمی والسّیطره علی الثّقافات والمجتمعات الأخری». الیور، رایزر، وب دیفیز، یرون بأنّها «اندماج للثقافات».

لقد وصف التّعریف الخامس – والّذی یعدّ أکثر شیوعاً من غیره – العولمه بأنّها «غربنه» أی: جعل العالم غربیّاً أو صنع العالمیّه، والّذی اعتبره البعض استعماراً جدیداً أو تسلّطاً للإمبریالیّه الغربیّه فی العصر الحدیث.

ربما تعدّ کلّاً من هذه الآراء توضیحاً وشرحاً لواقع العصر الحدیث، ولکن نظراً للاختلاف الفاحش فیما بینها لا یمکن جمعها فی تعریف مشترک وجامع، بل إنّ کلّ واحد منها قد نظر إلی العولمه من زاویه خاصّه، حتی انّ

بعضـها ليس له أىّ وجه اشتراك مع الأخريـات، فالرأى الّذى يقول: بأنّها محو الحاكميّه أو ما بعـد الحاكميّه يختلف ويتضادّ مع الرّأى الّذى ذهب إلى أنّها تدويل أو انتشار للرّأسـماليّه. والرّأى الّذى وصـفها بأنّها تحرير يختلف اختلافاً فاحشاً عن الرّأى الّذى اعتبرهـا نهـايه للتّاريـخ وسيطره الثّقـافه الغربيّه. فبنـاءً على التّمييز فيمـا بين مصـطلح التّعولم ومصـطلح العولمه فإنّ أفضل تعريف للتّعولم هو أنّه التّـداول الحرّ للمعلومات وتعزيز وتنميه العلاقات الثّقافيّه والاقتصاديّه نوعيّاً وكمّيا بين مختلف المجتمعات والتّطوّر فى التّعامل مع القراءات القوميّه، التّبعيّه المتبادله، زوال الحدود، الثّقافه الجديده ومحو الهويّه.

فعلى سبيـل المثـال، مـا يؤخـذ على التّعريف الأوّل هو أنّنـا نلاحـظ أنّ العولمه لها أبعاد واسـعه وآثار مهمّه فى مختلف مجالات الحيـاه البشـريّه ولايمكن حصـر تأثيرها فى المجال الاقتصادىّ. وفى نقـد التّعريف الثّانى ينبغى التّـذكير بأنّ إحـدى الآثار المهمّه للعولمه هو تأثيرها على المبادئ الوطنيّه وحاكميّه الـدّول، بينما يأتى ماك غرو ليحصـرها فى إطار منطقه نفوذ الدّوله الوطنيّه. أمّا ما يلاحظ على تعريف آل برو، فإنّه لا يخلو من مناقشه؛ لعـدم عرض أدلّه كافيه ومقنعه لتأسّـى المجتمع العالمىّ المتّحـد من قبل أىّ من المنظّرين فى مسـأله العولمه، مع أنّ هكـذا أمر يحتـاج إلى عوامـل وممهّـدات لحصول الوحـده والانسـجام بين الهويّـات والثّقافات والمؤسّسات العالميّه.

ومع أنّ تعريف غينز والّذى يفترض فيه بأنّها انتشار للعصرنه، فمع أنّه يبدو منطقيّاً ولكن ينبغى القول إنّ كثيراً من مميّزات العولمه لاـ تتّفق وأسـس العصـرنه. ولاـ يعـدو أن يكون التّعريف السّـادس سوى دعوى إعلاميّه وسياسـيّه منه نظريّه علميّه، فليس له كثير ارتباط بالعولمه.

ومن خلال ذلك يتّضح بأنّ التعريف الدّقيق للعولمه ينبغى أن يتضمّن ثلاثه مفاهيم وميزات أساسيّه ومهمّه:

اختصار الزّمان والمكان وازدياد حجم وسرعه المعلومات.

التّداول الحرّ للمعلومات والّذى خرج عن نطاق السّيطره، وتغيّر المبادئ الوطنيّه والمحلّيّه ثقافيّه كانت أو اقتصاديّه أو سياسيّه.

تعزيز العلاقات والتّبعيّه المتبادله وتفاعل المجتمعات، وتغيّر الهويه الثّقافيّه والمبادئ السّياسيّه.

خلاصه الفصل الأوّل

أشرنا فى هذا الفصل إلى التّعاريف المتعدّده وغير المتقاربه للعولمه، واستطعنا من خلال استعراضها ومناقشتها الوصول إلى معرفه دقيقه وأكثر واقعيّه بها. واستنتجنا تعريفاً كاملاً يتطابق والوقائع الجاريه فى العالم، وسنعتمد هذا التّعريف كقاعده نطلق منها إلى البحوث القادمه. المسأله المهمّه فى هذا الفصل هى التّفريق فيما بين مفهوم التّعولم ومفهوم العولمه، والالتفات إلى الأبعاد المختلفه للتّعولم والابتعاد عن النّظره ذات البُعد الواحد فى التّعريف.

وبصوره عامّه يمكن تنظيم التّعاريف المطروحه بالشكل التّالى:

العولمه بمعنى (عولمه الرأسماليّه وقوانين التبادل التجاريّ الحر).

العولمه بمعنى التّبعيّه المتبادله فيما بين الدّول والمنظّمات وتأسيس نظام عالميّ واحد وتنميه العلاقات وتقبّل التّأثير العالميّ (والرّشتاين وغينز).

العولمه بمعنى رفع الحدود الجغرافيّه أو عدم جدواها وتقليل المسافات الزّمانيّه والمكانيّه وتعزيز المعرفه (روبتسون).

العولمه بمعنى (تبلور ثقافه عالميّه واحده مشتركه).

العولمه بمعنى غربنه العالم وفرض أنموذج المدنيّه الغربيّه (فوكويا).

العولمه بمعنى التغيير فى جميع الأسس الثّقافيّه والسّياسيّه والاجتماعيّه والصّيغ الموجوده فى العالم والتّحرّر من سيطره الدّول والحكومات.

۲. مطالعه للآراء والاتّجاهات

اشاره

لقـد أجريت دراسات متعدّده فی قضـیه العولمه، ولکنّها جمیعاً لم توفّق فی عرض نظریّه عامّه یمکن قبولها والرّکون إلیها. ونحن بدورنا سنمرّ مروراً عابراً علی بعض الآراء الّتی تتمحور فی ثلاث نظریّات أساسیّه لنقدها ومناقشتها.

یُعرّف أغلب منظّری علم الاجتمـاع العولمه، بأنّهـا عملیّه تنـامی النّظـام الفعلیّ الّـذی غیّر البنی العـالمیّه وأکسـبها قالباً جدیـداً. إنّ الشّـیوعیین وأنصـار نظریّه (النظـام العـالمیّ) یعـدّون العولمه المسـأله البـارزه فی هـذه المرحله، فالعولمه فی عقیـدتهم، ما هی إلّا انتشاراً للنّظام الرأسمالی، ولذا یرون بأنّ «منطق الرأسمالیّه هو منطق استعماریّ، وهی فی طریقها لأن تکون عالمیّه».(۱)

ومع أنّ البعض یری، بـأنّ العولمه مـا هی إلّـا غطـاء لسـیطره الرأسـمالیّه، فإنّ هناک من اعتبرها نوعاً من (التماثل المتنامی) الّـذی یؤدّی إلی الوحده الاقتصادیّه والثّقافیّه. وذهب إلی ذلک أیضاً مَن صوّر التّعولم علی أنّه عولمه -

---

۱- (۱) دیفد هولد و انتونی ماک غرو، العولمه و معارضوها، ص ۲۱، «التّرجمه الفارسیّه لعرفان ثابتی».

فرض العالميّه – أو غربنه. إنّ هذا التفسير ما هو إلّا اتّجاه (ليبراليّ) للترويج لانتشار الرأسماليّه الغربيّه.

إنّ كثيراً من المفكّرين يعتقدون بأنّ العولمه هى العصرنه بذاتها، ومن بين هؤلاء انتونى غينز،(۱) ففى رأيه إنّ العولمه ما هى إلّا استمراراً للعصرنه وبعباره أخرى، هى (عولمه العصرنه) فهو يعتقد (بأنّنا ما زلنا فى عهد العصرنه) وأنّ العصرنه أعادت هيكلتها وهى فى حال التّوسّع والتّطوّر.

يدّعى بعض أصحاب الرّأى: أنّ (عصر العولمه) يأتى بعد عصر الحداثه وأنّه يختلف عنه، وأنّ العولمه هى الوجه البارز لعصرنا الحاضر، وهذا نفسه ما يذهب إليه العصرانيون.(۲) فسكوت لاش وجون يورى، يرون بأنّ «العصرانيّه هى بذاتها عالميّه».(۳)

البعض الآخر يعتقد بأنّ العولمه، ما هى إلّا سفينه نجاه للرأسماليّه، ففى عقيده الشّيوعيّين أنّ الرأسماليّه وللتّخلّص والفرار من الانهيار قامت بتصدير الأزمات النّاجمه عن تراكم رأس المال وأزمه الشّرعيّه للاستيلاء والسّيطره على العالم.(۴) فلم تكن العولمه إلّا وجهاً للإمبرياليّه والّتى تحكى عن وصول النّظام الرأسمالىّ إلى طريق مسدود. وهذا ما يراه عمانوئيل والرّشتاين، اندريه غونر فرانك، سمير أميس، سو بول باران وآخرين يؤيّدون هذا الرّأى ويعتقدون بأنّها لم تكن سوى وليداً للرأسماليّه.

ويرى آخرون بأنّ ظاهره العولمه ما هى إلّا فخّاً أعدّته الدول الغربيّه المتقدّمه لاصطياد الدول المتخلّفه للسّيطره على أسواقها الاستهلاكيّه من

۱– (۱) و يمكن وضع اولريش باك وهوبرماس فى رديف أنصار هذه النّظريّه.
۲– (۲) مارتن آل برو (Martin Albrow).
۳– (۳) كيت نش، علم الاجتماع السّياسىّ المعاصر، ص ۷، «التّرجمه الفارسيّه لمحمّد تقى دلفروز».
۴– (۴) فصليّه مطالعات استراتيجيّه، (فى ماهيّه العولمه)، ص ۲۸۳.

خلال توحید الثّقافات وتهمیش ممیّزاتها. هذه المجموعه تعدّ العولمه مرادفاً للغربنه والأمرکه وصنع العالمیّه.

وفی مقابل ذلک یری البعض بأنّ العولمه هی عملیّه تحقّق تکثّراً للثّقافات وتنمیه شامله للعلم والتّقنیه والخبره وتبادل المعلومات فی القریه العالمیّه.

وهناک افتراضات أخری لخصوم آخرین علی صعید النّظام الّذی هو آخذٌ فی التّبلور، ومنها نظریّه نهایه التّاریخ لصاحبها فرانسیس فوکویاما والّتی تعنی نهایه التّکامل الأیدیولوجیّ للبشریّه وانتصار الرأسمالیّه الغربیّه.

وهناک نظریّه طُرحت فی العقد الأخیر للقرن العشرین ولاقت رواجاً أکبر بین المفکّرین والسّیاسیّین، وهی نظریّه صراع الحضارات لمبتکرها صاموئیل هنتیغتون. ففی رأیه أنّ الأزمه العالمیّه القادمه هی أزمه ثقافیّه ودینیه.(۱)

ویذکّر الوین تافلر بعالم تؤدّی فیه ضروره الوفاق ومجارات العملیّات النّاتجه عن صراع الموجات التّاریخیّه إلی نوع من التّبعیّه والتّرابط المتبادل وشمولیّه القیم الثّقافیّه.

فمن خلال ماتقدّم یبدو أنّ المؤشر الأساسیّ للعولمه هو بعدها الثّقافیّ وذلک للأسباب التّالیه:

أوّلاً: إنّ ماهیّتها الثّقافیّه والفکریّه تغطّی علی أبعادها الأخری.

ثانیاً: إنّ أبعادها السّیاسیّه والاقتصادیّه لها بؤر محدّده ومتمرکزه مع أنّها عملیّه تتحرّک بما هو أبعد من الزّمان والمکان والقومیّه والحدود.

ثالثاً: إنّها تسیر وفق قاعده معیّنه فی علاقتها بالإنسان، فهی لیست سلعه أو ما شابهها.

۱- (۱) السیّد علی أصغر الکاظمی، عولمه الثّقافه و السّیاسه، ص ۱۶، «باللّغه الفارسیّه».

نقد ومناقشه الآراء

مناقشه النّظريّه الأولى

إنّ بعض المنظّرين اعتبروا العولمه بمثابه (التعصرن) وأنّها ثمره الرأسماليّه التّوسعيّه الّتى انعتقت من قيود الدّوله - الشّعب ولبست ثوباً استعماريّاً جديداً وغطّت مختلف أصقاع الدّنيا. إنّ هذه النّظريّه تبيّن أنّ العالم المعاصر لم يكن استمراراً لعصر العصرنه.

مناقشه النّظريّه الثّانيه

إنّ الّذين ينفون علاقه العصرنه بالعولمه ويؤكّدون على العلاقه الوثيقه فيما بين العولمه والرأسماليّه يعتقدون بأنّ العولمه غالباً ما تكون ذات بُعد اقتصاديّ.

و للإجابه عن ذلك ينبغى القول: «بما أنّ الرأسماليّه ذات عقليّه تحرّريّه تعارض القيم الأخلاقيّه والمذهبيّه، فهى فى واقع الأمر تبتنى على العصرنه».(۱) وفى أنّ الّذين يؤكّدون على علاقه العولمه بالعصرنه ويعتقدون أنّها أحد مراحلها التّكامليه، يغفلون عن أنّها فى بعض وجوهها تكون فى تضادّ مع العصرنه.

فالعصرنه تعتمد المركزيّه والعقلانيّه الحداثتيه والشّموليّه ونفى الآخر والنّزعه الإنسانيّه و العلمانيّه، فى حال أنّ العولمه تتهرّب من كافه تلك الوجوه، وهى نظريّاً وبنيويّاً وعمليّاً تختلف والعصرنه. من جهه أخرى، فإنّ العصرنه تتعارض مع كثير من المقولات والثّقافات، مع أنّ العولمه تستطيع مجاراه الثّقافات السّائده، أو أنّها ولكونها عمليّه عامّه تُكسب المشتركات الحضاريّه والثّقافيّه شكلاً جديداً من الثّقافه العالميّه. إنّ التّعريف العلميّ الّذى ارتئيناه للعولمه يصوّر الحاله الجديده من التّعامل وتبادل المعلومات وتواصل الثّقافات، فهى بهذا المعنى لا تحمل أيّه أيديولوجيّه خاصّه، ولكن من

۱- (۱) عماد افروغ، مجموعه مقالات: «الإسلام الشّمولىّ والعولمه»، ص ۳۲.

الممكن أن تبرز ثقافه ما لأسباب خاصّه وتستولى على غيرها من الثّقافات والحضارات بما تمتلكه من إمكانات فى الفضاءات العالميّه الجديده. ولكنّ المقتضى الأوّلى للعولمه هو أنّها حاله و عمليّه وفرصه تستبطن إمكانات عالميّه وحديثه ولا تختصّ بكونها تحمل ثقافه خاصّه وأيديولوجيّه مميّزه، فلا ضروره لحصرها فى البعد الاقتصاديّ و السّياسىّ، أو أن تتطلّب وحده ثقافيّه ونظام عالميّ واحد. وفى عقيدتنا أنّ العولمه لا ـ تحمل أيّه ثقافه غربيّه أو أنّها تخترع ثقافه عالميّه شموليّه، وإنّما يرتبط الأمر بالثّقافات ذاتها فى قدرتها على التنافس لإبراز تفوقها اعتماداً على معاييرها ومبادئها الخاصّه.

مناقشه النّظريّه الثّالثه

إنّ من أبرز المنظّرين فى مسأله العولمه هو ديفد هارفى، ففى كتابه (حاله العصرانيّه) يربط العولمه بالعصرانيه ويتكهّن باتّخاذ الرأسماليه صفه جديده يسمّيها (العصرانيّه المرنه). ففى اعتقاده أنّ العولمه الرأسماليّه ظاهره مستحدثه، ولكنّ العصرانيّه المرنه أكثر بروزاً فى تضمّنها ازديادا فى الاكتشافات وتراكماً للزّمان والمكان نتيجه تقنيه المعلومات ووسائل اتّصال فعّاليات النّظام الرأسماليّ.

إنّ الرأسماليّه الحداثويّه تعمل بصوره جادّه من أجل كسب أسواق جديده وتنميه وتطوير منتجاتها وتغيير سلائق وأذواق النّاس لتصريفها عن طريق استغلال وسائل الإعلام والإعلانات التّجاريّه. فالميزه الثّقافيّه لهذه العمليّه هى التّلوّن، عدم الثّبات، الضحاله الفكريّه، ترويج الأساليب والموضات الحديثه، عدم التّجانس، التّكثّر، عدم التّرابط، الفوضى والتّيه الثّقافىّ فى مقابل الأصاله والثّبات و العمق الفكريّ والرّويه العقليّه. ومن هنا فالعصرانيّه ليست سوى «العبثيّه» و «الاضطراب».

ص:۶۳

معارضو العولمه

وفی مقابل أنصار العولمه، تواجهنا طائفتان باتّجاهین مختلفین؛ الیساریّه الإفراطیّه ذات الاتّجاه الشّیوعیّ والهاجس السّلطویّ والسّیطره الغربیّه. والأخری الیمینیّه اللیبرالیّه المتوجّسه من عوده الشّیوعیّه وسیطرتها علی العالم، وتعیش الطّائفتان حاله القلق من خطر التّوحّد العالمیّ، سواء کان بلونه الشیوعیّ أم بثوبه الإمبریالیّ. مع وجود أطراف أخری بأصولیّتها الذّاتیّه والثّقافیّه والتّاریخیّه والمذهبیّه تقف بمبرّراتها الأصولیّه والقومیّه فی مواجهه تیّار العولمه، لتنأی بنفسها عن نتائجها المهوله. وهنا ینبغی التّساؤل فیما إذا کان من الممکن السّباحه عکس تیّار العولمه؟ وهل یمکن السّیطره وکبح مدّها العاصف والمدمّر؟ فما هو ردّ تلک الطّائفتان؟

إنّ الإجابه عن هذه الأسئله یرتبط بالإدراک العمیق لعملیّه العولمه وفهم الآراء الّتی دارت حولها، فعلی سبیل المثال، إذا قلنا بأنّ العولمه هی استمرار للعصرنه، فسیکون من العسیر تلافیها والسیطره علیها أو إمکان توجیهها؛ لأنّ العصرنه وفیّه لمبادئها الخاصّه، ومبتنیه علی العقلانیّه و التّطوّر و التّجدّد، وتتّصف بعدم المحدودیّه، وذات اتّجاه مادی، وعلمانیّ، فستکون للعولمه المبتنیه علی العصرنه نفس هذه المیزات أیضاً، إلّا فیما لو نظرنا إلیها علی أساس غیر أساس العصرنه، وفی هذه الحاله ینبغی النّظر إلی أنّ الآثار الّتی رافقت عولمه العصرنه، هل هی نفسها الّتی ستفرزها العولمه أم لا؟

بعض المفکّرین یعتقد بأنّ العولمه ذات اتّجاه علمانیّ ومادیّ، فسیکون «الدخول والالتحاق برکبها یعنی القبول بأصول التغریب وأسس الحضاره الغربیّه. وأنّ دخول العالم الإسلامی فی هذه اللعبه یستتبعه أخطار جسیمه».(۱)

ص:۶۴

۱- (۱) رامین خانکی، فصلیّه کتاب النقد، ص ۲۹ (العدد ۲۴-۲۵). وعماد افروغ، مجموعه مقالات، ص ۲، «باللّغه الفارسیّه».

ويعتقد هذا البعض بأنّ هذا يتنافى وأهداف ومبادئ وحقيقه الإسلام، ففى عقيده هذه المجموعه إنّ هذه الشّعارات البرّاقه والخدّاعه من الدّيمقراطيّه، الليبراليّه، المجتمع المدنىّ العالمىّ، الأمن والنّظام العالمىّ الجديد، الإداره العالميّه، القريه العالميّه، العولمه والتّعولم يكمن خلفها الاستعمار الغربىّ الإمبريالىّ الجديد.

أمّا المروّجين للعولمه فلم يكونوا موفّقين فى طرح أفكارهم الحالمه حول الحضارات والنظام العالمىّ الجديد وترويج الدّيمقراطيّه والثّقافه الغربيّه. فعادوا اليوم لاستخدام العولمه كوسيله لتحطيم مقاومه الشعوب وصلابتها العقائديّه والفكريّه. ولأجل تحقيق أهدافهم عرضوا شعاراتهم الجديده تلك، كالواقعيّه، مبدأ النسبيّه، مبدأ الشك والمجتمع ذو الثّقافات المتعدّده، كى تُعرض الشعوب عن ثقافاتها وأديانها وتقاليدها وتراثها أو تصاب بالتردّد والحيره، ومن ثم يتمكّنون من الاستيلاء عليها، من خلال توحيد النّظام العالمىّ ويحقّقوا أهدافهم الاستعماريّه. فهم يروّجون لقضيّه «أنّه لا يمكن الوقوف بوجه تلك القوّه العالميّه الغامضه والعصيّه على السّيطره ولابدّ من الاستسلام لجبريّتها التّاريخيّه».(۱)

فالعولمه فى رأى المعارضين، ما هى إلا بعبع ونمر من ورق، قبل أن تكون حقيقه خارجيّه. و يؤكّدون بأنّ عوامل تحقّق مثل هكذا مسأله والّتى يتداخل فيها البعد الثّقافىّ والاقتصادىّ والسّياسىّ والعملىّ لتشكّل نظاماً واحداً ومتّحداً، غير مهيّئه فعلاً.

الاعتراض الآخر لهذه الطّائفه، أنّ العولمه على فرض تحقّقها سيكون لها آثار مبهمه غامضه، وتؤدّى إلى اتّساع نطاق انعدام العداله، الفقر، فقدان الأمن، الأزمات الاجتماعيّه، البيئويّه والاقتصاديّه... الخ. ففى عقيده هؤلاء أنّ

۱- (۱) المصدر السّابق، ص ۴۷.

العولمه ليست قضيّه طبيعيّه أو عقلائيّه، وإنّما - وكما أفصح عنه بعض المنظّرين - ما هى إلّا مصيده ومشروعاً إمبرياليّاً جديداً للسّيطره الغربيّه وقهر المجتمعات والثّقافات الأخرى.

المؤاخذه الأخرى الّتى طرحها هؤلاء، هى أنّ العولمه تتضمّن تناقضاً ذاتيّاً على المستوى النّظرىّ؛ لأنّها تعكس انتصار القيم الثّقافيّه الغربيّه من جهه، ولكن هذه القيم ذاتها لم تستطع التّفوّق على أنظمه ثقافيّه واقتصاديّه معاصره كالصّين واليابان على المستوى الاقتصادىّ، والإسلام على المستوى الثّقافىّ.

ويؤكّد هؤلاء، أنّ العولمه إذا كانت مجرّد قناع وغطاء لقوى ومصالح خاصّه، لا يمكنها أن تكون نتاجاً للآراء المتوافقه والمتناغمه، ولكنّها مساومه على الاستضعاف والانسحاق، وتؤدّى إلى الحرمان والكبت وقصر الألوان واستحاله الفرد والتعرّض لأقصى حالات الاستغلال.(۱)

فرانسوا ليوتور، يعتبر أنّ احتمال حصول اتّفاق فى الآراء فى أىّ علم ذى قيمه إنسانيّه يعدّ فى الحقيقه انعكاساً لنوع من الوحشه والاختلال، فيقول: «بما أنّنا قد عشنا الرّعب والاضطراب خلال القرنين التّاسع عشر والعشرين وسدّدنا فاتوره الإحساس بالغربه الجماعيّه والفرديّه، واليوم ونحن نعيش الآمال العريضه فى الراحه والاطمئنان تتناهى إلينا أصداء عوده الرّعب لتنشب مخالبها فى النّفوس، فينبغى أن نهتف: أن تعالوا لنقف وقفه واحده للثوره والمواجهه الشّامله».(۲)

عندما ننظر إلى الطّموحات الشّيوعيّه والاشتراكيّه الحالمه، نرى بأنّ تحذيرات ليوتور مقبوله ومنطقيّه، وعندما نلاحظ الإبداعات الجنونيّه للقياده الرأسماليّه والّتى تدّعى المحوريّه العالميّه والعولمه، ندرك المخاطر الّتى أطلقها ليوتور.

ص:۶۶

۱- (۱) دوس، الثّقافه والمجتمع، سنه ۱۹۸۷، ص ۲۹۹.

۲- (۲) ليوتور، ۱۹۸۴.

إنّ منتقدو العولمه يرون بأنّها بحدّ ذاتها تنطوى على أضـرار ومفاسد لايمكن الاسـتهانه بها، ولذا فهم يطالبون بإيقافها والإعراض عنها.

الطّائفه الأخرى المعـارضه للعولمه هم الأصوليّون الّذين يؤكّدون على الحاكميّه الوطنيّه، الوشائـج التّاريخيّه، الاقتصاد الوطنىّ، الثّقافه المحلّيّه وإعاده الحياه للتعاليم الدّينيّه ولأجل ذلك فقد شـمّروا عن سواعدهم للإطاحه بهذه العمليّه. وفى هذا الوسط الّذى أشـرنا إليه يوجـد بعض البوذيين، اليهود، الهندوس، المسـلمين الّذين يرغبون بإعاده الحياه للتّعاليم الدّينيّه ويحاولون نفض الغبار عن عقائـدهم والمحـافظه على أصولهم سـننهم. أبـدوا موقفـاً آخر تّجـاه العولمه على خلاف الأصوليّين، ففى نظرهم أنّ المطالبه بإيقاف أو معارضه العولمه ليست حلّاً منطقيّاً، و إنّما الحلّ هو فى استمرارها وتوجيهها باتّجاه أسس ومبادئ معقوله.

صنف آخر من المعارضـين لمسـيره العولمه الفعليّه هم الاشتراكيّون الّذين يروّجون لصبّ العولمه فى قوالب اشـتراكيّه وينـادون بعالم ما بعد الرأسماليّه.(۱)

خلاصه الآراء

لاحظنا حتّى الآن صورتين متضادّتين للعولمه:

ففى رأى البعض أنّ إقامه علاقات ثقافيّه عميقه فيما بين الأمم والمجتمعات يؤدّى إلى إيجاد عقليّه عالميّه واحده.

إنّ الثّقافه العالميّه المعاصره هى نتاج ثقافه خاصّه، وهى الثّقافه الغربيّه الّتى هى فى طور الاتّساع وهضم جميع الثّقافات.

إنّ الدّراسات الّتى تجرى اليوم على صعيد آثار العولمه وقيام المجتمع

۱- (۱) ظاهره العولمه، ص ۳۹، «باللّغه الفارسيّه» هولد، ديفد وماك غرو وانتونى، العولمه ومعارضوها، «التّرجمه الفارسيّه لعرفان ثابتى» ص ۲۲.

المعلوماتىّ المبتنى على التّطوّر الثّقافىّ المعاصر، هى فى بدايه مشوارها وقد تمثّلت باتّجاهات مختلفه:

الاتّجاه الأوّل: ويركّز على العلاقه بين الثّقافه والاقتصاد. وهذا الاتّجاه يروّج للقيم الحديثه الّتى هى نتاج لانتشار النّظام الرأسمالىّ والاستهلاكىّ والّتى هى فى طور التّبلور.

الاتّجاه الثّانى: وينظر إلى المسأله من خلال العلاقه الجديده النّاشئه من العلاقه بين الثّقافات أو صراعها، والّتى يُنظر إليها بعنوان العامل الفارق والمصيرى فى العصر الحاضر، كنظريه هنتيغتون.

الاتّجاه الثّالث: ويعتقد بأنّ المسأله ترتبط بالعلاقه فيما بين الثّقافه والسّياسه. فقد أدّى ظهور الثّقافه العالميّه لسحق التّعاليم التّقليديّه والمحلّيّه واتّخذت منحاً معارضاً كنظريه الحكومه – المواطن وتسبّبت فى إضعاف الحاكميّه الوطنيّه، وهذا ما تبيّنه نظريه الأنظمه العالميّه لوالرشتاين.

الاتّجاه الرّابع: وهو الّذى يتطرّق إلى المسأله من خلال العلاقه بين الثّقافات، فبناءً على هذا الاتّجاه فإنّ انفصام وتدابر الثّقافات الغالبه، المنتجه، الثّابته، الغازيه، المبدعه والمنفعله مستمرّ وغير منقطع. ولكنّ الظواهر الجديده غير المتجانسه لكلّ تلك العلاقات تؤدّى إلى سحق الثّقافات الصغيره والهامشيّه.

الاتّجاه الخامس: ويحلّل القضيّه من خلال الثّقافه والمجتمع، فإنّ مجاراه كثير من النخب للثّقافه العالميّه الّتى تحكمها مشاكل وقيم المجتمعات المتقدمه، يؤدّى إلى تلاشى واضمحلال الثّقافات القوميّه، ويُدخل المجتمعات الإنسانيّه فى فراغ معنوىّ وذاتىّ، وما ذلك إلّا نتاجاً لتأسيس ثقافه قائمه على البُعد الاقتصادىّ وقد وُضع ذلك فى أولى مهامّ منظمّه التّجاره العالميّه.

إنّ هذه الثّقافه العالميّه لم تُنتج ولم تُهدنا سوى: تحطيم الأواصر الاجتماعيّه، محو القيم الدّينيّه والأخلاقيّه، ترويج الأخلاق البرجوازيّه، أمّا

القيم والأصول المذهبيّه فهى ليست غير مقبوله فقط، وإنّما تعدّ سدّاً فى طريق العصرنه الغربيّه.

خلاصه الآراء والاتّجاهات

إنّ هنـاك خلافـاً حـادّا فى مسـأله العولمه الّتى تحوّلت إلى كـابوس يُؤرّق البشـريّه فكريّـاً واجتماعيّاً، ويبتـدئ هـذا الخلاف من تعريفهـا ويمرّ بتاريخها وأبعادهـا ويسـتمرّ إلى إفرازاتهـا ونتائجهـا، ففى وقـت اعتبرهـا البعض مـن مميّزات ومؤشّـرات المرحله المعاصـره وتحـدّث عن تطوّراتها المـذهله، نظر إليها بعض آخر بمنظار الريبه والحذر فأنكر واقعيّتها واعتبر الضـجّه المثاره حولها مبالغ فيها. وفى مقابل هؤلاء هناك من يعتقد بأنّ العولمه ماهى إلّا مشـروعاً اسـتعماريّاً للنّظام الرأسـمالىّ لنهب خيرات العالم. أمّا المؤيّدون لها فبعضهم اعتبرها عمليّه علميّه تمخّضت عن التطوّر والتّقدّم التّقنىّ.

و قد اتّخذ المؤيّدون والمعارضون اتّجاهات متباينه تّجاهها، ويمكن إيجاز أقوال المؤيّدين فى أربعه آراء:

إنّها عمليّه (عولمه الرأسماليّه).

إنّها بمنزله (عولمه العصرنه).

إنّها (تجاوز للعصرنه) ودخول فى العصرنه الشّموليّه (ما بعد العصرنه).

إنّها نتاج للتّقدّم العلمىّ والتّقنىّ الحديث.

ويعتقـد هؤلاـء أنّ جميع المميّزات والعلاـئم الّتى ذكرتهـا التّعـاريف الأـخرى هى مـن مسـتلزمات هـذه العمليّه كزوال الحـدود الجغرافيّه والمذهبيّه، النّمو المعرفىّ، السّرعه الفائقه، توثيق العلاقات والتّبعيّه المتبادله فيما بين الأمم.

۳. نظرّیه عولمه العصرنه

مناقشه النظریّه الأولی (عولمه العصرنه)

اشاره

یـدّعی بعض المفکّرین: أنّ العولمه هی عملیّه تطویر للعصـرنه وتمثّل إحـدی مراحلها، ولأجل إثبات دعواهم هـذه ینبغی علیهم أوّلاً بیان العلاقه البنیویّه والسّـببیّه فیما بین العصرنه والعولمه بطریقه منطقیّه واستدلالیّه، ویکشفوا عن کیفیّه انتقال وتطوّر العصرنه ودخولهـا مرحله الشّـمولیّه. وینبغی ابتـداءً دراسه وتحلیل کیفیه انحصار ارتکاز العولمه علی أسـس العصـرنه، ولهـذا سوف نشـیر إشـاره مقتضـبه إلی مفهوم العصـرنه وأسسـها قبـل التطرّق إلی ممیّزاتها ومقتضـیاتها ثم نتحـدّث عن إمکانیّه تحوّل العصـرنه إلی العولمه، وهل أنّ العولمه الحالیه تنسجم ومقوّمات العصرنه أم لا؟

۱. مفهوم العصرنه

إنّ لفظه العصـرنه أو الحداثه مشتقّه من لفظه العصری أو الحدیث وتأتی بمعنی المعرفه المتطوّره بالعالم وبالنّفس الّتی تقوم علیها الحیاه حاضراً والإبداع والابتکار لأجل الأهداف القادمه.

ص:۷۱

فالعصرنه: هی کلّ ما یحتاجه الإنسان علی طریق التّطوّر والإبداع والّتی یستطیع بواسطتها أن یمارس حیاته، دون أن یرتبط بأیّه ثقافه أو تقالید. وقد طُرحت للعصرنه معانٍ متعدّده حسب المراحل الّتی مرّت بها، فتراوحت بین الهدفیّه فی مجال الفن والأدب إلی التّطوّر فی الفلسفه، العلم، الاقتصادف المؤسّسات الاجتماعیّه الدینیّه والسّیاسیّه، وسنرکّز علی بعض التّعاریف الجامعه نسبیّاً من بین التّعاریف المطروحه:

۱-۱. یقول مارشال برمان فی تعریفها: «هناک نوعاً من الوحده التّناقضیّه فی العصرنه؛ فهی تدعونا إلی الحیاه والتّوالد المتجدّد، الطّراوه والتّحدیث والإبداع والانفصال عن الجمود والثّبات، وإلی الوحده والشّمولیّه والحداثه؛ بمعنی الاتّجاه نحو التّقدّم والتّطوّر والتّکامل والتّغییر والسّعی الدّائب للنّمو وتوسیع الطّموحات الإنسانیّه خارج الحدود الجغرافیّه والمحلّیّه والعِرقیّه من جههٍ، والدّعوه إلی الکفاح والمعارضه والتّغییر غیر المتناهی من جهه أخری».(۱) إنّ هذا التّضاد والدّیالکتیک یستتر فی ذات العصرنه.

۱-۲. وجاء فی تعریف آخر لها:

«إنّ معنی الکون عصریّاً هو أن نجدّد أوضاعنا وأحوالنا لیکون محیطنا واعداً بالمغامرات المختلفه والقوّه والسّرور، إنّ العصرنه هی الّتی توحّد جمیع البشر وحده تکون فی ذاتها أسیره التّناقض، وحده غیر متّحده تؤدّی إلی التّمزّق والتّلوّن المستمرّ والنّضال ومضادّه الواقع المعاش والغموض والاضطراب والانفصال».(۲)

۱-۳. الآن تورن یقول أیضاً: «إنّ العصرنه بمثابه الرّابط الدائم والممتدّ فیما

ص:۷۲

۱- (۱) حسین علی نوذری، العصرنه والتّعصرن، ص ۲۱۴، «باللّغه الفارسیّه».

۲- (۲) بابک أحمدی، العصرنه والفکر الانتقادیّ، ص ۲۵۸، «باللّغه الفارسیّه».

بين العقل والعالِم العارف. وهى كذلك بمثابه اكتساب العقلانيّه والرّوح التّنويريّه، النّهضه، الإصلاحات، العلم والحرّيّه».(۱)

۲. أسس وجذور العصرنه

۲-۱. ذات إيمان راسخ بالإنسان على صعيد المعرفه والذّهنيّه.

۲-۲. الاعتقاد بالحرّيّه المطلقه للإنسان على صعيد الإراده والعمل.

۲-۳. تحاول تطوير إدراك الإنسان للزّمان والمكان، وتفتح له آفاقاً فكريّه غير محدوده.

۲-۴. ذات نظره آليّه للإنسان والعالم، وتنكر أصاله القيم الميتافيزيّه.

۲-۵. ذات اتّجاه شديد نحو العقلانيّه.

۲-۶. الحضاره المعاصره تتّصف بالتّجدّد والفعّاليّه الذاتيّه وتمتلك القدره على الإبداع والتّوالد المستمرّ والدّائم.

ولذا «فالعصرنه ذاتاً تنحو نحو العالميّه وليس من خلال تأثيرها وانعكاسها العمليّ».(۲) إنّ هذا الامتياز فى عدم المحدوديّه والشّموليّه أكسبها بُعداً وصفه عالميّه. ولأجل هذا، فالعصرنه من حيث جذور وعلل تكوّنها، ظاهره غربيّه، ولكن من حيث عملها وتأثيرها، فهى فى حاله شموليّه وعولمه. وعلى هذا ينبغى النّظر فى الأدلّه المطروحه للعولمه العصرانيّه من خلال مميّزات وأسس العصرنه.

۱. يستدلّ هيجل وبعض فلاسفه الغرب بأنّ الحضاره المعاصره تعدّ من أفضل الحضارات البشريّه؛ لاعتمادها العقلانيّه ومحوريّه العلم. ويؤيّد الكثيرون هيجل فى ذلك، ولكن تعرّضت فكرته هذه لنقد لاذع من عدّه لايستهان بها.

۱- (۱) حسين على نوذرى، العصرنه والتّعصرن، ص ۲۱۴.

۲- (۲) عطاهودشتيان، العصرنه والعولمه وإيران، ص ۱۷۰، «باللغه الفارسيه».

٢. إنّ جميع الفلاسفه المعاصرين الّذين جاؤوا بعد ديكارت يعتقدون اعتقاداً راسخاً بالعقلنه والأسلوب العلميّ والإنسانيّ، وإنّ إطلاق يد الإنسان فى السّيطره على الطّبيعه والعالم يعدّ أساسيّاً لانتشار العصرنه وتناميها، فمنذ عصر التّنوير، غدا العلم أسلوباً مناسباً وعاملاً أساسيّاً للتّقدّم البشريّ فى كافّه المجالات. وأصبح الأنموذج التّنمويّ الأمثل لجميع الأمم.

٣. لقد صوّر بعض المفكّرين وعلماء الاجتماع(١) مراحل التّطوّر والعولمه العصرانيّه من خلال بعض الأمثله والشّواهد الخارجيّه وحدّدوا مدى ترابط هذه التغيّرات العالميّه بالعصرنه. فذكروا فى هذا المجال الثّوره الأولى أو النهضه العلميّه فى أوربا، وهى الّتى فسحت المجال للوصول إلى تقنيه الاتّصالات والاكتشافات المتطوّره، وإنشاء المؤسّسات الدّوليه والمنظّمات الإقليميّه والعالميّه، الاتّجاه العالميّ فى السّياسه والاقتصاد... الخ، كلّ ذلك يعدّ من مكاسب الحضاره الغربيّه المعاصره.

والآن وبعد أن اتّضح تعريف العصرنه ومؤشّراتها وأسسها لنرى هل أنّها فعلاً ذات صفه عالميّه أم لا؟ فى الجواب على ذلك ينبغى القول: إنّ العصرنه ظاهره غربيّه وبعباره غينز فى كتابه (إفرازات العصرنه): إنّ العصرنه هى (مشروع غربيّ) وليست ظاهره غربيّه، ومن هنا ولكى نحدّد مكانه العصرنه، وهل أنّ منشأها غربيٌّ أم لا؟ وهل أنّ العولمه هى بمعنى انتشار وغلبه الثّقافه الغربيّه؛ لارتباطها وتبعيّتها لأسس العصرنه؟ وهل أنّ العصرنه وبسبب صفتها الشّموليّه من العقلانيّه والعلميّه لا تستطيع أن تبقى حبيسه فى نطاق عالمها الغربىّ؟ إنّ الّذى جذّر العالميّه وعدم المحدوديّه فى العصرنه هو «نوع نظره الإنسان المعاصر إلى العلم والإراده والعمل البشرى».(٢)

ص:٧٤

١- (١) . Robertson and Gidens.

٢- (٢) المصدر السّابق، ص ١۶٩.

وهل أنّ عدم محدوديّه الإراده والرغبه والتّفكّر لدى الإنسان الغربيّ المعاصر قد أطلقت يده فی العالم، وألهمته إدراكاً فكريّاً وعلماً وعملاً وحرّيّه غير محدوده؟ إنّ الجواب على هذا السؤال الأساسیّ يتطلّب معرفه مميّزات العصرنه ومؤشّراتها.

إنّ إحدى مميّزات العصرنه هو «عالميّتها وعدم محدوديّتها فی مجال الفكر والعمل». ويمكن القول عموماً: إنّ هناك عدّه مؤشّرات على عدم محدوديّه العصرنه فانتونی غينز الّذی يعدّ من أنصارها العنيدين يؤكّد من خلال دراسه وتحليل تأثير مؤسّسات العصر الحديث على المجتمعات الأخرى، أنّ العصرنه تمرّ فی حاله توسّع وعولمه. ويعتقد أنّ العولمه هی بمعنى ترويج المؤسّسات الغربيّه وأنّ العصرنه عالميّه بطبيعتها. وفی كيفيه تأثير العصرنه على الثّقافه، الاجتماع، الاقتصاد والسّياسه يذكر بأنّ لعمليّه عولمه العصرانيّه إفرازات وأخطار مع ما لها من مكاسب مذهله، ويرى بأنّ التّطوّرات الهائله والميول العولميّه هی من أسباب المؤسّسات الحديثه ومن مقتضيات العصرنه.

وكما أشرنا آنفاً فإنّ إحدى مميّزات العصرنه ومقتضياتها الطّبيعيّه هو شموليّتها وأيضاً انتشارها عالميّاً والّذی يعدّ من مستلزمات العلميّه والمحوريّه العقليّه للعصرنه. فالعصرنه إضافةً إلى مقتضاها العولمیّ، فهی تبتنی أيضاً على أصاله الفرد والتحرّريّه ثقافيّاً واقتصاديّاً. وكذا على الصّعيد الاجتماعیّ والنظام الحكومیّ وقضايا الحقوق والملكيّه، فهی ترتكز على التّقدّميّه، وأصاله الحرّيّه المطلقه فی كافّه شؤون الحياه. وعلى الصّعيد الفلسفیّ والدّينیّ تقول بفصل العلم عن الدّين، و الدنيا عن الدين وبحسب التعبير الشّائع فهی ذات اتّجاه علمانیّ. ونظراً للأسس النّظريّه للعصرنه وحقيقتها الخارجيّه والتّجريبيّه فهی لا يمكنها المساومه والتّعاطی مع الثّقافات و التّقاليد الفكريّه والمذهبيّه

للمجتمعات الأخرى، وعلى أساس مقتضاها الشّمولىّ وإبائها عن القبول بأىّ منع ومحدوديّه، فهى تتّجه صوب القضاء على الثّقافات الأخرى. ولأجل هذا فإنّ القبول بالعصرنه هو بمعنى القبول بأسسها وعناصرها الأوّليّه، وكذا مستلزماتها وتبعاتها الثّقافيّه والاقتصاديّه والاجتماعيّه. ولذا فإنّ العولمه الّتى ترتكز على أسس العصرنه أو العولمه العصرانيّه، لها مخاطر وتبعات العصرنه نفسها.

۳. نقد العصرنه

اشاره

لقد تعرّضت العصرنه كنظام فكرى وفلسفى لنقود وطعون متعدّده، فضلاً عن ما أصاب أسسها النّظريّه والمعرفيّه من إشكاليّه وأزمه، فمع كلّ ذلك هل يمكن التّحدّث عن عولمه العصرانيّه وهل من الممكن تحقيق المثال والطّراز العولمىّ؟

قبل الإجابه عن هذا السّؤال سنتعرّض فى البدايه إلى الأزمات والإشكاليّات الّتى تواجهها العولمه، ثم نعرج على تحليل إمكانيّه تعولم العصرنه.

أزمات العصرنه

۳-۱. نقد العقلانيّه الحديثه

تعدّ (العقلانيّه) من أهمّ مؤشّرات العصرنه، فلا يمكن نقد العصرنه دون التعرّض لنقد العقلانيّه. إنّ منتقدى العصرنه قد تعرّضوا لتقويم العقلانيّه الحديثه ومكانتها وفائدتها من زوايا مختلفه ومتعدّده. وقد اتّفق أغلبهم على أهمّيّه العقل العلمىّ والّذى يعدّ من أهم ادّعاءات المثقّفين. ففى رأى منظّرى العصرنه «أنّ نمو وتكامل العقل العلمىّ المكتسب يمكنه أن يفتح الطّريق نحو السّعاده البشريّه».(۱)

۱- (۱) بابک أحمدی، العصرنه و الفكر النقدىّ، ص ۵۲، «باللّغه الفارسيّه».

إنّ العقـل العمليّ الّـذى كـان معرضاً لانتقاد هوسـرل وشـموتز، ما هو إلّا نتيجه المقابله فيما بين العقل الحـديث والطّبيعه، وبعباره أخرى فيما بين الموضوع وشيئه الّذى كان يشكّل المسأله الأساسيّه لديكارت، كانت، هيجل، نيتشه وآخرين. إنّ هذه المقابله قد برزت من خلال أنّ عالم العلم أو معرفتنا الدّنيويّه للطّبيعه ما هى إلّا صوره عن تصوّرات العالم والرياضىّ غاليلو. فتجاربنا الدّنيويّه المحدّده عن عالم الحياه والّتى ترتبط بالأفق الـذّهنىّ للإنسان، تتعرّض للإنكار من خلال واقعيّه الأهـداف، وأنّ الشّـىء الّـذى لا يمكن خضوعه للتجربه ذاتيّاً، يمكن فهمه من خلال قبوله التّجزئه، وأنّ العلم وعلى خلاف التّصوّرات الفلسفيّه الحديثه الّتى تقوم على أسـاس النّظريّات، يرتكز على أسـاس (الفلسـفه العمليّه). فالعمـل هو الأسـاس والأصـل قبـل أن توجـد رؤيه كونيّه أو عـالم شموليّ. إنّ هـذه المسـأله توضّـح دون شـكّ القاعـده الأساسـيّه للعلم التجربىّ. ولكنّهـا فى الوقت ذاته تنكر مـا يـدّعيه العلم من إمكانيه جعل العلم أسلوباً عامّاً لجميع المعارف البشريّه.

٣-٢. التّمرّد على التّراث ومحو القداسه

إنّ إحـدى نتائـج عولمه العصـرانيّه هو أنّ التّقاليـد والآـداب والمؤسّـسات الّتى علقت فى دوامه عقلنه العالم ستسير باتّجاه التّمايز والتّضـاد والنّزاع، ففى عمليّه عقلنه العـالم بنـاءً على نمـوذج العصـرنه على سبيـل المثـال يتوقّف تعريف وتحديـد مكـانه الإنسـان وحرّيّته وفكره وعمله على مـا تراه العصـرنه، وأنّ مسـتلزمات العصـرنه تسـلب بصوره ذاتيّه وآليّه الصّـفات الطّبيعيّه والتّحرّريّه من الإنسان. ففيما لو نزعت المجتمعات نحو الدّين وانتخبت الدّين بصوره اختياريّه وبنت ثقافتها على أساس الاتّجاه الدّينىّ، سـيكون ذلك منافياً لقواعد الحكومات العلمانيّه، وعلى هذا الأساس ستنفصم عرى الارتباط فيما بين

الحكومه والـدّين. مع أنّ الأـنظمه الليبراليه تـدّعی الاـعتراف بالحقوق والحرّيّات الاجتماعيّه والفكريّه، ولكنّها عملاً ترفض بعض الحرّيّات والاتّجاهات الدّينيّه. إذن فعمليّه العصرنه ليست هی بمعنی العلمانيّه علی وجه اللزوم.

فمـاكس ويبر يبيّن صـراحه: «أنّ انهيـار الرؤی الكونيّه الأصـالتيّه والتّقليـديّه وتعقلن الثّقـافه النّاشـئ عن ذلـك الانهيار يؤدّی إلی الخصـخصه الواسـعه للإيمان وممارسه الإنسان الأخلاق، الّتی غـدت باطنيّه، داخل وجـدانه فقط، وفی المراحل التّاليه تؤدّی هذه العقلانيّه المؤسَّسه إلی توسـيع اقتصادها الليبرالیّ المنظّم بشـكل متنامی. وشـيئاً فشـيئاً إلی تهميش القيم الـدّينيّه. وأنّ عقلنه الثّقافه الغربيّه فی أحضـان العصـرنه ينتهی إلی وقوع الانفصال والتّمايز بين المجالات القيميّه والّـذی لا يمكن إيجاد حلول له من خلال رؤيه عالميّه دينيّه أرفع وأعلی».(۱)

ففی رأيه أنّ الأشخاص سيتعرّضون فی عمليه العقلانيّه الحديثه ونظامها التّقنیّ المعقّد لجدال وجودیّ وأزمات معنويّه، ويتحوّلون إلی مجرّد هويّيات فرديّه والّـذی يعرّض الإنسان بـدوره إلی أزمه معنی وحرّيّه، وتتجاذب الفرد حينها أضـداد اجتماعيّه لا يمكن حلّ التشابک فيما بينها، ويعيش فی مستنقع حصار الثّقافه الجديده الّتی يقودها زخم المعلومات والإعلام الحديث.

ولأجـل هـذا يمكن القـول إنّ إحـدی نتائـج (عـولمه العصـرانيّه) هو التّماثـل والانسـجام الّـذی سـبق وأن أكّـد عليه غينز، ترويج المؤسّـسات الغربيّه فی كافّه أرجاء العالم، وتقطيع أوصال الثّقافات الأخری. وتكون العولمه فی هذه العمليّه الشّامله مرافقه للتّطوّر والتّغيير.

ومن ناحيه أخری أيضاً سـتعيش العصـرنه ذاتها فی دوامه النّزاع مع مسائل تنساق من الأفق الواسع للمكان والمسـتقبل باتّجاه حاله مضطربه» كلّ هذه

ص:۷۸

۱- (۱) يورغن هوبرماس، العولمه ومستقبل الديمقراطيّه، ص ۱۱۵، «التّرجمه الفارسيّه».

النّزاعات والإشكاليّات ما هى إلّا نتيجه للتّفكيك والتّمايز فى عالم الحياه المتزامن مع التّمرّد على سننها. «فالعصرنه من خلال الرؤيه الدّفعيّه تؤدّى إلى المحو التّدريجىّ للأخلاق والحياه الاجتماعيّه».(۱) فقبل هذه المرحله كان الدّين يؤدّى دوراً انسجاميّاً ووحدويّاً أخلاقيّاً فى الحياه الاجتماعيّه؛ «ولكنّ التّنوير والانفتاح الفكرى أدّى إلى تزلزل أسس الحياه الدّينيه بكلّ ما تعنيه هذه الكلمه، إنّ هذا الواقع يدلّل على أنّ أصاله الذّهنيّه لا تستطيع، ومن خلال الاستفاده من العقل أن تعيد للدّين تلك القوّه الوحدويّه الّتى كان يتمتّع بها».(۲) فعقلنه الثّقافه الغربيّه يؤدّى إلى التّفكيك والتّمايز على صعيد القيم.

ماكس وبر كهيجل يرى أنّ تيار العصرنه يمكن اعتباره تحوّلاً فى الرؤى الكونيه للشّموليّه الدّينيّه، ويرى أنّ إنجازات الدّين لا تتعدّى حدود هذه المرحله. فهو يعدّ عقلنه الثّقافه بمعنى الخصخصه الواسعه للإيمان وعدم تعدّى الأخلاق الباطن.

وبما أنّه يرى عصرانيّته فى تضادّ مع التّقاليد، فقد وجد ضالّته فى العقل لينشر عليه غسيله، ومن هنا فهو يختار العصرنه فى فضاء الانفتاح الفكرىّ أنموذجاً له وفق معاييره الخاصّه. فيستخرج سلوكيّاته وتقاليده من وجداته ويقذف بها خارجاً ليبقى مقيّداً ومخلصاً لمرجعيّه العقل. إنّ التّنوير العصرانىّ يعتبر الآداب والأعراف والتّقاليد لا قيمه لها، وعلى هذا الأساس توصّل هيجل إلى أنّ: «عقل العصرنه هو وحده الّذى يمكّن الإنسان من المعرفه بنفسه ويفكّه من أسر الطّبيعه والتّقاليد. ومن هذه الجهه كان الفهم الذّاتىّ للعصرنه مرتبطاً بالمعرفه الذّاتيّه والاتّجاه الانتقادى لجميع التّقاليد والأسس الأخلاقيّه وكل ما يقيّد إراده وحرّيّه الإنسان.

۱- (۱) المصدر نفسه، ص ۱۱۲.

۲- (۲) المصدر السّابق، ص ۱۱۴.

ومن هنا أيضاً تعرّض الفلاسفه لدراسه وتحليل العصرنه؛ وذلک من خلال أفق نقد العقل. إنّ هذا التّصديق الذّاتیّ لأساسيّه العقل الحديث والّذی ابتدأ منذ عهد کانت؛ يستطيع إبداع ظروف إنتاج علم طبيعیّ خالص وحقيقیّ، بإمکانه انتزاع العقائد من الأفق الذّهنیّ للإنسان وإلقائها جانباً، إنّ کانت، وبنقده ملکه التّمييز والعقل العملیّ وفصل نطاقها عن العقل النّظریّ، وکذا فصل الحقيقه عن العداله، والذّوق السّليم والوجدان الأخلاقیّ عن التّفکر العقلانیّ، بنی سدّاً عالياً واحتفر خندقاً عميقاً فيما بين العلم والدّين والأخلاق، کان من نتيجته هذا التّمايز المطروح والاعتقاد بالمحوريّه الذّاتيّه للعقل. وهذا هو الّذی تجسّد اليوم بشکل أزمه العلم والمعرفه فی أعمق المعارف البشريّه؛ معرفه الوجود، معرفه الإنسان، اللغه والتّفاهم، وکذا الأزمه فی مبدأ العلم. إنّ هذه الأزمات لم تکن إلّا نتيجه للمحو التّدريجیّ للحياه الأخلاقيّه والإلهامات الدّينيّه من الحياه الاجتماعيّه فی عصر العصرنه.

وبعباره الفيلسوف وعالم الاجتماع المعاصر، هوبرماس «کان للدّين باعتباره القاعده الأساسيّه للانسجام والوحده الأخلاقيّه فی الحياه الاجتماعيّه دور مؤثّر، ولکن جاء العقل اليوم ليمسک بزمام المبادره ويلعب مثل هذا الدّور، ولکن من جهه أخری انکشفت للعيان محدوديّه هذا العقل الآلیّ، حيث لا يمکن بعد الآن الاعتماد عليه کمسند لمرحله الاضطراب الفاحش والمعکوس باتّجاه مستقبل يکون فيه التّعطّش للإبداع لا حدّ له».(۱)

۳-۳. الأزمه المعرفيّه للعصرنه

اشاره

إنّ إحدی الإشکالات الأخری الّتی تواجهها العصرنه، الأزمه المعرفيّه و

۱- (۱) المصدر السّابق، ص ۱۹۵.

التّضادّ الموجود فی أسس علمها المعرفیّ. إنّ العالم المعاصر قد تأثّر بعصر التّنویر و اتّخذ اتّجاهاً علمیّاً و تجربیّاً، و ابتدأ من خلال إداره ظهره لعالم ما قبل الحداثه الّذی کان یعتمد الخرافه والأوهام الممزوجه بالسّحر والجهل. ووضعت المذهب والمیتافیزیا فی أزمه حقیقیّه من خلال اعتمادها محوریّه العقل والعلم، وخاضت جدالاً وحواراً فلسفیّاً ومعرفیّاً عسیراً حتی نالت استقلالها عن الدّین والفلسفه المیتافیزیّه، وأوجدت الأسس الفکریّه للعقلانیّه الحداثیّه، وقد شهد العالم أجمع لموفّقیّه ذلک التفکّر العقلیّ، حیث غطّی جمیع العالم وأقبلت جمیع المجتمعات علی الرأسمالیّه الغربیّه باعتبارها مثالاً للتّفکّر العقلانیّ.

لقد نال العلم نجاحاً باهراً باعتباره معیاراً لتقویم الفکر البشریّ، وظهر بعنوان أیدیولوجیّه مقتدره وغدا بمرور الزّمن إحدی القوی المعنویّه الحاکمه زمانیّاً. وقد اکتسب هذا العلم الجدید مرجعیّه من خلال الاستدلال التّجربیّ والعلمیّ الّذی لم یعد معه للأصول الأخلاقیّه والقیم الإنسانیّه مکان یُذکر.

لقد امتزج التّصدیق العقلیّ مع التأویل الدّینیّ للعالم والنّظام العالمیّ خلال القرون الوسطی، وکان إدراک الإنسان للعالم والإنسان یصطبغ وبکثافه باللون الدّینیّ، ثم انخفضت حدّه تلک النّظره بعد النّهضه وفقدت نفوذها الغابر. وابتعد الفلاسفه فی بحوثهم عن معرفه العالم ومعرفه الإنسان عن النّظره الدّینیّه وأوضحوا رؤیتهم الکونیّه وفسّروها من خلال المعاییر الفیزیاویّه والرّیاضیّه والعملیّه. وفسّروا العالم علی أساس المعاییر الإنسانیّه الّتی اخترعها البشر أنفسهم. وعمّموا فی نهایه الأمر هذا المثال العالمیّ لتجاربهم العلمیّه تلک علی العالم قاطبه. فمنذ ذلک الوقت صُوّر عالم الحیاه کعالم لا یمکن معرفته إلّا من خلال البیان العلمیّ والرّیاضیّ. إنّ أزمه العلم قد ابتدأت فی الغرب منذ أن عطفت المکاسب العلمیّه عین الإنسان إلی النّظر إلی القوانین

الرّياضيّه والفيزياويّه للطّبيعه عن النّظر إلى عالم الحياه الواقعيّه. إنّ هذه الأزمه في الواقع هي أزمه معنويّه أنكرت فيها الجوانب المعنويّه والإنسانيّه والذّهنيّه. وأنّ أيّ تعامل وعلاقه مع العالم لا يعدّ علماً ما لم تكن مبتنيه على التّجربه. ففي رأي شوتز: «نحن نعيش في عالم نلعب فيه أدواراً متعدّده وإنّ عوالمنا الحياتيّه كثيره ومتعدّده. فهناك عالم التّصوّرات والأحلام الشّخصيّه، عالم التّجارب الفنيّه، عالم النّظريّات... الخ ولقد اعتدنا ذلك كثيراً».(۱)

إنّ روّاد ومنظّروا العصرنه يبحثون ويفتشون عن حتميّات لتحلّ محلّ اليقينات الأزليّه والسّنن الميتافيزيّه؛ ولكنّ هذا الغطاء يتنافى وأسس الشّك في العصرنه، وعلى هذا الأساس تواجه العصرنه أزمه على صعيد المعرفه وكشف الواقعيّات؛ لأنّ كلّ ادعاء معرفي في إطار العصرنه هو في الحقيقه بُعد عن الواقع (جهل). مع أنّ هناك اختلافاً في هذا البعد عن الواقع فيما بين العلوم الطّبيعيّه والعلوم الاجتماعيّه، ففي العلوم الطبيعيّه يكون البعد عن الواقع من جهه أنّ العلم هو أسلوب محض، وأنّ عامّه صور المعرفه قابله للنّفي والإبطال أساساً.

إنّ هذه الأزمات العلميّه والواقعيّه الشّامله للعصرنه، دعت بعض المفكّرين الغربيّين إلى الإشاره إلى موت العصرنه، من خلال نقدهم لها، والإعلان عن عدم صلاحيّتها وانتاجيّتها.

إنّ إحدى جوانب (أزمه العلم) عدم انسجام التّنميه التّقنيّه مع حاجات الحياه العالميّه. فهوسرل أشار في كتابه (التجربه والحكم) إلى الجوانب المدمّره لهدفيه العلم في عالم التجربه والحياه، فيقول: «إنّ العلم الحديث ينطلق من العالم الّذي اصطنعه هو، وليس من العالم الواقعيّ».(۲)

ص:۸۲

۱- (۱) بابک أحمدي: الحداثه والفكر الانتقادي.

۲- (۲) هوسرل؛ التجربه والحكم.

ومع تحويـل الإنسـان إلى موضوع ذهنيّ في الفلسـفه الحـديثه، اتّسـعت الفاصـله فيمـا بين الموجود والوجود. فلم يعـد الموضوع الـذّهنيّ متأثّراً بتلك الدّرجه ليعكس الواقعيّات الخارجيّه وإنّما الإنسان هو الّذى أصـبح المركز والمحور الأساسـيّ للوجود. ومن هنـا فقـد غيّر معـايير الواقعيّه والمعرفه. إنّ هناك أشـياءً في عالم الطّبيعه والخارج لايمكن إدراكها إلّا بحلولها كمصاديق، فتتبلور من خلال ارتباطهـا بـالموضوع. يعنى حـدوث تقابـل ثنـائىّ فيمـا بين الموضوع والمصـداق، ولا يكون للعالم معنى إلّا بمعرفه أو استخلاص موضـوعه. ومن هنـا احتـلّ الإنسـان موضع قلب العـالم والمحور الأساسـيّ له، وبهـذا تثبت النّهضه الإنسـانيّه فى هـذه الفلسـفه الحـديثه، وغدت الإنسانيّه أيديولوجيّه وحقيقه للعصـرنه طالما كانت ظاهره وجوديّاً وزمانيّاً والّتى انقلبت الآن إلى شـىء خفىَ على الإنسـان اكتشافه. وبعباره هايـدغر إنّ الإنسان كان محوريّاً فى مرحله الكمال الميتافيزىّ الحـديث، و قـد اتّضـح ذلك بشـكل جيّـد، إلى أن يقول: «إنّ غـايه القـدره هو إمكانيّه إدراك الوجود، وإنّ النّفس الإنسانيّه هى الموضوع الأساسـيّ لإدراك الوجود».(۱)

لقـد حوّل فلاسـفه الحـداثه الحقيّقه الواضـحه إلى شـىء مبهم وضائع، فيأتى الإنسان ليكتشـفها، بل ليصـنعها، وصار العالم صوره تنعكس فى عينيه. ففى الميتافيزيّه الحـديثه يحلّ الإنسان محلّ الحقيقه ويغدو الإنسان محوراً ومركزاً للعالم وتوضع الحقيقه واللغه فى خـدمه هـذا الموضوع. ومن هنـا ينبغى للحقيقه أن تتعـالى؛ أى أن تُصـبح إنسـانيّه ليفهمها الإنسان، فلا تعبّر الفلسـفه فى هـذه المرحله عن الحقيقه؛ وإنّمـا مجرّد خبر يُنزلها العقل الإنسانىّ منزله الواقع، ومن هنا كانت المسأله الأساسيّه فى الفلسـفه الانتقاديّه لكانت عبارهً عن؛ ما هو الإنسان؟

۱- (۱) مارتين هايدغر، كسوف الله.

نقد وتحليل

١. إنّ الاعتماد المفرط على العلم والمعرفه التّجربيّه كأساس للحكم وإداره الظّهر للقيم الميتافيزيّه والأخلاقيّه لم يمكّن الإنسان المعاصر من الوصول إلى ساحل النّجاه. وبحسب تعبير بيتر سكوت: «إنّ النّظام الّذى صنع القنبله الذّريّه، انهزم فى صنع المقولات الأخلاقيّه الّتى تستطيع جعل مثل هذا الفكر متحضّراً ويصبّ فى خدمه الإنسان».(١)

٢. إنّ الأساليب العلميّه والتّجربيّه و الإثباتيّه الّتى تُستخدم للإجابه وبيان ومعرفه الظّواهر، والطّرق التّفسيريّه الحديثه والمقولات العلميّه والّتى تُستخدم كأدوات تكميليه للمساعده فى البحوث النّظريّه والتّطبيقيّه، تتّبع وتتأثّر بالأزمه الموجوده فى علم معرفه العصرنه. إنّ القائلين بهذه النّظريّه يستدلّون بأنّ الأساليب التّجربيّه والعقليّه للمرحله المعاصره لم تستطع ولا تستطيع حلّ النزاعات الفكريّه للإنسانيّه. إنّ المقولات والنّماذج السّائده عجزت عن الكشف عن العلاقه فيما بين الحقيقه والواقعيّه.(٢)

٣-٤. أزمه العدميّه (النهلستيّه)

إنّ (العدميّه) هى بمعنى الإنكار المطلق لأيّه قيمه أخلاقيّه، فهى فى واقع الأمر نتيجه أزمهٍ معرفيّه وجوديّه (انثولوجيّه) وأخلاقيّه. فهى تضع العقل البشرى تدريجيّاً موضع الوحى الإلهىّ وفى المراحل اللاحقه تستخدم هذا العقل النّفعىّ والأداتىّ فى خدمه المصالح والغرائز البشريّه. إنّ العدميّه تعدّ أزمه عالميّه تتزعزع من خلالها فلسفه الأخلاق ولا يُعترف فيها بأىّ اتّجاه أخلاقىّ

١- (١) سكوت، بيتر: الثّقافه والمجتمع، ١٩٨٣، ص ٢٨۴، «التّرجمه الفارسيّه».

٢- (٢) الوضعيّه وتؤكّد على التّفكيك فيما بين القيم والواقعيّه، ولكن ما بعد الحداثه تشكّك فى كلّ مشروع العلم وتنكر أيّه معرفه قطعيّه.

ينبع من غير الإنسان. وبتعبير دوستويفسكى «كلّ شىء يعدّ مباحاً للإنسان».(۱) ويشير نيتشه إلى الوجه الثقافىّ للعدميّه ويحلّل مكانه الدّين والأخلاق فى الحضاره الغربيّه بأسلوب معرفىّ بيّن:

إنّ العدميّه هى النّواه المقتدره للتّاريخ الميتافيزىّ الغربىّ، وفى حقيقه الأمر (منطقه الدّاخلىّ)، لأنّها تعتبر الفكر منبع المعرفه والقيم، فالقيم العليا هى من إبداع القدره البشريّه، والميتافيزيه تنجب القيم المتعاليه، ولكن العصرنه تتّجه صوب إبطال القيم العليا والميتافيزيّه(۲) وعلى أيّه حال فالعالم الحديث، عالم تعدّ العدميّه الوجه الباطن له، حيث تدار الدّنيا فيه دون تدخّل أو حضور إلهىّ.

لقد تزامنت النّهضه العلميّه الأوربيّه فى القرن السّابع عشر الميلادىّ مع وقوف العلم والفلسفه فى وجه الدّين، وكانت تعمل من أجل إنهاء السّيطره الفكريّه والسّياسيّه والمذهبيّه للكنيسه والدّيانه المسيحيّه. وقد أُرغم العلم الغربىّ على اتّخاذ استراتيجيّه «أنّ الطّبيعه لها واقع بمعزل عن وجود الله. حيث يمكن دراسه وقراءه واقعيّاتها وبصوره حتميّه ونهائيّه إلى أيّه مرتبه أعلى».(۳)

إنّ العلم الحديث ونتيجه للمكاسب الهائله الّتى حصدها وضع الأساليب المتّبعه لقراءه الفلسفه والدّين تحت شعاع تأثيره، وعمّم الجوانب النقديّه والتّحليليّه العلميّه على نطاق الدّين، التّاريخ، الفلسفه، المجتمع، الحكومه وجميع أسس الحياه البشريّه؛ ولكنّ منهج أصاله العلم هذا لم يقترح أيّه معرفه جديّه أخرى تستطيع ملأ الفراغ الّذى يحدثه الدّين. «ومنذ ظهور الفكر الّذى يفصل بين العلم والدّين ومذهب أصاله الإنسان فى الغرب أصبحت محوريّه الإنسان معياراً لكلّ شىء واستطاع الإنسان تسخير القوّه العظيمه للعلم

۱- (۱) مجلّه كيان، السنّه الثّالثه، العدد ۱۱ ص ۲۱.

۲- (۲) المصدر نفسه.

۳- (۳) ر. ك، فصليّه قبسات، (العلم و الدّين حسب رؤيه الشهيد مطهّرى)، ص ۴۱.

والتّقنيه وتحويل التّطوّر إلى مذهب حديث يمكنه جلب السعاده لعامّه البشريّه».(۱)

«إنّ الإنسان كان يطمح فی تسخير العلم للطّبيعه وتحسين حياته، وإنهاء آلامه وتوفير احتياجاته الأساسيّه».(۲) و لكنّه ألقاه فی دوّامه الصّواريخ الذريّه، الأسلحه البايلوجيّه، مشاكل البيئه، الأزمات الاجتماعيّه الفكريّه والأخلاقيّه والشعور بالفراغ المعنویّ، فقدان الأمن، القلق، العبث والحيره.(۳) يدّعی هيدغر أنّ (العدميه) هی النّتيجه المنطقيه للتّقنيه الحديثه، وأنّ الانعكاس العدمیّ للفكر التّقنی يؤدّی دون شكّ إلى الإبطال التّدريجیّ لكافّه العقائد الشرقيّه.

إنّ الفكر التّقنی الغربیّ يرتكز على التشغيل الذاتیّ (الأتمته) والتّكاثر الذّاتیّ، الجداره العالميّه، الاستقلاليّه والتّفرّد، والتّقدّم بحركته التّنازليّه. وإذا أردنا تعداد ومميّزات مسار الفكر الغربیّ ينبغی لنا ذكر ما وصفه به عالم الاجتماع الفرنسیّ جاك الوی، فهو يصفه بما يلی(۴):

تقنيه الفكر: إنّ الانسلاخ عن البصيره الشّهوديّه باتّجاه الفكر التّقنی هو عمليّه تحجيم الطّبيعه بشيئيّه الأشياء.

المادّيّه: إنّ الانسلاخ عن الصور الجوهريّه باتّجاه المفهوم الميكانيكیّ يسبب انتزاع جميع الكيفيّات الرّمزيّه والصّفات السّاحره من الطّبيعه.

الغرائزيّه: إنّ الانسلاخ عن الجوهر الرّوحانیّ باتّجاه المسوغات النفسانيّه هو انتزاع لجميع الصّفات الرَّبانيّه و الملكوتيّه من الإنسان.

محو الأسطوره: إنّ الانسلاخ عن الغايه الفكريّه، المعاد والعوده إلى تاريخ الوثنيّه والدّهريّه هو خلو من أیّ معنی عدائیّ.

ص:۸۶

۱- (۱) المصدر نفسه، ص ۴۴.

۲- (۲) اغناسورامونيه، هل يسير العالم نحو الفوضی؟، ص ۱۴۳، «التّرجمه الفارسيّه لبريجر شاه سوند».

۳- (۳) المصدر نفسه، ص ۴۵.

۴- (۴) نقلاً عن: مهرزاد بروجردی: التنويريّون الإيرانيّون فی الغرب.

۳-۵. الأزمات الثّقافيّه والأخلاقيّه

إنّ الإفراز الآخر لعولمه العصرانيّه، هو ظهور الأزمه الثّقافيّه وفقدان التّوازن فی أسس النمو الثّقافیّ، الأخلاقیّ والإنسانیّ، موازاه مع النّمو الاقتصادیّ والمظاهر المادّيّه للحضاره الغربيّه، والّذی تسبّب فی رواج اللادينيّه، الفراغ المعنویّ وفقد القيم الإنسانيّه. إنّ انتشار الميل نحو التجدّد جرّ إلی تشويش نماذج الحياه الاجتماعيّه وتقويض النّظام الأسریّ وفقدان الرّوابط العاطفيّه و الأخلاقيّه وابتعاد الفرد عن أصالته العِرقيّه. وبعباره أخری انسلاخ إنسان المجتمع الغربیّ عن تقاليده المذهبيّه، الأسريّه والاجتماعيّه وإحساسه بالعجز واليأس.(۱)

مع أنّه ينبغی عدم الغفله عن أنّ القيم الدّينيّه ما زالت تنبض بالحياه فی أشدّ المجتمعات الغربيّه حداثه، وعلی رغم وقوف الحكومات وبعض طوائف المجتمع بوجه الدّين، ولكنّهم لم يستطيعوا إلی الآن من إبعاده عن واقع الحياه الاجتماعيّه. إنّ العقلنه اليوم سلبت من الإنسان القدره علی مواجهه المبادئ والأفكار غير الطّبيعيّه، ومع أنّه تحرّر من قيود الخرافات إلّا أنّه علقِ فی شبّاك السّقوط الأخلاقیّ، العبث، الحيره وفقد القيم الدّينيّه والمعنويّه.

ومن الإجراءات المفجعه للحياه البشريّه اليوم والّتی كان من نتيجتها الإعراض عن الدّين، التفكيك فيما بين الأركان الثّلاثه المهمّه لمقوّمات الحياه البشريّه، وهی فصل العلم عن الدّين والفنّ والّتی تعدّ المظاهر التّصاهريّه الثّلاثه للفطره، ومن خصائص الوجود الإنسانیّ، هذه الفاجعه الّتی تسبّبت فی اتّخاذ كلّ من الأصهار الثّلاثه طريقاً منفصلاً عن الآخر، كان من نتيجته تقولب العلم فی قالب فرانسيس بيكون الجاف، والّذی يتقوقع داخل إطار الظّواهر والعلاقه القائمه فيما بينها، وأعرض فيه الإنسان عن السّعی لكشف الحقيقه من خلال دخوله

ص:۸۷

۱- (۱) السيّد حسن نصر، الشّاب المسلم والعالم المتجدّد، ص ۲۹۹.

تحت طائله الرّوح الحاکمه للبرجوازیّه الغربیّه الجدیده، وقیّد ذهنه فی مجال کسب القوّه ونیل السّلطه، والّذی أدّی إلی عدم التفکیر أو الاهتمام بمسؤولیاته المهمّه (کشف الحقیقه)، والوصول إلی (الإیمان)، وسخّر نفسه لخدمه برجوازیّه ما بعد المادیّه وغدا آله فی ید (السّلطه) و (الثروه).

إنّ العلاقه بین العلم الحدیث والسّلطه أدّی إلی قلق بعض العلماء بخصوص المسؤولیّه الأخلاقیّه؛ لأنّ اختراعاتهم واکتشافاتهم أکسبت أصحاب السّلطه إمکانیّه الاستفاده من الأسلحه العسکریّه المختلفه (من القنابل الحارقه وحتی القنابل الهیدروجیتیّه والمکروبیّه) لأجل الدّمار الشّامل.

أضف إلی ذلک، أنّ الأسالیب العلمیّه ذات البواعث السّیاسیّه والاقتصادیّه تؤدّی إلی القضاء علی المصادر الحیاتیّه واختلال التّوازن البیئویّ للطّبیعه والّذی یؤدّی بدوره إلی تعرّض الحیاه إلی الخطر والتّهدید. و هنا یُطرح السّؤال التّالی، وهو من المسؤول عن هذه الأوضاع المأساویّه الّتی یواجهها الإنسان فی عالمنا المتجدّد المعاصر هذا؟ إنّ العلماء وإلی وقت قریب کانوا یعتقدون بأنّهم یعملون من أجل البحث والکشف عن العلم وأنّهم غیر مسؤولین عن طبیعه الاستفاده من اختراعاتهم واکتشافاتهم. إنّ هذه الرّؤیه جاءت من خلال التّفریق فیما بین العلم والأخلاق، والّتی کانت المیزه الأساسیّه للعلم الحدیث منذ بدء تأسیسه؛ ولکنّ المسأله غدت الیوم من المسائل المهمّه وهاجساً یقضّ مضاجع المجتمع المعاصر. «إضافه إلی التّطوّرات الّتی طالت الفیزیاء الحدیثه ونظریّه الکمیّه المیکانیکیّه (الغوانتنومیّه) والنّظریّه النّسبیّه فی القرن العشرین، حدثت تحوّلات مهمّه فی أسس معرفه العالم والرّؤیه الکونیّه أدّت إلی أن یتابع مجموعه من العلماء مطالعه القضایا الفلسفیّه والتّعالیم الدّینیّه والعرفانیّه».(۱)

ص:۸۸

۱- (۱) السّید حسن نصر، الشّاب المسلم والعالم المتجدّد، ص ۳۰۱.

۳-۶. الأزمات الاجتماعیّه للعالم المتقدّم (العصرنه)

۳-۶-۱. الأزمات الاجتماعیّه

تعدّ أزمه العصرنه حالیّاً من أحدث المقولات المطروحه بین المنظّرین والسّیاسیّین، ففی هذه المرحله الّتی نمرّ بها نواجه أزمه التّجدّد، المعنویّه، العلم والتّقنیه، أزمه البیئه، الأخلاق، الدّیمقراطیّه وکذلک أزمه الأمن العالمیّ «إلی وقت ما قبل القرن العشرین کان لفکره الارتقاء والتّقدّم صدی واسع وإثاره جذّابه، وأنّ الّذین لمسوا المکاسب الأوّلیّه للحضاره الجدیده تکهّنوا بمستقبل زاخر بالسّعاده والتّقدّم. ولکن مع دخولنا فی القرن العشرین وبروز بعض النّتائج وإفرازات الحضاره الحدیثه، ظهرت إلی العلن الأزمات الّتی تعانیها. رینیه غنون النّاقد الفرنسیّ الشّهیر، أشار إلی بعض إفرازات الحضاره الجدیده وانسداداتها فی کتابه (أزمه العالم المتقدّم) فیکتب قائلاً: «هل الّذین جعلوا النّعمه والرفاه حلماً لهم وعاشوا فی بحبوحه الرّخاء، جرّاء التّقدّم والتّطوّر، هم أکثر سعاده من أبناء العهد البائد؟ فالیوم تتوفّر وسائل اتّصال أسرع وإمکانات أوسع، ولکنّ فقد التّوازن والنّظام وازدیاد الإحساس بالحاجه، جعلهم فی معرض فقدان ذلک، وزعزع أمنهم أکثر، فهدف الحضاره الجدیده عباره عن: ازدیاد الحاجات المصطنعه، فالحضاره الجدیده قبل أن تتمکّن من إرضاء الآخرین بها، تسبّبت فی أن تجعلهم محتاجین».(۱)

۳-۶-۲. فقدان الانسجام وتخلخل العلائق الاجتماعیه

إنّ إحدی الأزمات الأخری الّتی جرّت العصرنه إلی تحدّ خطیر، هو

۱- (۱) رینیه غنون، أزمه العالم المتقدّم، ص ۱۴۴.

تعقّد العلاقات الاجتماعيه. إنّ هذه المسأله لم تكن إلّا نتيجةً طبيعيّه للتّفريق والتّمايز الّذى خلعته على عالم الحياه والمتزامن مع الإعراض عن سننه، حيث غدا ذلک معقّداً ومحيّراً جدّاً. إنّ العصرنه ومن خلال نظرتها الدّفعيّه تعدّ (محواً تدريجيّاً) للحياه الأخلاقيّه وأنجبت وجهاً آخر للطّبيعه الاجتماعيّه المتماثله والّتى أدّت إلى الانحلال والتّمزّق الأخلاقىّ والقيمىّ الدّينىّ. ولقد ابتدأت قمّه هذه الأزمه عندما شمّر كانت عن ساعديه لنقد العقل، وتفريقه فيما بين الأطر العقليّه للإنسان ورسم خريطه تلازم افتراق العقل الباطنىّ عن المجالات الثّقافيّه للعلم والأخلاق والفن. ثم جاء هيجل ليكمل هذا المشروع، فاعتبر ثقافه التّنوير ندّا للدّين، وأنّ الدّين الّذى كان يمثّل قاعده الانسجام والوحده الأخلاقيّه للعلاقات الاجتماعيّه، اختلّ واضطرب فى مرحله تنوير الحياه الدينيّه. ولم يستطع العقل الحديث أن يحلّ محلّ الدّين فى لعب دور القوّه الوحدويّه.(۱)

۳-۷. أزمه الهويّه

والإفراز الآخر لعولمه العصرانيّه وعمليه التّغيير فى الأسس الثقافيّه والاجتماعيّه للمجتمعات، هو مسأله (أزمه الهويّه). فالهويّه هى نوع من العلاقه والتعامل فيما بين الفرد والمجتمع، وتعدّ جسراً يصل فيما بين الواقعيّات الوجوديّه للأفراد والعالم الثّقافىّ الخارجىّ، وفيما بين العالم الشّخصىّ و العالم الاجتماعىّ، والّذى تتشخّص فيه هويّه الإنسان من خلال علاقته بالمجتمع. إنّ إدراک هذا الجانب من الهويّه الثّقافيّه وكيفيّه تطوّرها من خلال العولمه هو أحد صور أزمه المجتمعات والثّقافات. إنّ

۱- (۱) هوبرماس، العولمه و مستقبل الديمقراطيه، ص ۱۹۳.

العولمه تؤثّر على الهويّات وتنسحب على شكل نزاع فى علاقه الفرد بمجتمعه والمجتمع بثقافته.

«إنّ أزمه الهويّه ما هى إلّا ثمره ابتعاد أفراد المجتمع الأممىّ والدّينىّ عن ثقافاتهم وبالنتيجه فقدهم حدودهم ومكانتهم الواقعيّه».(۱) إنّ الوظائف الأوّليّه لأيّه ثقافه أو حضاره أو دين هو تعيين هويّه الفرد وتحديد علاقته مع أفراد مجتمعه، إنّ الإنسان يستطيع العيش بهويّته وأن تتفتّح من خلالها قابليّاته وأخلاقيّاته وإبداعاته.

إنّ العصرنه ومن خلال نفوذها فى المجتمعات وتأثيرها على الثّقافات عرّضتها لأزمه هويّه و «إنّ الشعور بالتّبعيّه والارتباط بهذه العمليّه بسبب العولمه العصرانيّه، علّامه على هذه الأزمه. فنحن قد أصبحنا عالميّون شئنا أم أبينا؛ لأنّا لسنا بمعزل عن تأثيرات العولمه وأنّ ارتباطنا التّدريجىّ بهذه العمليّه يقوم على أساس ظهور حاجات جديده داخليّه وخارجيّه».(۲)

إنّ العولمه واقع لايمكن إنكاره أو كتمانه أو السّيطره عليه، والقبول بها أمر لايمكن تلافيه. ومن جهه أخرى إنّ أيّه عوده إلى التّقاليد والآداب بشكل ثابت وبصوره حركه مؤسّساتيه اجتماعيّه هو أمر غير ممكن أيضاً، ولكن هذا لا يعنى أنّ العولمه تؤدّى إلى الإبطال المطلق للتّقاليد والآداب، وإنّما إنجازاتها التّاريخيّه عرّضتها للاختلال والضّعف. ومن هنا تأتى أزمه الهويّه لتكون من المسائل المهمّه للمجتمعات البشريّه وثقافاتها فى عمليّه العولمه، والّتى ينبغى التّفكير جدّيّاً فى إيجاد حلول جذريّه لهذه المعضله المهمّه. إنّ توجيه الأفكار، الفعّاليات والأهداف الحياتيّه داخل إحدى الثّقافات يرتبط بهويّه الإنسان فى

۱- (۱) بول تيليخ، مستقبل الأديان، ص ۱. «التّرجمه الفارسيّه».

۲- (۲) عطاهو دشتيان، العصرنه و العولمه وإيران، ص ۱۷۹.

المجتمع وإنّ العناصر المهمّه، كالعلم، القانون، الوظائف، الأخلاق، العلاقات الاجتماعيّه، مبادئ المجتمع، الأهداف ومستقبل أىّ شعب يرتكز على وجود هذه الهويّه. إنّ هويّه أيّه طائفه ومجتمع هى عباره عن تجلٍّ لطبيعه الحياه الإنسانيّه. إنّ تحطيم هويّه الفرد والأحاسيس المتعلّقه به يعنى عدم الاعتقاد بأىّ حدّ لوجوده، و إنّ عدم القبول بحدوده الإنسانيّه يعدّ بمثابه الارتقاء بذاته نحو رتبه الذّات المطلقه أى (الألوهيّه)، إنّ مثل هذا التّصوّر حول الإنسان يؤدّى به إلى العجب والكبر وتدمير باقى أفراد البشر والحياه الإنسانيّه. إنّ نظره الإنسان الغربىّ هذه نحو هويّته والّتى تمثله كموجود إلهى غير مقيّد والموجود الأفضل، تُلقى به فى أتون اللاهويّه والحيره والدّهشه، هذا الاعتقاد بأصاله الإنسان ومحوريّته هو الّذى ارتكزت عليه مدارس عدّه كالإنسانيّه[(١)] والوجوديّه والذرائعيّه (البراغماتيّه)، إنّ هذه الأزمه الّتى عصفت بالإنسان الغربىّ وجعلته يتخبّط فيها تعود جذورها إلى الاتّجاه الفلسفىّ الإنسانىّ.

إنّ المسأله الّتى ينبغى الوقوف عندها فى هذا المجال، هى أنّ الوجود هل هو ذلك الّذى توصّل إليه عقل سارتر العيش لأجل الذات و فيجب «على الإنسان اجتناب البحث عن الله وأن ينظر إلى العالم دون تفكير بالله. ويعتقد بأنّ العالم ليس أمراً مقدّراً وإنّما يتبلور حسب ما تجود به أيدينا»،[(٢)] وإنّ موجوديّتنا هى الّتى تقدّر وجودنا وبعباره أخرى نحن غير تبع للعالم وإنّما هو ذلك العالم تابع لنا.

ص:٩٢

١- (١) فلسفه تؤكّد على قيمه الإنسان وقدرته على تحقيق الذات من طريق العقل «المعرّب عن قاموس المحيط».

٢- (٢) مارتن، كسوف الله، ص ٨۶.

إنّ هذا الفكر جرّ الغرب إلى إنكار كثير من اليقينيّات والاعتقادات المذهبيّه والأخلاقيّه إلى حدّ حدا بسارتر أن يصرّح: «لا يوجد أيّ رمز في العالم ولا- توجد أيّ أخلاق عامّه وقيم مطلقه ترتبط بوجود الله»(۱) والإنسان هو الفعّال لما يشاء ومحور لجميع الأشياء، وأنّ المعيار الحقيقيّ للحسن والقبح والأخلاق هو ما يحدّده الإنسان نفسه. و «إنّ مثل هذا الإنسان الحديث نافر من الإيمان وبطبيعه الحال من الأديان كذلك والّتي هي منبع الإيمان».(۲)

۳-۸. نقد العصرنه حسب رؤيه ما بعد الحداثه

في حال أنّ أنصار العصرنه يعتبرون الحركه التّدريجيّه والمستمرّه لاتّجاه التّشخّص العلميّ، والاستفاده العقلانيّه من الطّبيعه من المميّزات الأساسيّه للعصرنه، يعتقد أنصار ما بعد الحداثه وفي مقدّمتهم جان فرانسوا ليوتار «أنّ نموّ وتعالي المجتمعات بمساعده الاختراعات الألكترونيّه المعقّده والمتطوّره والأنظمه الشّامله للأقمار الاصطناعيّه هو تيار وهميّ وخياليّ»(۳) ففي رأي أنصار ما بعد الحداثه أنّ اعتماد العصرنه على الأسس العلميّه لاكتشاف الحقيقه هو ادّعاء ساذج وفاشل. وأنّ إصرار العصرنه على محوريّه الإنسان، الإنسانيّه، الحريّه، الدّيمقراطيّه وتعريف العالم و الطّبيعه تعريفاً عقلانيّاً وجميع شؤون الحياه البشريّه، تعدّ روايه غامضه وخياليّه، ويرون أنّ العصرنه تواجه أزمات في كلّ القضايا السّالفه، وأنّها مسخت هويّتها وفقدت أخلاقها ودمّرت القيم الإنسانيّه. إنّ أنصار ما بعد الحداثه

۱- (۱) المصدر نفسه، ص ۹۰.

۲- (۲) المصدر السّابق، ص ۱۰۶.

۳- (۳) بابک أحمدی، العصرنه وما بعد العصرنه، ص ۲۱۷.

اختاروا مفهوم العقل بحسب ما يراه هايدغر وويتغنشتين، وتعرّضوا لنقد العصرنه لأسباب متفاوته، ولكنّ هذا الاتّجاه أضحى يواجه مشكله خاصّه. فقد أنكروا أيّ معيار يمكن من خلاله التّمييز فيما بين المكاسب العّامه والشّموليّه للعصرنه وبين الوجود المخصّص لها. فقد توفّر هوبرماس لعرض ونقد فكره عقلنه الثّقافه الغربيّه الّتى تؤدّى إلى «التّفريق والتّميز فيما بين المجالات القيميّه».(۱) أمّا ماكس ويبر فيرى أنّ التّفريق والتّميز فيما بين مجالات العلم، الأخلاق، الدّين والفن ما هو إلّا نتيجه من نتائج التّعصرن والاتّجاه العقلانىّ. والّذى يُنتج تعارضاً فيما بين العقلانيّه والرؤى الكونيّه الدّينيّه والتّقليديّه، وأنّ نهايه عقلنه الثّقافه تتمثّل بانزواء الدّين وخصخصه مجالات القيم الدّينيّه.(۲)

العصرنه مشروع غير متكامل

ويستمرّ هوبرماس فى إتمام سعى الجيل الأوّل من المنظّرين الانتقاديّين (هوركك هايمر، بنيامين، ادورنو، ماركيزه) فى الدّفاع عن العصرنه ويعتبرها (مشروعاً غير متكامل). فهو يعتقد بأنّ: فكره ما بعد الحداثه ذات اتّجاه يتنازع والعقل وذو تضادّ مع التّنوير ويمكن ملاحظه جذور ذلك فى آراء نيتشه، هايدغر، هوسرل.

ففى رأى هوبرماس أنّ هدف العصرنه، هو السّعى لنشر وتكامل العلوم الملموسه، الأخلاق، قانون التّماثل والفن المستقلّ على أساس المنطق الدّاخلىّ وإنشاء وصنع قوى حرّه مستعدّه فى جميع المجالات والظّرفيّات المادّيه البشريّه.

۱- (۱) يورغن هوبرماس، العولمه و مستقبل الديمقراطيه، ص ۱۹۹.

۲- (۲) المصدر السابق، ص ۱۹۹.

ثم يعقّب بالـدّفاع عن المكـاسب غير المحـدوده للعصـرنه سياسـيّاً واقتصاديّاً واجتماعيّاً وعلميّاً وثقافيّاً ويضع العقلانيّه الاجتماعيّه، الرخـاء، حقوق الإنسـان، الـدّيمقراطيّه، التّقنيه الفنيّه والمعلوماتيّه... الـخ فى رديف مميّزات العصـرنه، ويصـرّ على أنّ العصـرنه لم تصـل بعـد إلى نهايتهـا المرجوه، ويعتقـد أنّ بإمكانها ومن خلال إعاده هيكليّتها وعقلانيّه التّفاهم لعب دور أساسـيّ فى المرحله القادمه.

ص:٩٥

۴. تنقیح علاقه العالمیّه بماوراء الحداثه

اشاره

یعتقد بعض المنظّرین أنّ العولمه قد ارتبطت ارتباطاً وثیقاً بما بعد الحداثه بصوره واضحه وجلیّه. ویری أصحاب هذا الرّأی أنّ الثّقافه العالمیّه هی فی الحقیقه ثقافه ما بعد الحداثه وأنّها تمرّ بمرحله التّغییر والتجزّؤ والانفصام والتّعدّد وأنّ عدم التّماثل الثّقافیّ والتّعدّد، هذا یعتبر دلیلاً علی أنّ ثقافه الیوم هی ثقافه ما بعد الحداثه، وعدّوا ذلک من ممیّزات مرحله ما بعد الحداثه. ویستدلّون علی ذلک بأنّ: «ثقافه الغرب لم تعد ثقافه متوحّده ومتماثله».(۱) لقد تمیّزت ثقافه الغرب فی زمن العصرنه بالعمومیّه والشّمولیّه العالمیّه واتّصفت بالقیم اللیبرالیّه المحدّده وعُرفت بأنّها ثقافه حدیثه، ثقافه تنویریّه، عقلانیّه وإنسانیّه، أمّا الآن ونحن نعیش عملیّه العولمه، فقد تحوّلت إلی ظاهره ما بعد الحداثه، وبتعبیر لیوتار أنّ المجتمع فی عصر ما بعد الحداثه ذاب وتفسّخ فی (قراءات شمولیّه) متعدّده ومتنوّعه.

و فی اعتقاد سکوت لاش و یوری: «أنّ ما بعد الحداثه عالمیّه بطبیعتها»، ولایمکن بعد الآن اعتبار الرأسمالیّه الجدیده المشتّته علی أنّها مجموعه من

۱- (۱) کیت نش، علم الاجتماع السّیاسیّ المعاصر، ص ۹۶، «التّرجمه الفارسیّه لمحمّد تقی دلفروز».

الأسس المقيّده بحاكميّه الدّوله – الشّعب. و يرى لاش «بأنّ تيّار الرأسماليّه و تقنيه المعلومات – باعتبارها عوامل عولميّه مؤثّره – لا ـ تعترف بالأفكار والثّقافات والحدود الجغرافيّه، وفى خطوه أوسع، فهو يتلمّس تسارعاً مضاعفاً وصنع عالم أصغر وأصغر. إنّ هذا التيار الشّامل والواسع والمؤثّر قد خرج من سيطره الحكومات الوطنيّه والمنظّمات والمؤسّسات الدّوليّه».(۱) وأنّ هذا التّنامى المستمرّ لتداول المعلومات والعلم سيؤدّى بشكل ما إلى انفتاح فكرىّ محدّد وفرض ثقافه ما بعد الحداثه، وسوق الأفكار والاتّجاهات والسلائق باتّجاه معيّن.

ولأجل معرفه واستيعاب رأى أنصار ما بعد الحداثه بشكل أفضل، ينبغى أوّلاً الاطّلاع الدّقيق على مفهوم (ما بعد الحداثه) وأهم نظرياته ثمّ العروج على مناقشه ونقد نظريّه (عالميّه ما بعد الحداثه) بناءً على أسس وآراء أنصارها.

مفهوم ما بعد الحداثه

يعدّ توينبى عالم الاجتماع المعروف أوّل من استعمل اصطلاح ما بعد الحداثه وذلك فى موضوع نهايه الحضاره الغربيّه. وقد أورده بمعنى (عدم التّعقّل والنسبيّه) أمّا فى الجانب الفلسفىّ، فقد استخدمه جان فرانسوا ليوتار بعنوان (الشّرط) أو (ظرف ما بعد الحداثه)، ففى رأيه أنّ (الشّرط) يمثّل بياناً للظرفيّه الّتى افتضح فيها عجز العصرنه بأزماتها الشّامله. إنّ البادئه (ما بعد) تفيد الصّفه الغامضه، وممّا لا يُعلم هو أنّ الانفصام عن الحداثه نفسها، هل هو حركه حداثتيّه أم انفصالاً عنها وتجاوزاً لها؟ وبعباره أخرى أنّ العبور من العصرنه يعدّ تغييراً ونهايه لها. ففى العصرنه يعدّ التغيير، التّجديد، النّقد،

۱- (۱) المصدر السّابق، ص ۹۶.

العقلانيّه، الإبداع والعلم أمراً مقدّساً، ولكن مرحله ما بعد العصرنه تتطلّب الابتعاد عن اللّغه، الفلسفه، العلم، الفن والتّعصرن الصّناعيّ. ومن هنا، فإنّ مفهوم (ما بعد الحداثه) في العقود الأخيره يمثّل أعقد وأكثر المفاهيم تضليلاً في قضايا شتّى كعلم الجمال، الأدب، الفن، علم الاجتماع والفلسفه وأنّ لفظه ما بعد الحداثه ترتبط بشبكه من مفاهيم وتأمّلات (الماورائيه). وتطلق على عمليّات مختلفه، أمثال مجتمع ما بعد التّصنيع، ما بعد التّجدّديّه، ما بعد المبدئيّه، ما بعد التّجريبيّه وما بعد التّعقّليّه (بمعنى تجريب موت العقل) والنّهايه التّاريخيّه للعصرنه.

لقد تعرّضت نظريّه ما بعد العصرنه للنّقد والتّحليل من خلال النّظره المبتنيه على نظريّات ماوراء المبدئيّه لجان فرانسوا ليوتار، ريتشارد رورتي، جمسون دريدا، ادرنو ماركيزه، الدّاير ماك اينتاير وغيرهم والّذين يعدّون من منظّري ما بعد العصرنه، وعُرفوا بنظرتهم الانتقاديّه للعصرنه، فكره العقل الشّموليّ الدّيكارتيّ والعقل الّذي يعدّ من المكاسب المهمّه لعصر التّنوير: «لقد عُرفت نظريّه ما بعد الحداثه على أنّها تستبطن عدم الاعتقاد بالنّظريّات الشّموليّه وانتهاء الاعتقاد بالتّطوّر التّاريخيّ باعتباره من نتائج العقل والعلم الحديث، والإصرار على إلغاء السّعي لاكتشاف الأسس العقلانيّه الّتي يعتمد عليها العلم والأخلاق والواقعيّه».(١)

يدّعي (ولمر)(٢) أنّ نقد ما بعد الحداثه للعقل، التّنوير، العالم الشّموليّ وعموميّه العلم قد طُرح بصوره جامعه وناضجه في الآراء الفلسفيّه لليوتار. ففي رأيه أنّ ليوتار طالب بالإعراض عن جميع النّظريّات الشّموليّه والمقولات العصرانيّه.

ص:٩٩

١- (١) منوجهر نوذري، العصرنه وما بعد العصرنه، ص ٢٧۶.

٢- (٢) .Welmer. on the dialectic. P ٣٣٧.

إنّ من مميّزات ما بعد العصرنه هو أنّها ذات اتّجاه تشتّتىّ، تجزّؤىّ، لامركزىّ «إنّ هذه المسأله بشكل خاصّ تتناقض وعمليّه العولمه الّتى تعدّ نوعاً ما حركه باتّجاه الوحده والاندماج والدّخول فى القريه العالميّه الواحده».(۱)

إنّ التّعدّديه قد نجمت عن النّسبيّه وإنكار الحقائق الملموسه والمطلقه وبحسب تعبير كارل ماركس «إذا تخلّيتم عن الله، فقد أنكرتم فى الحقيقه المذاهب والقيم المطلقه أيضاً».(۲)

إنّ التّعدّديّه ترتكز على عدم وجود المطلقات «إنّ ما بعد الحداثه وفى سلوك متناقض تسعى لاكتشاف الحقيقه الغائيّه فى حال أنّها تهزج وتدبك لأجل موت الحقيقه و كلّ شموليه موحّده».(۳)

ويكتب جمسون فى كتابه (ماهيّه ما بعد العصرنه): «إنّ هدف ما بعد العصرنه هو تحقيق وعد التعدّديّه الثّقافيّه والحرّيّات المختلفه والابتعاد عن الأنظمه ذات البعد الواحد، فالعصرنه تفرض على الفرد والمجتمع نظاماً خاصّاً مبتنياً على الأسس الشّموليّه والعقلنه».(۴) فى حال أنّ ثقافه ما بعد الحداثه تدعو إلى التشتّت وعدم التّشخّص أو الانسجام وتجاوز المبادئ و الأصول والحدود الجغرافيّه.

نقد العصرنه حسب رؤيه ما بعد الحداثه

إنّ اتّجاه ما بعد الحداثه يرى بأنّ أيّه دعوه ذات نزعه عامّه، تعدّ بنفسها سعياً نحو التّسلّط الإمبرياليّ، فهى فى ظاهرها شموليّه، ولكن فى حقيقتها ذات نزعه ذاتيّه ومصلحيّه. إنّ ما تسعى إليه العصرنه يبتنى على افتراضات

۱- (۱) رامين جهانبكلو، الموجه الرّابعه، ص ۶۸. «باللّغه الفارسيّه».

۲- (۲) المصدر نفسه، ص ۵۷.

۳- (۳) المصدر السّابق، ص ۴۶.

۴- (۴) رامين جهانبكلو، الموجه الرّابعه، ص ۶۸. «باللّغه الفارسيّه».

علميّه فى حال أنّ كثيراً من نظريّات ما بعد الحداثه لا تنسجم وبعض الوجوه الخاصّه لمقولات العصرنه، وعلى هذا الأساس فقد أبدت معارضتها لمقوله معياريّه العقل، وتعرّضت لنقد دعوى الشّموليّه العصرانيّه. وبنقضها معايير وأسس هذه المقوله فقد أنكرت افتراضات شموليّتها. وقد عارضت وناقشت الاتّجاه السّلطوىّ والاستعمارىّ للعصرنه الّذى تمخّض عن دعوى شموليّتها.(١)

ويرى هذا الاتّجاه أنّ العصرنه فقدت بريقها فى مجال التّرابط الاجتماعىّ. وقد أطلق على المرحله الرّاهنه مرحله (أزمه العصرنه) أو العصرنه المتأزّمه.

ويوافق الآن تون أنصار ما بعد الحداثه ويخالف غينز، كانلى، بومن، هوبرماس فى أنّه يرى أنّ النّزعه العقليّه و (العقلانيّه الحديثه) و (إراده القوّه) النّيتشويّه تؤدّى إلى أن يكون الإنسان أحادىّ الجانب، وخلق المجتمع الاستهلاكىّ ووسائل الاتّصال المعقّده والمتناميه وضياع وتشتّت المجتمعات، وأزمه المعنويّه والهويّه والشّعارات المضلّله والأفكار ذات النّزعه التّعدّديّه.

إنّ ما بعد الحداثه قد تعرّضت دون شكّ لنقد نظريّات الفلسفات الشّموليّه والنّزعه العقليّه المطلقه والنّزعه العلميّه المحضه بصوره جدّيّه. وأنكرت أىّ معيار يؤدّى إلى الحتميّه والوحدويّه. وقد اتّبعت نوعاً ما أسلوب هيغر وويتغنشيون فى مفهوم نقد العقل، واندفعت إلى الأمام فى نقد العصرنه لأسباب متعدّده وأنكرت مكاسبها العامّه والشّموليّه.

و قد أشار البعض - أمثال ليوتر - إلى مخاطر الشّموليّه العصرانيّه، ابتداءً من الأصعده الثّقافيّه والقيّميّه، وانتهاءً بأزمه الشّرعيّه وفقدان المعنويّه والهويّه والنّزعه العدميّه، وبروا أقلامهم لنقدها ومعارضتها. ومن خلال إنكارهم للرؤى الدّينيّه الشّموليّه، رأوا أنّ التّفريق والتّمييز

١- (١) حسين على نوذرى، العصرنه وما بعد العصرنه، ص ٥٦.

فيما بين مجالات القيم والأخلاق ومجال العلم ما هى إلّا نتيجه للعقلنه الثّقافيّه الغربيّه، وأشاروا فى هذا السّياق إلى الكانتيين الجدد فى تفريقهم بين مجالات العلم والفن والأخلاق والحقوق وقالوا بعدم إمكانيّه حلّ التّضادّ الموجود بين تلك المجالات، من خلال منهجيّه فلسفيّه أو رؤيه دينيّه أشمل. ومع أنّ هذا الاعتراض يعدّ واقعيّاً ومهّماً ويضرب أسس العصرنه فى الصميم، ويُثبت أنّ الاتّجاه العصرانيّ (المميّز فيما بين مجالات العلم ومقولات القيم) لا ينسجم ودعوى العولمه واستبداد الحضاره الغربيّه. ولكنّه من جهه أخرى يتوافق ونظريّات ما بعد الحداثه نفسها؛ لأنّ ما بعد الحداثه تنفى عموماً أيّه شموليّه ووحدويّه وتعتقد بتنوّع وتشتّت ونسبيّه العلم والثّقافه، ومن هنا فعولمه الثّقافه لا تنسجم بأىّ من الأشكال وأسس ما بعد الحداثه، وهم يعترفون بعدم إمكانيّه وضع العالم فى إطار (نظام نظرىّ) واحد ومتّحد، وأذعنوا أنّ الحياه البشريّه بطبيعتها لها صور متعدّده ومتضادّه.

إنّ أنصار ما بعد الحداثه يعلمون بأنّ دعوى العولمه لم تكن سوى غطاءً لبعض القوى ومجرّد أفكارٍ تسعى لمصالحها الخاصّه المضادّه للعداله والعقلانيّه، من خلال دعوتها إلى الشّموليّه والعقلنه والعداله. ويرون أنّ أيّه دعوه إلى الوفاق والوحده تعدّ عاملاً للتّنفّر والخداع. وينادون بشعارهم: «هبوا للنّضال ضدّ دعاه الشّموليّه، فقد تجرّعنا علقم الرّهبه والخوف بما يكفى فى القرنين الماضيين».(١)

ففى رأى أنصار ما بعد الحداثه أنّ مرحله الحداثه ومقتضياتها قد عفا عليها الزّمن. ونحن نعيش الآن مرحله الاستيقاظ، من كابوس العصرنه والعقل الخلّاق وإبداعاته وعبادته العمياء. وأنّه قد آن الأوان للتّخلّص من زمن صنميّه

١- (١) ليوتر، الثّقافه و المجتمع، ص ٣٠٠.

سلطه ووحدويّه العصرنه، وأنّا دخلنا عصر السّباق نحو تعدّديه ما بعد الحداثه، وأنّ النّظره الشّموليّه قد أخلت السّاحه، لانتشار عدم التّماثل الثّقافيّ وأساليب الحياه المتنوّعه والتعابير المختلفه. ويوضّح وولمر بأنّ مفهوم ما بعد الحداثه يعدّ من أكثر المفاهيم إبهاماً وإضلالاً فی البحوث الثّقافيّه، الاجتماعيّه، الفنّيه والأدبيّه فی العقود الأخيره، فی حال أنّ غينز يعتقد أنّ أهمّ إفرازات العصرنه هو النزعه العقليّه ونشوء حكومات ترتكز على مقوله الدّوله - الشّعب، وتأسيس الشّبكات الواسعه والمنظّمه للتّصنيع، ويعزو ذلك إلى دخول العصرنه فی عمليّه العولمه.

إنّ بعض المفكّرين المعاصرين وبناءً على التّغيّرات الإجتماعيّه والثّقافيّه فی المرحله الحاضره، يعتبرون أنّ هذه المرحله - بلحاظ مميّزاتها - هی فی الحقيقه مرحله ما بعد الحداثه. ففی رأی جمسون وهاری أنّ ما بعد الحداثه تعدّ عبوراً من مرحله الإنتاج الواسع والمتماثل إلى مرحله الرأسماليّه المرنه الّتی يتخلّى فيها إنتاج السّلع الواسع والمتماثل عن مكانته ليحلّ محلّه الإنتاج المتنوّع ذو القوالب الحديثه. ففی مرحله العصرنه كنّا نواجه النّزعه العقليّه، محوريّه الإبداع، معياريّه العلم والإنتاج والتّطوّر الإملائیّ والشّموليّه، ولكنّنا فی مرحله ما بعد الحداثه نواجه تنوّعاً ثقافيّاً، فكريّاً، نظميّاً وتشتّتياً ونهايه المقولات ذات الرؤيه المطلقه، وبعباره أخرى (نهايه القراءات الشّموليّه) وأيّه نظريّه جامعه ذات شموليّه عالميّه فی مجال العالم والتّاريخ.

فبينما نلاحظ انتونی غينز يعدّ العولمه من أهمّ إفرازات العصرنه، ولكنّها حضت بتأييده بوصفها سبباً لتطوّر وتغيّر جميع مكاسب وآثار العصرنه بشكل عميق؛ وأنّ النّزعات الوحدويّه والمركزيّه الدّاخليّه للعصرنه تؤدّی إلى النّزعه التّعدّديّه الخارجيّه، على أمل حلول التّعدّديّه محلّ الوحدويّه فی هذا النّوع من العولمه. ولا بدّ من التّنبيه على أنّ هناك

مميّزات للعولمه، لا يمكن عدّها بأيّه حال من الأحوال نتاجاً لما بعد الحداثه؛ لأنّ الفعل الوحدوىّ للعولمه على المستوى الخارجىّ والإقليمىّ هو فى تضادّ مع التّعدّديّه الخاصّه لما بعد الحداثه. لأنّ للعولمه جانباً ديالكتيكيّاً (جدليّا)،(۱) و أنّها تدعو إلى التّوافق والوحده والتّماثل من جهه أخرى، وفى نفس الوقت تحاول أن تلعب دوراً تجزيئيّاً وتعمل على مسخ الهويّات والأسس الثّقافيّه والإجتماعيّه.(۲)

ويؤكّد ماكيزه بأنّ مسيره العولمه هذه تؤدّى إلى ولاده الإنسان أحادىّ الجانب، وتجعل من العقلانيّه مجرّد أداهٍ وإلى سلب المعتقدات المذهبيّه والأخلاق الإنسانيّه، وأنّ هذه العقلانيّه الأداتيّه والعلم الفاقد للمعنويّه، أدّى إلى نشوء نظام يضمّ أخصائيّين فى المعنويّه.

ومن جانب آخر فقد أنتجت هذه النّظره وهذا الاتّجاه النظام الرأسمالىّ، الّذى يهدف إلى بذل جهد أكبر للحصول على إنتاج أكثر، وإنتاج أكثر للوصول إلى ربح أكبر، وذلك باكتشاف أسواق جديده، وعدم الاعتداد بأيّه قيم دينيّه، فيكون من «نتائجها التّنافس لأجل السّيطره على الطبيعه وموارد الثّروات العالميّه وامتلاك ثروات المجتمعات الأخرى، العنف غير المقيّد والتّدمير المنظّم والعلمىّ لأسس الحياه البشريّه».(۳)

ويرى ماكس ويبر أيضاً بأنّ نتيجه هذا النّظام ستكون الصّراع بين بنى الإنسان. ويصف مكاسب هذا النّظام العلمىّ المرتكز على الرأسماليّه (بالقفص الحديدىّ) ويعدّ الولايات المتّحده الأمريكيّه الأنموذج البارز له والّذى يتكوّن من (الخبراء اللامعنويّين).

۱- (۱) كيت نش، علم الاجتماع السّياسىّ المعاصر، ص ۵۵. «التّرجمه الفارسيّه لمحمّدتقى دلفروز».

۲- (۲) نفسه، ص ۵۵.

۳- (۳) ماركيزه، الثّقافه والمجتمع، ص ۲۰۷.

ويصف بيتر سكوت بدوره أيضاً نتائج هذا الاتّجاه فيقول: «إنّ النظام الذّكى الّذى أنتج القنبله الذّريّه، انهزم فى مجال تأسيس مقولات أخلاقيّه، باستطاعتها الحيلوله دون مثل هذا العلم وتوجيهه توجيهاً حضاريّاً يصبّ فى خدمه الإنسان».(۱)

وقد وجّه أنصار ما بعد الحداثه نقداً لاذعا لنظره أصحاب النّزعه العلميّه هذه (الّذين يعتقدون بأنّ العلم الطّبيعى هو إحدى القوى المعنويّه والمتحكّم فى الزّمان ومفتاحاً لحلّ جميع مشاكل البشريّه) وشكّكوا فى قدرته تلك.(۲) ففى اعتقاد أصحاب النّزعه العلميّه أنّ العلم ما هو إلّا مقوّماً ومعياراً للعقل الإنسانىّ، بحيث يحتل مكانه بارزه فى هذا المضمار، وأنّ (العلميّه) تعمل باعتبارها الأيديولوجيّه الأفضل والمقتدره، ولأجل هذا رمت جانباً بالأسس الأخلاقيّه والقيم الثّقافيّه والدّينيّه والإنسانيّه لعدم إمكان تعريفها بواسطه الاستدلال العلمىّ، وأدّى هذا الاتّجاه لفقدان المعتقدات المذهبيّه حيويّتها وعزله الدّين والقيم الأخلاقيّه فى المجتمع.

عولمه ما بعد العصرنه

«هناك بعض المنظّرين نزّلوا العولمه منزله ما بعد الحداثه، ويرون أنّها مرحله من الرأسماليّه التّوسعيّه الّتى انفلتت وخرجت عن سيطره نظام الدّوله - الشّعب، وانعكست بأنواع حديثه من الاستثمار فى كافّه أرجاء العالم».(۳)

إنّ هذه النّظره، تطرح ما بعد الحداثه وكأنّها بنيه تحتيّه ثقافيّه واجتماعيّه.

وتعتبر العولمه بمثابه التّحديث والتّجديد. ومن هنا تكون فى حاله تعارض مع

۱- (۱) الثّقافه والمجتمع (۱۹۸۳)، ص ۲۸۴.

۲- (۲) الثّقافه والمجتمع (۱۹۸۳)، ص ۲۸۴.

۳- (۳) كيت نش، علم الاجتماع السّياسىّ المعاصر، ص ۸۰. «التّرجمه الفارسيّه لمحمّد تقى دلفروز».

الماركسيّه والمقوله الّتی تقول بأنّنا دخلنا فی نوع مختلف من المجتمعيّه الجديده. وتعتقد بوجود علل ودواعی کثيره للعولمه وأنّ هذه الدّواعی فی الواقع ما هی إلّا علائم لاستمرار المميّزات المتجدّده لزمن العصرنه.

ولکنّ هذه النّظريّه تواجه إشکالاً جدّيّاً وهو أنّه إذا نظرنا إلی العولمه فی إطار ظروف الحداثه فقط، فستکون «معرفتنا محصوره فی إدراک إمکان بروز قوالب جديده تتّجه نحو توسيع عمليّات العولمه».(۱)

ديفد هاری فی کتابه (مسار ما بعد الحداثه) يربط العولمه بما بعد الحداثه ويستدلّ علی ذلک بقوله: «يمکن إدراک الأسلوب الحديث للرأسماليّه فی صوره «ما بعد الحداثه المرنه».(۲) ففی رأيه أنّ العولمه الرأسماليّه ليست ظاهره جديده، ولکن ما بعد الحداثه المرنه نجمت عن ازدياد تراکم وانضغاط الزّمان والمکان، ويخصّ بالتّحليل کيفيه الاستفاده من تقنيه المعلومات ووسائل الاتّصال الحديثه لاستحداث أشکال مرنه وحديثه للرأسماليّه.

ويعدّ جمسون ممّن ساروا علی خطی هاری فی اعتقاده بارتکاز عولمه الرأسماليّه علی ما بعد الحداثه. ففی رأيه أنّ ما بعد الحداثه هی (المنطق الثّقافیّ المتأخّر للرأسماليّه). ويری أنّ نتاجات ثقافيّه معيّنه کعلم الجمال والإعلام النّفسیّ فی هذه العمليّه يصبّ فی خدمه الاستهلاک اللامتناهی للسلع والإنتاج، وأنّ أذواق وأفکار النّاس تُستفزّ وتعاد صياغتها بواسطه الإعلام الفوضویّ، فتؤدّی هذه الحاله إلی إيجاد ثقافه ما بعد الحداثه والّتی تتميّز بتبدّل الأفکار، النّظره السّطحيّه، الفوضی الشامله، التّعدّديّه، عدم التّرابط، القلق وفقدان الثّقه وظهور القراءات الشّموليّه.(۳)

۱- (۱) المصدر نفسه، ص ۸۳.

۲- (۲) ر. ک: ديفد هاری، ص ۸۱.

۳- (۳) المصدر السّابق، ص ۸۵.

وفی مقابل النّظریّه القائله باستیلاء الثّقافه الموحّده الغربیّه، یمکن الاستدلال بشکل متین «بأنّه لم یوجد علی الإطلاق غرباً منسجماً ومتماثلاً، وأنّ هذه الفکره لا یمکن تجسّدها إلّا من خلال المواجهه مع (الغیر) الّذی یُعرف بتمیّزه الأساسیّ عن الغرب. ولذا لا یمکن أن تکون العولمه بمعنی الثّقافه العالمیّه الواحده أو عولمه ثقافه خاصّه. وإنّ تصوّر وجود ثقافه عالمیّه واحده ومتّحده ومهیمنه، استنتاج مبالغ فیه وغیر مقبول، وعلی هذا فلابدّ من الأخذ بنظر الاعتبار أنّ حاله الثّقافه العالمیّه بمعناها فوق الحداثوی هی أوسع من قبول التّماثل والتوحّد والتبعیّه والسّیاسه الواحده.(۱)

وفی مورد تسمیه الثّقافه العالمیّه بثقافه ما بعد الحداثه، فإنّ هذا لا یعنی (غربنه الثقافه العالمیّه). إنّ الّذین یصرّون علی تصدیر هذه الثّقافه إلی أنحاء العالم بواسطه وسائل الاتّصال الجمعی، یغفلون عن أنّ اصطلاح (ما بعد الحداثه) هو فی الواقع بمنزله نفی آثار أیّ اتّجاه یجعل ثقافه ما متماثله.

ومن جانب آخر، فإنّنا نلاحظ حضور حرکات دینیّه ولا دینیّه متعدّده فی عصر العولمه، فعلی سبیل المثال (الأصولیّه الدینیّه) الّتی تعدّ بمثابه ردّ فعل ثقافیّ واجتماعیّ فی قبال (التغریب) أو (الغربنه). وکذلک حیال الاضطرابات، الخداع والأزمات الرّوحیّه والفکریّه الّتی انتجتها الحضاره العلمانیّه والانفصام الدّینیّ الغربیّ.

ثقافه ما بعد العصرنه ومسارها العولمیّ

لقد بحث ارغون ابدوری مسأله طبیعه عدم تماثل الثّقافه العالمیّه بشکل رائع فی مقالته الشّهیره (الانفصام والتّمایز فی اقتصاد الثّقافه العالمیّه)، فقد وضعها

۱- (۱) المصدر نفسه، ص ۹۶.

وحلّلها فی قالب الإطار النّظری «عدم الثبات والنّزاع فی الثّقافه العالمیّه» فهو یشـیر فی نظریّته إلی خمسه أبعاد لتیّار الثّقافه العالمیّه: «الآفـاق القومیّه، التّقنیّه، المالیّه، الإعلامیّه والآفاق الأیـدیولوجیّه».(۱) وبعـد بیـانه لتلـک الآفاق یکشف عن کیفیّه أداء کلّ واحد منها إلی النّزاع والانفصام الثّقافیّ فی العالم. إنّ فکره آفاق ابدوری تشبه إلی حدٍ ما (نظریّه المقولات).

ومن ضـمن المفکّرین الآخرین الّـذین قاموا باسـتعراض إمکانیّه التّماثل الثّقافی وتبلور ثقافه عالمیّه واحـده فی عملیّه العولمه هو، هوبرمـاس، الفیلسوف وعالم الاجتماع المعاصـر، فهو یعتقـد: «أنّ التّعامل والتّعاون والحیاه المشترکه لا یمکن أن تکون مُقنعه فی مثل هذه الظروف، حیث إعلام السّوق العالمیّه، وسائل الاتّصال الجمعیّ، اضمحلال الحدود الجغرافیّه، التعدّدیّه والتّجزئه الثّقافیّه، تغیّر المُثـل الحیـاتیّه والتّحوّلاـت المتسـارعه، دخول بعض المسائـل الفاقـده للانسـجام فی دائره الإجبار وفرض آلاف السّـلع الّتی أضـحت ثقـافیّه علی المجتمعـات الأـخری، وتـأثّر أبرز الهویّـات والتّقالیـد معنویّه وأصاله بها، کلّ ذلک کان من إفرازات ونتائج العولمه».(۲) ویقول فی مکـان آخر: «فی الجواب علی الضّـغوط التّماثلیّه للثّقافات المادّیّه غالباً ما تبرز أنظمه جدیـده، تعمل علی تأسیس وجوه مختلفه، من الثّقافات التّرابطیّه والهجینه قبل أن تتطرّق إلی تقویم الاختلافات الثّقافیّه».(۳)

ومن هنـا فإنّنـا سـنشاهد انتشـار عـدم التّماثـل والنّمـاذج الثّقـافیّه المتعـدّده. إنّ وجود تیّـارات أمثـال القومیّه الجدیـده، الحرکات الإنسـانیّه، الحرکـات البیئویّه کحرکه الخضـر، حرکه السّـلام الآـن، والحرکـات ذات النزعـات المـذهبیّه، مثـل الأـصولیّه الـدّینیّه والرّوحیّه، تعدّ من علامات التّعدّدیّه الثّقافیه فی عصر العولمه.

۱- (۱) المصدر السّابق، ص ۹۷.

۲- (۲) یورغن هوبرماس، العولمه ومستقبل الدیمقراطیّه، ص ۷۳، «التّرجمه الفارسیّه».

۳- (۳) المصدر نفسه، ص ۷۳.

ويُنزل مـارتن لبرو عصـر العولمه منزله التّجديـد ويرى أنّ (العولمه والاتّجاه العالمىّ) تؤسّـِس لقواعـد النّظام الاجتماعىّ الجديـد. وتحلّ محلّ العقلنه الحـداثويّه والـدّول القوميّه والشّـموليّه الحداثويّه. وفى هذا السّـِياق يطلّ علينا منظّرون يعتقدون بأنّ مرحله (ما بعـد الحـداثه) تنطبـق على دنيـا العـولمه ويؤكّـدون على أنّ عـالم الغـد سـيكون عـالم المعلومـاتيّه (الإعلامـيّه) (فـوق الحقيقـه) (الافتراضيّه) و (التشابهيّه).(۱) ويعدّ امتزاج الثّقافات، عدم التّماثل الثّقافىّ، نزعه النّسبيّه، التّشتّت الفكرىّ، أزمه الهويّه واضمحلال الحاكميّه الوطنيّه والاضطراب والفوضى من علائم هذه المرحله.

العلائم ما بعد الحداثويّه للعولمه

۱. إنّ أنصـار مـا بعـد الحـداثه ينفون المـدّعيات العلميّه كـالواقعيّه والعقلانيّه و «ينكرون أىّ معيار عام وعقلانىّ للحقيقه المطلقه. ويؤمنون بـأنّ العلم مقيّـد وغير ثابت».(۲) إنّ هـذا النّوع من المعرفيّه (مـا بعـد العصـرانيّه) يرى بـأنّ العلم جميعه يرتبـط بالزّمـان، المكـان والمجالاـت الشّخصـيّه، الثّقـافيّه والتّاريخيّه. ومن هنا ففى رأى أنصار ما بعـد الحـداثه أنّ جميع العلوم تتكافئ فى القيمه والمكـانه ولاـ يعتقـدون بأىّ أساس للتفاضل فيما بين القيم والثّقافات سوى الميل الشّخصـىّ. ولهـذا «لا يمكن ترجيـح الليبراليّين والشّيوعيّين على الفاشيّين وغيرهم. ولا يوجد أىّ معيار للتمييز فيما بين الفنّ الحسن والسيّء».(۳)

«إنّ العلم المعرفىّ لمـا بعـد الحـداثه يمكن أن يكون مرتبطـاً بـالعولمه من جهـات متعـدّده. فعلى سبيل المثال، إنّ زوال الحـدود الجغرافيه يؤدّى إلى ازدياد الاتّصال فيما بين الثّقافات وتعزيز الاطّلاع العام على التّنوّع الثّقافىّ».(۴)

۱- (۱) المصدر السّابق، ص ۱۳۱.

۲- (۲) شولت يان ارت، نظره فاحصه لظاهره العولمه، ص ۲۳۸، «التّرجمه الفارسّه لمسعود كرباسيان».

۳- (۳) المصدر نفسه، ص ۲۳۶.

۴- (۴) المصدر السّابق، ص ۲۳۷.

إنّ مـا بعـد العصـرنه ومن خلال نقـدها للعقل الحـديث وإبراز تاريخيّته آمنت بأنّ كلّ شـيء ومن ضـمن ذلك العقل تابع للقوّه، الزّمـان والمجتمع. وتعـدّ النّسبيّه هی الحـاكمه الحقيقيّه للمجتمع بكـلّ مـا يعنيه ذلـك. وبحسب تعبير ريتشـارد رورتی: «إذا كـان العقل هو إله العصرنه، ففی مرحله ما بعد الحداثه لا وجود لأیّ إله».(۱)

أمّـا ليوتـار ومن خلال اسـتدلاله على أنّنـا فی حاله دخول إلی (المجتمع الصـناعیّ) يصف الميزه المهمّه للعالم المسـتقبلیّ بهـذا الشّكل: إنّ العلم فی عالم المستقبل سيكون هو القوّه الأساسيّه للإنتاج والتّوسّع التّقنیّ والمجتمع المعلوماتیّ. ويعارض دانيال بول وتوران(۲) فی عدم اعتقاده بأنّ التّنميه التّقنيّه دليل على التّطوّر والتّقدّم.

ففی عقيده ليوتار «أنّ العلم فی عصـر العصـرنه قد تعهّد بنجاه البشـريّه بواسـطه العقل، ولكنّه لم يعدّ قادراً حتّی على حلّ مشاكل اليوم. إنّ المجتمع فی عصـر (ما بعد العصـرنه) يذوب فی قراءات متعدّده، والعلم كذلك باعتباره قراءه إلى جانب باقی القراءات. ولكنّه فقـد قيمته، باعتبـاره مصـدراً للحقيقه ومعيـاراً لقيمه العقـل البشـریّ، وكونه أفضـل من العوامل الأخرى».(۳) ويصف هـذه الحاله بتميّزها بالنّزعه التّعـدّديّه واللايقينيه وفقـدان القرار وعدم الحتميّه الهايزنبرغيّه، واضـطراب البرامج والأنظمه الفكريه، وبروز بعض الثّقافات وتقطّع أوصال المجتمع وشيوع الشّعارات المضلّله.

۲. ويعـدّ من ضـمن المميّزات الأخرى لهذا العصـر عدم وجود القيم الأخلاقيّه وإنكار القيم العامّه ذات الشّـموليّه العالميّه وشـيوع النزعه الاستهلاكيه والتضليل.

۱- (۱) مجلّه كيان، العدد ۳۰، عبد الكريم سروش.

۲- (۲) كيت نش، علم الاجتماع السّياسیّ المعاصر، ص ۹۷، «التّرجمه الفارسيّه لمحمّد تقی دلفروز».

۳- (۳) المصدر السّابق.

و لكنّ العصرانيين يرون بأنّ الحضاره الحديثه تقترب من مرحله العموميّه والعالم الشّمولىّ الحقيقىّ والأصيل قبل أيّه حضاره أخرى معروفه، وأنّ العصرنه أشرفت على التّحوّل إلى حضاره عالميّه شامله. إنّ هذا الاستنتاج قد توصّل إليه آخرون، أمثال بتراوس، غلينغ، هريس، هنتيغتون، فوكوياما. فالعولمه فى هذه الرّؤيه لا تعنى حضور ثقافات متعدّده فى ساحه مشتركه للإبداع والإنتاج والتأثير، ولكنّها ستكون ساحه للتّنافس وسيطره الثّقافات المتسلّطه الّتى تمتلك القدره الماليّه، الإبداعيّه، التّقنيه المعلوماتيّه وقنوات الاتّصال العالميّه، فلا يمكن للثّقافات الأخرى المقاومه والصمود فيُحكم عليها بالهزيمه والاندحار. إنّ هذه الطائفه ترى أنّ العولمه ترافق الغربنه والعولمه الغربيّه. وينبغى البحث عن الأسس والبنى الفكريّه والعلميّه لهذه النظريّه فى المدارس الفلسفيّه الغربيّه، وكما أشرنا فى الفصل السّابق، فإنّ بدايه هذه الفكره يمكن ملاحظتها فى آراء هيجل، ماركس.

فإنّ ماركس كان يعتقد بأنّ الاختلاف الثّقافىّ، يعدّ سبباً للتّوتّر والخلاف، فالاختلاف الثّقافىّ يُوجد أزمات عالميّه لا يمكن تذليلها إلّا بإسقاط إحدى الثّقافتين وهذا ما يتسبّب فى نشوب الحرب والخصومه فيما بين الثّقافات.

ففى رأى كثير من الفلاسفه والمفكّرين الغربيّين أنّه قد اتّضحت أفضليّه الحضاره الغربيّه وأنّ العصرنه أفضل أنموذج ومثال فكرىّ لجميع الثّقافات والمجتمعات. وقد وصلت الحاله ببعضهم كهنتيغتون وفوكاياما(۱) بختم هذه الأفضليّه على جبين البشريّه، وأنّ نهايه التّاريخ ستكون معادِله للسّيطره الغربيّه وعولمه الحضاره الغربيّه.

۱- (۱) ينبغى التّذكير بأن فوكوياما مع أنّه ذو اتّجاه يتساوق وما بعد الحداثه، ولكنه على خلاف أنصارها الآخرين لا يعتقد بالتّعدّديّه الثّقافيّه والتّعاطى بين الثّقافات، ويطرح فكره سيطره الثّقافه الليبراليّه الرأسماليّه الغربيّه.

حصیله الفصل الرّابع

كـان بإمكـان الأیـدیولوجیّه فی عهـد العصـرنه إعاده الاطمئنان للفرد فی الظّروف الّتی یحیاها من الحیره والشّعور بفقـدان الأمن واسـتلاب الهویّه، ولكنّ الأیـدیولوجیّه هـذه فقـدت قـدرتها الموحِّده الّتی كـانت تتمتّع بها فی مرحله الحـداثه لتزعزع المقولات الثّلاث: الوحده، المبدأ والغایه فی عصـر العولمه. ومن خلال هذه النّقطه بالذّات علینا أن لا نتوقّع فی عصـر العولمه وجود صـیغه لإقرار الوحـده والنّظام بناءً علی معاییر ونماذج العصـرنه، «فی رأی أنصار ما بعـد الحـداثه، أنّ اضـمحلال عالم الـدّول التّقلیـدیّه، وبروز مجتمع عالمیّ فوضویّ نوعاً ما، قد ارتبطا معاً، ممّا أوجب أن تكون السّیاسه فی المقیاس العالمیّ أمراً غیر ممكن».(۱)

إنّ اللیبرالیّین الجـدد یرون السّیاسه العـالمیّه لإزاله قوانین الاقتصـاد العـالمیّ، تسـیر فی الاتّجاه غیر الصّحیح. ولهـذا فإنّ ما بعد الحـداثه واللیبرالیّه الجدیـده اتّفقت رؤیتهمـا فی مجـال الحیـاه العـالمیّه كـلّ بحسب أسـبابه الخاصّه، ففی رأیهما أنّ تیّار العولمه سیحوّل المؤسّسات السّیاسیّه والاجتمـاعیّه إلی شـبكات منفصـله ومتفرّقه تكون مجبره علی التّنسـیق فیمـا بینهمـا عملیّاً ویتشـكّل بذلک نظام (ما فوق الوطنیّه).(۲)

إنّ ثبـات مسـیره العولمه بحسب رؤیه مـا بعـد العصـرنه والّـذی تحقّق فی ظـل الوحـدویّه، المركزیّه وتحكّم المقولات العقلانیه الحـدیثه، تعرّض للاضـطراب وعـدم الفعّالیّه والتأزّم. وغیّر مقولات نظیر الحاكمیّه الوطنیّه، العقود المؤقّته، المعاهدات الدّولیّه فی مجال الحفاظ علی البیئه والصّحه، الاتّصالات، الأمن والسّلام، التّنمیه والقیم الثّقافیّه الأخری. إنّ أنصار ما بعد

۱- (۱) یورغن هوبرماس، العولمه ومستقبل الدّیمقرطیّه، ص ۱۳۲، «التّرجمه الفارسیّه لكمال فولادی».

۲- (۲) المصدر نفسه، ص ۱۲۰.

الحداثه يسعون من خلال محو الأسس التّاريخيّه ومعرفه علم الأجناس والّذى يعبّر عنها ميشال فوكو (بالأنظمه الحقيقيّه)؛ الأجابه عن هذا السّؤال، وهو أيّه دوائر شموليّه تبعث على تبلور أسس القوّه وتكسبها الشّرعيّه؟ وبعباره موجزه إنّ أنصار ما بعد الحداثه ومن خلال تحليلهم لعلاقه العلم والقوّه، يؤكّدون على الدّور الأساسىّ لهما فى الحكم والأسس الحكوميّه والاجتماعيّه والثّقافيّه والاقتصاديّه.

إنّ أنصار ما بعد الحداثه لا يؤمنون بالنّظريّات الشّموليّه وقد تعرّضوا لانتقاد نماذج هيجل العقلانيّه، نيتشه وماركس، وأنكروا المشاريع والأفكار المقترحه للوصول إلى النّظام العقلانىّ للطّبيعه والمجتمع، ويرون أنّ الثّقافه العالميّه فى عصر العولمه متنوّعه ومتعدّده ومنفصله عن بعضها.

۵. علاقه العولمه والثّقافه

عولمه الثّقافه

لقد كان التّبادل الثّقافىّ منذ أقدم العصور وعلى مرّ التّاريخ عاملًا بنّاءً ومؤثّراً فى توطيد الأواصر فيما بين المجتمعات. ويرى المفكّرون فى مجال علم الثّقافه، أنّ الثّقافات مرتبطه بعضها مع البعض الآخر ومدينه كلّ منها للأخرى ولا يمكنها التّجدّد والتفتّح إلّا من خلال تخطّيها الحدود الجغرافيّه وممارستها الأخذ والعطاء مع الخارج. إنّ التّبادل الثّقافىّ المعلوماتىّ والفكرىّ الواسع، لا يمكن أن يؤدّى إلى تبلور ثقافه واحده واندماج الثّقافات ببعضها ومحو الهويّه الثّقافيّه. ومع الأخذ بنظر الاعتبار الحاجه إلى التّبادل الثّقافىّ فيما بين المجتمعات وكذا نتائج وتبعات تأثّر بعض الثّقافات بالثّقافات السائده، ينبغى النّظر فى أبعاد وحجم هذا التأثير والتأثّر، وهل هو بمعنى اضمحلال وفقدان خصوصيّات ثقافات معيّنه وضعيفه؟ وهل أنّ الثّقافات التّسلّطيّه السّائده تمتلك القابليّه والتّميّز والأفضليّه نسبه إلى الثّقافات الأخرى؟ أليس من الممكن أن تفقد العوامل الفكريّه، المعنويّه، التّاريخيّه، اللُّغويّه والمذهبيّه الّتى لها دور فى تكوّن وتميّز المجتمعات؛ هويّتها من خلال الغزو الثّقافىّ الأجنبىّ؟

ص:۱۱۵

يعتقد البعض أنّ جميع الثّقافات الوطنيّه والمذهبيّه تقع تحت شعاع تأثير التّطوّرات العالميّه والتّقنيّات المعلوماتيّه الّتی تتّصف بالشّموليّه فی عمليّه العولمه، وتفقد هويّتها وقيمها وفعاليّتها وتتعرّض للتّحلّل والتّفسّخ. وحسب افتراض أنصار نظريه (الحضاره العالميّه الواحده) فإنّ تعزيز العلاقات الثّقافيّه والتّواصل فيما بين الثّقافات والمجتمعات يؤدّی إلی تبلور (ثقافه عالميّه). وتكون: التّجاره العالميّه و إزاله الحدود الاقتصاديّه، اتّساع العلاقات الإنسانيّه، الهجره والسّفر، تبادل الأفكار، الثّقافات والأديان، سهوله التّواصل فيما بين العلماء وتوسيع التّبادل العلمیّ والتّعليمیّ، انتشار السّياحه، وسائل الاتّصال الجمعیّ، توطيد العلاقات النّاجمه عن التّقنيه المتقدّمه المعلوماتيّه والألكترونيّه الّتی تجعل من العالم (عالما متّحدا) و (عالما متحرّكاً)، من أسباب ولاده هذه الثّقافه العالميّه.(١)

فهل أنّ مسيره العولمه تؤدّی إلی التّوحّد الثّقافیّ وولاده الحضاره والثّقافه العالميّه الواحده؟ وبعباره أخری، فی أیّ اتّجاه يسير العالم فی مستقبله من خلال هذه العمليّه؟ توحّد الثّقافات أم تشتّتها وتجزّؤها وتعدّدها؟ ومع غضّ الطّرف عن الاتّجاهات المختلفه والمخاوف الموجوده، فقد اتّجهت بعض الدّول باتّجاه القبول بالعصرنه والثّقافه الغربيّه، وأصرّ البعض الآخر علی الحفاظ علی ميزاته وإرثه الثّقافیّ والدّينیّ لإحساسه بخطر فقدان هويّته وقيمه وثقافته.

إنّ عمليّه العولمه سيكون لها تأثير عميق و واسع علی الأسس الثّقافيّه والاجتماعيّه والعلاقات الدّوليّه. وستعرّض المفاهيم التّقليديّه للحاكميّه، الهويّات الدّينيّه والمذهبيّه، القيود الثّقافيّه والأيديولوجيّه؛ للتغيّر و الانسلاخ.(٢)

ص:١١٦

١- (١) جاءت هذه العباره علی لسان دغلاس ميسی (Douglaes massey).

٢- (٢) علی أصغر حاتمی، العولمه و أزمه النّظريّه السّياسيّه، ص ٨٣.

فعولمه الثّقـافه هی إحـدی مسـتلزمات وإفرازات العولمه. ولکنّهـا لا تعنی تنامی الاتّجاه نحو ثقافه عالمیّه واحـده ومتوحّـده. وفی الحقیقه لا ـ یمکن تسـمیه التّماثـل الثّقافیّ واسـتنساخ الثّقافه الغربیّه عولمه؛ ولکنّ الاسـتدلال للعولمه الثّقافیّه یأتی بمعنی «تمخّض وسائـل الاتّصـال الجمعیّ، التّطوّر التّقنی، تیّار الهجره البشـریّه، انتشار السّـیاحه وتشـکیل المؤسّـسات الاجتماعیّه و الثّقافیّه (الثّقافه الثّالثه)؛ عن نوع من التّرابط الثّقافیّ المتنامی فی مختلف أرجاء العالم».(۱)

إنّ طـبیعه العـولمه الثّقـافیّه غیّرت وطـوّرت الأفکـار، العقائـد، السـلوکیّات والأهـداف لمختلـف المجتمعـات والثّقافـات، و جرّت المفـاهیم البنیویّه للثّقافـات کالحـاکمیّه الوطنیّه، الهویّه، النّظم القیمیّه والـدّینیّه نحو مشاکـل متعـدّده، وطلّت فی الأفـق إرهاصات الاندماج ومسخ القداسه من خلال انهیار المقاومه علی مستوی العقائد والقیم.

إنّ العولمه وعلی خلاـف آثارها السّـلبیّه ونتائجها المؤلمه علی الثّقافات الأخری، یمکن أن یکون لها آثار إیجابیّه علی الثّقافات: «فبعض الآثـار الإیجابیّه للعولمه علی الثّقافه عباره عن: تسارع الحرکه الاجتماعیّه، تعزیز و نمو الفکر البشـریّ، ازدیاد الاتّصالات، وإمکـانیّه تنـامی تبـادل المعلومـات والآراء، الفهم الأفضل للتّعامل المتبادل فیما بین الثّقافات، وتأسـیس منظومه من النّظم القیمیّه المشترکه، واکتساب الهویّه العالمیّه الجدیده.(۲)

۱- (۱) کیت نش، علم الاجتماع السّیاسیّ المعاصر، ص ۷۶، «التّرجمه الفارسیّه لمحمّد تقی دلفروز».

۲- (۲) محمد رضا دهشیری، «العولمه و الهویّه الوطنیّه»، فصلیّه مطالعات وطنیّه، السّنه الثّانیه، العدد ۵، ص ۷۳.

و یعتقد الوین تافلر أنّ الاتّصالات تعدّ من أهمّ وسائل نمو المجتمعات البشریّه فی عالم المستقبل،(۱) والّتی سیکون لها تأثیر باهر علی جمیع المستویات الثّقافیّه، الاقتصادیّه، الاجتماعیّه، الخدمیّه و غیرها.

إنّ العولمه تهیّء الأرضیّه لموجبات التّجانس الثّقافیّ والحضاریّ علی عکس رأی بعض المفکّرین الّذین وصفوا عملیّه استقرار ثقافه عالمیّه واحده وحدوث التّجانس الثّقافیّ بأنّها نظریّه ساذجه، ویمکن ملاحظه شواهد ونماذج للنّزعه العالمیّه نحو الثّقافه العالمیّه المشترکه فی بعض المجالات.

و فی مقابل ذلک فإنّ منتقدوا هذه النّظریّه ومن خلال طرح بعض الشّواهد کالأصولیّه المذهبیّه، الحرکات المُحبّه للسلام، سلامه البیئه وغیرها عدّوا ذلک داعیاً إلی رفض هذا الاتّجاه ودعواه. ولکن لابدّ من الإذعان الیوم بوجود اتّجاه عالمیّ یتعلّق بمقولات العلم والتّقنیه، تقنیه المعلومات، التّبادل الثّقافیّ، السّلام والأمن العالمیّ، قضایا البیئه، الصّحه، حقوق الإنسان والدّین. و کمحصّله عامّه للآراء المتعلّقه بمستقبل العالم ونهایه العولمه؛ یمکن الإشاره إلی ثلاثه أسالیب أساسیّه:

۱. إدغام جمیع الثّقافات فی ثقافه عالمیّه واحده سائده وذوبان باقی الثّقافات فیها.

۲. القبول بمنطق الحوار بین الثّقافات والحضارات والتّعامل العقلانیّ للثّقافات مع بعضها البعض.

۳. اعتماد استراتیجیّه الصّراع والحرب فیما بین الثّقافات والحضارات.

ونظراً للافتراضات الفعلیّه؛ ینبغی القول: إنّ النّظریّه الثّانیه تعدّ أکثر النّظریّات منطقیّه وواقعیّه لمستقبل الحضارات والثّقافات. ونظراً لارتباط حدوث العولمه بشراکه کافّه الثّقافات والحضارات والمذاهب، ابتداءً من

۱- (۱) الوین تافلر تغییرات القوی، ج ۲ ص ۱۷۶، «التّرجمه الفارسیّه لشهیندخت خوارزمی».

الفكر العالميّ الدّينيّ وحتى الفكر الفلسفيّ ذوالنزعه العالميّه، وإلى المكاسب العلميّه والأحداث العالميّه المهمّه، فجميع ذلك يساهم فى عمليّه العولمه. ومن هنا؛ وعلى أساس هذه النّظريه طُرحت بعض القراءات بخصوص العالميّه، ويمكن ذكرها فى أربعه محاور:

الأوّل: القراءه التّعليميّه.

الثّاني: القراءه الحضاريّه.

الثّالث: القراءه الأيديولوجيّه (كقراءه محوريّه الدّين، القراءه الشّيوعيّه أو الليبراليّه أو الرأسماليّه).

الرابع: القراءه المبتنيه على النّزعه العِرقيّه والمحوريّه القوميّه والجنسيّه.

ففى القراءه الأولى ينبغى إقامه نظام تعامليّ عالميّ مشترک يشمل کافّه المجالات يتّخذ من العلم محوراً له ويعتمد على التّطوّرات العلميّه العالميّه وعدم محدوديه العلم، و يكون منسجماً و مقتضيات الاتّجاه العلمى. و تمكين جميع مواطنى العالم من المكاسب العلميّه فى كافّه المجالات، واجتناب النّزعه الاحتكاريّه.

أمّا القراءه الثّانيه، فهى تؤكّد على دور الحضاره والثّقافه والمذهب، فالعولمه فيها تعنى التّوازن والتوحّد على الصعيد الثّقافيّ والخصائص المشترکه للأديان والتّعامل المشترک للمجتمعات بعضها مع البعض الآخر.

إنّ المقصود من المميّزات المشترکه للأديان فى هذا التّعريف؛ المفهوم العامّ لها والّذى هو عباره عن: الاعتقاد بوجود الله والتّصديق بماوراء الطّبيعه (الغيب) والإيمان بالأمور القدسيّه، والقبول بالدّور الإنقاذيّ والبنّاء للدّين.

فالعولمه فى هذه النظريّه، تعدّ فى الحقيقه نتيجه لتواصل الحضارات وتتميّز بصفه الوصله الحضاريّه، وأنّ الثّقافات والحضارات تستطيع الوصول إلى التّفاهم والتّعامل المشترک والعالميّ من خلال هذا التّواصل والتّفاعل.

وعلى هـذا ينبغى النّظر فى أنّ العولمه - بنـاءً على منطق العصـرانيّين - هـل تمتلـك القابليّه وأن تُوجـد الأرضـيه لأن يكون لباقى الثّقافات والحضارات دور تعاملىّ وبنّاء فى عمليّتها أم لا؟ وكما مرّ فى البحوث المتقدّمه، فقد أثبتنا أنّ العصـرنه مع أنّها فى بعض صورها ذات اتّجاه عالمىّ وخصائص عالميّه وشموليّه، ولكنّ العولمه بمعناها الحقيقىّ والخارجىّ لا يمكن عدّها عولمه عصرانيّه، إلّا فى حال عـدم وجود أيّه حضاره وثقافه منافسه للعصـرنه، ففى ذلك الوقت يمكن الإذعان بوجود عولمه عصـرانيّه على أرض الواقع.

ومن جـانب آخر، سـتواجه العصـرنه تعارضـاً فى أغلب مبانيهـا، وأزمـات ومشاكـل متعـدّده معرفيّه؛ علميّه واجتماعيّه. إضافه إلى تجاهلها دور الدّين وبعض القضايا المهمّه المؤثّره فى الحياه البشـريّه. فالعولمه بهذا المعنى؛ سـتؤدّى إلى ازدياد الأزمات العالميّه وتعميق مشاكل العالم الفعليّه، وهى وفقاً للقراءه العصـرانيّه؛ تكون مفروضه وليست اختياراً وفرصه وانتخاباً. والّذى يعدّ فى الواقع قبولاً بأنموذج الحضاره الغربيّه وسـيطره ثقافتها على العالم. ولذا فالعولمه بهذا المعنى ليست واقعيّه، وإنّما يمكن تسـميتها (غربنه) والّتى تؤدّى إلى رفض الحضـارات الأخرى وتهميش الثّقافـات وتتسبّب فى اختلافات ومشاكل كثيره. وكما ينبّه هوبرماس على ذلـك: «و فى وسـط هـذه القراءات الثّقافيّه نواجه اسـتدلالات لأصـحاب سائر الثّقافات يُشـكلون فيها على الثّقافه الغربيّه بناءً على قوالبهم وتقاليدهم الفكريّه. وأنّ السّـبب فى ذلك يعود إلى أنّ جميع الأديان والثّقافات تتعرّض لإشكاليّات تجدّد العولمه الغربيّه وإلى ضـغوط الثّقافه المادّيّه الّتى تسـعى نحو التّماثل العالمىّ».(۱) وسـتواجه عمليّه العولمه ردود أفعـال اجتماعيّه وثقافيّه مختلفه، تنعكس على شـكل حركـات تحرّريّه تقف بوجه الاسـتعمار والعولمه، وذلـك من خلال اضـطراب الأنظمه الاجتماعيّه والأسـس الثّقافيّه. إنّ

۱- (۱) يورغن هوبرماس، العولمه ومستقبل الدّيمقراطيّه، ص ۱۱۴، «التّرجمه الفارسيّه».

هـذه الحركات الّتى تتمتّع بالقيم العقلانيّه والـدّينيّه تسـتبطن الرّدّ النّاجع الّـذى يهـدف إلى ترميم العقلانيّه العالميّه والخلاص من مغامراتها الباهضه الثّمن. ويحدّد هوبرماس فى هذا المجال ثلاث مهمّات ووظائف لعقلنه عالم الحياه:

١. لزوم استمرار التّقاليد الثّقافيّه والدّينيّه.

٢. لزوم وضع السّلوكيّات والقيم فى خدمه الوحده والتّكاتف الجماعىّ.

٣. يجب على الجيل المعاصر السّعى نحو التّواصل والتّلاحم الاجتماعىّ.

إنّ نظريه هوبرماس تؤكّد على عقلنه عالم الحياه، فى مقابل جعلها مسـتعمره، وقد طرح هذه الصّيغه نظراً للحاجه الماسّه إلى دور الأفعال التّفاهميّه أو العقلانيّه التّفاهميّه.

ولتنقيـح نظريّته هـذه، ينبغى التّـذكير أوّلاً ـ بأنّها مع كونها تبـدو نظريّه استراتيجيّه ومنطقيّه، ولكن نظراً إلى أنّ هوبرماس يعـدّ من الّذين يعتقدون بعدم وصول العصـرنه إلى نهايتهاً حتى الآن، وأنّ بإمكانها الاستمرار فى إعاده البناء وفى شموليّتها العالميّه. وعلى هـذا فهو يحلّل العولمه على أساس المقوله العصـرانيّه. ولكنّه يقول بالعقلانيه التفاهميّه والاعتراف بسائر الهويّات الثّقافيّه والدينيّه. ومع كونه مطّلعـاً وبصوره واسـعه على فعّاليـات النّظـام الليبرالىّ الغربىّ وفعاليّـات السّوق الرأسـماليّه فى النّظـام الاقتصادىّ الغربىّ والاتّجـاه العلمـانىّ للعصـرنه، ولكن لم يتّضـح سـبب إذعانه فى كتابه (العولمه ومسـتقبل الـدّيمقراطيّه) بأنّ «العولمه تجبر الـدّول والأمم على فتـح أبوابهـا بوجه النّمـاذج الأجنبيّه الجديـده للحيـاه الثّقافيّه» ويصـرّح «بأنّ الـدّول لا تتمكّن بعـد الآن من المقاومه والوقوف بوجه عمليّه التّماثل والتّعصرن».(۱) وعلى هذا لا يُعلم سـبب قوله بإمكانيه الجمع فيما بين فرض النّماذج الثّقافيّه للغرب والعقلانيّه التّفاهميّه.

۱– (۱) هوبرماس، العولمه ومستقبل الدّيمقراطيّه، ص ۱۱۴، «التّرجمه الفارسيّه».

تعارض الثّقافات

فی رأی هوبرماس أنّ هناک نزاعاً وجدالاً سیحدث فیما بین التّراث، الهویّه، القیم الوطنیّه ومافوق الوطنیّه فی عملیّه العولمه، وأنّ هذا الجدل یحکی عن التّوازن الحاصل فیما بین الثّقافات من جانب والتّحرّر الخلّاق لها من جانب آخر.

إنّ الثّقافه الأصیله وردّا علی الضّغوط التّماثلیّه للثّقافه المادّیّه غالباً ما تبرز علی شکل أنظمه جدیده، تسعی لصنع أشکال حدیثه من الثّقافات التّرابطیّه والالتقاطیّه قبل أن تحاول المقارنه بین الاختلافات الثّقافیّه. إنّ التّواصل الثّقافیّ یؤدّی إلی نشوء ثقافات جزئیّه وقوالب حدیثه ومتعدّده. فعلی سبیل المثال لو نظرنا إلی الهجره غیر المقصوده والاتّصالات الواسعه لرأینا کیف تؤدّی إلی تغیّرات عمیقه فی التّرکیبه العِرقیّه، الدّینیّه، الثّقافیّه والوطنیّه.

إنّ العولمه تعدّ عملیّه تمایزیّه وتماثلیّه فی ذات الوقت، فهی من جانب تسوق العالم نحو التّعدّدیّه الثّقافیّه وتهیّء الأرضیه لعرض الهویّات الوطنیّه والقومیّه علی السّاحه العالمیّه؛ من خلال قبولها بقیمه الثّقافات الجزئیّه والقدرات المحلّیّه. ومن جانب آخر تتسبّب فی التّأثیر علی الثّقافات والهویّات المحلّیّه والوطنیّه من خلال إبراز ثقافه عالمیّه واحده.

إنّ التغیّرات ذات الصّور المتناقضه والّتی تنجم عن هذا الوضع المتجدّد والمعقّد والمتعدّد الجوانب تؤدّی إلی تسهیل العلاقات الفردیّه فی مجالات متعدّده، وترسیخ المواجهه فیما بین الثّقافات. وتُوجد نزاعات تضطرّ معها المجتمعات الدّینیّه والثّقافات الأصیله إلی اتّخاذ اتّجاهات معقوله وبنّاءه فی هذا المجال. إنّ تعزیز العناصر الثّقافیّه المشترکه فیما بین مواطنی العالم والثّقافات المختلفه یمکن أن یعدّ اتّجاهاً إیجابیّاً وبنّاءً، ویبرز من خلال نموّه وتکامله علی شکل (ثقافه عالمیّه واحده).(۱)

۱- (۱) جنکیز بهلوان، علم الثّقافه، ص ۴۰۵، «باللّغه الفارسیّه».

إنّ النّزاع الثّقافیّ الیوم یتمّ فی إطار مجتمع عالمیّ واحد، والّذی ینبغی علی مجموع اللّاعبین فیه النّظر إلی السّنن الثّقافیّه المختلفه، لیتوصّل إلی اتّفاق حول السّلوکیّات المعاشه. ففی الوقت الرّاهن لا یمکن أن تکون العزله والأنانیّه جدیره بالانتخاب. فتاملسون یعتقد: «بأنّ الثّقافه المتعولمه الیوم هی ثقافه عالمیّه غیر مبتنیه علی الفوضی والاختلاف وفی الوقت ذاته لا تأتی الثّقافه من خلال الجمع بین التّجارب والحاجات البشریّه؛ ولکنّها تحکیم لنوع من أنواع الثّقافه تمتلک قدره أکبر»(۱) وإنّ هذه الثّقافه الغالبه هی نفسها الثّقافه الغربیّه والّتی بادر الغرب من خلالها لطرح فکره ومشروع العولمه لتوحید الثّقافات وغربنه العالم. إنّ هذه الطائفه وبناءً علی نظریّات أمثال هنتیغتون وفوکویاما تعتقد بأنّ الثّقافه اللیبرالیّه الغربیّه تتّصف بقیم العالم الشّمولیّ ومن خلال الدّفاع عن نظریّه (نهایه التّاریخ) تعتقد بأنّ العولمه ما هی إلّا انتشار الثّقافه الغربیّه الّتی هی ثقافه الرأسمالیّه واللیبرالیّه والعلمانیّه الغربیّه. ویصرّح هنتیغتون بشکل سافر فی هذا المجال: «فی نهایه القرن العشرین، کان مفهوم الحضاره العالمیّه یصبّ فی خدمه تبریر التّسلّط الثّقافیّ الغربیّ علی باقی المجتمعات، أمّا الآن فقد أخذت المجتمعات الأخری فی تقلید ومحاکاه الأسالیب والمؤسّسات الغربیّه. إنّ النزعه العالمیّه والأیدیولوجیّه الغربیّه جاءت لمواجهه الثّقافات غیر الغربیّه. إنّ الغربیّین لا یعرفون عن العولمه سوی أنّها (تغریب) غیر الغربیّین. وإنّ ما یسمّیه الغربیّون بالتّماثل العالمیّ التّدریجیّ (کانتشار الإعلامیّات العالمیّه) یعتبره غیر الغربیّین إمبریالیّه شیطانیّه غربیّه.

۱- (۱) صاموئیل هنتیغتون، صراع الحضارات وإعاده بناء النّظام العالمیّ، ص ۱۰۳، «التّرجمه الفارسیّه لمحمّد علی رفیعی».

مناقشه نظريّه صراع الثّقافات والحضارات

إثر سقوط الشّيوعيّه وانتهاء الحرب البارده، عُرضت نظريّات مختلفه فى مجال البحث عن منشأ القوّه والتخطيط لمستقبل الوضع العالميّ. إنّ إحدى النّظريّات الّتى أحدثت ضجّه فى الأوساط العلميّه والسّياسيّه؛ نظريّه صراع الحضارات، لصاموئيل هنتيغتون. ففى اعتقاده أنّ مرحله التّنافس الأيديولوجيّ قد انتهى بانتهاء الحرب البارده. إنّ هنتيغتون طرح هذه النّظريّه متأثّراً ببرنارد لويس المؤرّخ والمستشرق الأمريكيّ. فأسباب صراع الحضارات الإسلاميّه والمسيحيّه والكنفوشيوسيّه فى هذه النّظريّه لا ترتبط بالأبعاد السّياسيه ولكنّها سترتكز على المميّزات الثّقافيّه والمذهبيّه لهذه الحضارات، ففى اعتقاده أنّ المواجهه الحضاريّه لابدّ منها، وأنّ المذهب يلعب دوراً أساسيّاً ومحوريّاً فى تبلور الحضارات ومسار اتّجاهها. وأنّ الاختلافات الثّقافيّه فيما بين الحضارات لها جذور عميقه ولا نهايه لها: «إنّ الثّقافه والحضاره تتضمّن قيماً وسلوكيات وأساليب فكريّه وأفعالاً وأحكاماً ومؤسّسات تتمتّع فى كلّ مجتمع بأعلى درجات الاحترام من قبل أفراد ذلك المجتمع».(۱)

ويوضّح هنتيغتون نظريّته بهذا الشّكل: «إنّ افتراضى مبتنى على أنّ المصدر الأساسيّ للصّراع فى العالم المعاصر؛ لم يكن أيديولوجيّاً أو اقتصاديّاً بالضّروره، ولكنّه الهوّه السّحيقه بين أفراد البشريّه، و إنّ أهم مصدر للصّراع هو الطّبيعه الثّقافيه، ولا يبدو أنّها قد فقدت فاعليّتها، كما أنّها تعارض وتخالف التّحكّم والسّيطره. إنّ الحضارات تُعرّف من خلال عناصرها الواقعيّه المشتركه كاللّغه، التّاريخ، المذهب، التّراث والمؤسّسات، وأنّ الهويّه الحضاريّه سيكون لها أهمّيّه متزايده فى المستقبل». ثمّ ومن خلال طرحه

۱- (۱). Samuel p. Huntington the clash of eivilization and the Remarleing of the world order tendon ۱۹۷۷ p.A.i

السّؤال التّالی، وهو لماذا ستتواجه الحضارات فیما بینها؟ یجیب قائلًا: «أوّلاً؛ إنّ وجوه الاختلاف فیما بین الحضارات لیست فقط واقعیّه، وإنّما ممّا لابدّ منها. ثانیاً؛ إنّ العالم فی حاله تصاغر وانضغاط. ثالثاً؛ إنّ مسیره التّحدیث فی المجالات الاقتصادیّه والاجتماعیّه فی جمیع أنحاء العالم تؤدّی بالإنسان إلی الانفصال عن هویّته القدیمه والأصیله. رابعاً؛ إنّ الدّور المزدوج للغرب یُنمّی ویعزّز الاطّلاع الحضاریّ. خامساً؛ لا یمکن إخفاء الممیّزات والاختلافات الثّقافیّه إلّا بشکل یسیر. سادساً؛ إنّ الإقلیمیّه الإقتصادیّه هی فی حاله نموّ وتوسّع وهذا ما یساعد علی تقویه الحضارات الأخری».(۱)

ثم یستنتج بأنّه: «یمکن التکهّن بعدم بقاء أیّه حضاره ذات شمولیّه عالمیّه فی المستقبل، ولکن سیکون هناک عالماً متعدّد الحضارات تضطرّ کلّ حضاره فیه إلی تعلّم کیفیه التّعایش مع الأخریات».

وبعد سنوات من طرح هنتیغتون نظریّته هذه، ومن خلال ملاحظته قرائن وشواهد واقعیّه عن التّطوّرات الّتی نجمت عن الإسلام، أذعن بأنّ مقولته فی: «أنّ الحضاره الإسلامیّه فی طریقها إلی الزّوال» فی نظریّته تلک غیر صحیحه وصرّح معقباً: «اعتقد بأنّ الحضاره الإسلامیّه حضاره راسخه وخالده».(۲)

إنّ أغلب مفکّری العالم یذعنون بأنّ أکثر المواجهات والحروب الّتی حدثت مؤخّرا فی العالم ذات بُعد ثقافیّ، وقد سخِروا من نظریه (صراع الحضارات) و (نهایه التّاریخ) واعتبروها نوعاً من النّبوءه غیر العلمیّه. ویعتقد البعض الآخر ومن خلال مناصرتهم لنظریّه هنتیغتون بتمخّض ثقافه وحیده وهی الحضاره العالمیّه الواحده (الرأسمالیّه). أمّا باقی الحضارات والثّقافات

۱- (۱) صاموئیل هنتیغتون، صراع الحضارات، مجلّه معلومات سیاسیّه واقتصادیه، العدد ۶۹-۷۰ «التّرجمه الفارسیّه لمجتبی أمیری».

۲- (۲) محسن قانع بصیری، «هنتیغتون، غیّرت عقیدتی»، مجلّه الفکر الحدیث، العدد الأوّل، ص ۷.

فستتعرّض للهزيمه والانـدحار. ومن هنا، فإنّ أجواء الصّراع فيما بين الثّقافات والحضارات يعـدّ منتفياً من الأساس، ولكنّنا نشاهد ضمن هـذه الحضاره العالميّه الواحـده عـدم المساواه والحروب العنيفه، فيما بين المنبوذين من جهه والمدعومين من جهه أخرى، وبين السّاده الجدد والمواطنين الضّعفاء. ولـذا سيتعرّض التّوحـد الثّقـافىّ والاجتماعىّ لهـذه الحضاره العالميّه الواحـده لمخاطر وصدمات.(۱)

ويصف هنتيغتون العـالم الجديـد إثر انهيار النّظام الشّيوعىّ بما يتكهّن به، من «أنّ افتراضـى هو أنّ السّبب الأساسـىّ للمواجهات والحروب فى العـالم الجديـد ليس هـو المسائـل الأيـديولوجيّه أو الاقتصـاديّه، و إنّمـا السّبب المهمّ للتّنـافر والخلاـف والمصـدر الأساسىّ للصّراع هو المسائـل الثّقـافيّه». «فى صـراعات العالم المستقبليّه، سـتقف الأمم والطوائف وجهاً لوجه، والّتى ترتبط كل واحده منها بحضاره مختلفه. وإنّ هذا الصّراع والتّوتّر فيما بين الحضارات سيتحكّم بالسّياسه العالميّه، وأنّ الجبهات المستقبليّه؛ ستكون ساحه التّنافس والصّراع الحضارىّ».(۲)

ففى اعتقـاده أنّ النّزاع العالمىّ فى المستقبل ذو طبيعه ثقافيّه وأنّ النتاج السّياسـىّ له هو الصّراع فى خطوط التّماس والتّقاطع فيما بين الحضارات الأساسيّه فى العالم. إنّ اعتقاد هنتيغتون بعدم إمكانيّه تبلور حضاره عالميّه واحده يقوم على الأسباب التّاليّه: أوّلاً؛ اعتقـاده بتكـافؤ الحضـاره مع الثّقافه، ثانياً؛ وإنّ العناصـر الأساسيّه الّتى تكوّن الحضاره هى اللّغه والـدّين، ويؤكّـد على أنّ «عامل الدّين، هو من أكثر عناصر الثّقافه محوريّه».(۳)

۱- (۱) كاظم علم دارى، نقد نظريّه صراع الحضارات وحوار الحضارات، ص ۵۳ و ۱۱۷.

۲- (۲) ر. ك. اكناسيو رامونه، هل يسير العالم نحو الفوضى، «الترجمه الفارسيه لبريجهر شاه سوند».

۳- (۳) كاظم علم دارى، نقد نظريّه صراع الحضارات وحوار الحضارات، ص ۱۸۷، «باللّغه الفارسيّه».

وبناءً على هـذا المبنى يذكر بأنّه «إذا أرادت الحضاره العالميّه الواحده الظهور والبروز، فينبغى عليها السّـعى نحو إيجاد لغه عالميّه واحده ودين عالميّ».(۱)

نقد ووجهه نظر

إنّ نظريّه هنتيغتون ترتكز على محورين أساسيّين:

الأوّل: محوريّه الدّين فى الحضارات الكبيره.

الثّانى: إنكـار إمكـانيه وجود حضـاره عـالميّه واحـده أو اتّحـاد حضارات. يعـدّ هـذان المحوران من المظاهر المهمّه و الأساسـيه لنظريته، و لكنّ الدّين حسب رأيه يعدّ العنصر الأهمّ فى نشوء وانتشار الحضارات.

وهو يعتقـد أيضاً ويؤكّـد على المواجهه الذّاتيّه والّتى لا يمكن فيها المساومه فيما بين الأديان والثّقافات والّتى يتمحور من خلالها التّعـارض الجوهريّ بين الحضـاره الغربيّه والشّـرق، وعلى الخصوص مواجهه الغرب مع العالم الإسـلاميّ. ويسـتمرّ فى بيان نظريّته فيكتب «تتواجـد فى عـالم اليوم تسع حضـارات كبيره وهى عبـاره عن: الحضاره الغربيّه، الأمريكيّه اللاتينيّه، الأفريقيّه، الإسـلاميّه، الصّـينيّه، الهنديّه، الأرثوذكسيّه، البوذيّه واليابانيّه، ويتركّز التّعارض الأساسيّ فيما بين الحضاره الإسلاميّه والغربيّه والصّينيّه من بين هذه الحضارات».(۲) ويقول: إنّ استدلال مؤيّد و نظريّه الحضاره العالميّه الواحده يرتكز على ثلاث فرضيّات:

۱. انهيار الاتّحاد السّوفيتيّ السّابق والنّظام الشّيوعيّ.

۲. انتهاء الحرب البارده.

۳. نظريّه نهايه التّاريخ وانتصار الليبراليّه الدّيمقراطيّه الغربيّه وانتشارها فى العالم.

۱- (۱) المصدر نفسه، ص ۱۸۸.

۲- (۲) كاظم علم دارى، الأزمه العالميّه ونقد نظريه صراع الحضارات، ص ۷۸، «باللّغه الفارسيّه».

أمّا في مجال نقد هذه النّظريّه فينبغي القول: إنّ افتراض الاستدلال الآنف غير صحيح؛ وذلك لأنّ هنتيغتون يعتقد بأنّ المواجهه السّابقه في مرحله الحرب البارده، قد حلّت محلّها المواجهه فيما بين الحضاره الإسلاميّه والمسيحيّه. وعلى هذا؛ أوّلًا: لا يمكن احتساب المواجهه فيما بين الغرب والشّيوعيّه مواجهه فيما بين حضارتين دينيّتين. ثانياً: من الواضح أنّ أغلب النّزاعات والحروب الفعليّه في العالم لم تقم من خلال الدّين أو على أساس محوريّته. ثالثاً: ينبغي أن لا نأمل خروج الحضاره الغربيّه منتصره من هذه المواجهه وأن تعمّ العالم بعدها. و «أنّ المسلمين والحضارات الصّينيّه، الهنديّه، البوذيّه وغيرها ستسارع للالتحاق بركب الليبراليّه الغربيّه باعتبارها البديل الأوحد عن هذه الحضارات».(۱)

نقد نظريّه صراع الحضارات

۱. إنّ الشّواهد والقرائن الّتي عُرضت لإثبات هذه النّظريّه لا تصل إلى درجه تستطيع معها إثبات كلّياتها، وهي في حدّ ذاتها أيضاً قابله للمناقشه.(۲)

۲. إنّ هذه النّظريه تؤكّد على المواجهه فيما بين الحضارات وليس فيما بين الأمم والدّول، في حال أنّ النّظريات المنافسه لها، تؤكّد على العوامل السّياسيّه، الاقتصاديّه والعسكريّه وعلى أنّ لها الدّور الأساسيّ والمحوريّ في ذلك.

۳. إنّ نظريّه هنتيغتون ترتكز على تحليل خاطئ وسطحيّ للإسلام، وبحسب تعبير محمد علي إسلامي ندوش: «إنّ هنتيغتون لا يعرف الشّرق. فلايمكن النّظر إلى العالم الإسلاميّ بعين واحده»، فالأمر الصّحيح هو عدم وجود آراء مشتركه حول الغرب في العالم الإسلاميّ.

ص:۱۲۸

۱- (۱) المصدر السّابق، ص ۱۳۸.

۲- (۲) السّيّد صادق حقيقت، حوار الحضارات وصراع الحضارات، ص ۳۵-۴۰، «باللّغه الفارسيّه».

۴. أوّلاً؛ إنّ هـذه النّظريّه تفترض غربـاً موحّداً، ولكنّ القرائن تحكى عن خرق وصـدع أصـبح سـافراً فى داخل الحضاره الغربيّه. ثانيـاً؛ من غير الواضـح كيف يُلبس الحضـاره الغربيّه لباساً مـذهبيّاً ويبرّر الاتّجاه العلمانىّ لها فى حال أنّ أسسـها الفكريّه والعلميّه تؤكّد على رفض المذهب.

۵. النقطه الأخرى فى هـذه النّظريّه (صـراع الحضارات) عدم الاعتداد بإمكانيّه التّعاون والتّعايش فيما بين الحضارات. فى حال إنّ التقـارب فيمـا بينهـا والميل نحو التّعامل والحوار هو أكثر قبولاً وذو قيمه استراتيجيّه. إنّ الإشـكال الآخر الّذى يرد عليها تأكيـدها على محوريّه الـدّين فى الحضـارات العالميّه المهمّه، ولكنّ هـذه المسأله فى نظريّه هنتيغتون تتضـمّن غموضاً كبيراً. و هو لم يُشـر من جهه أخرى إلى النّهايه غيرالعقلانيّه والخطيره لصـراع الحضارات. ثالثاً؛ إنّ هذه النّظريه تتضمّن تناقضاً داخليّاً؛ لأنّه يؤكّد على الـدّور البارز للدّين فى عمليه صـراع الحضارات، ولكنّه يحدّد العوامل المصـيريّه للحضاره الغربيّه بالعامل الاقتصادىّ، العسـكرىّ، السّياسىّ والتّقنىّ. ثمّ من غير الواضح ما المراد من كون الحضاره الغربيّه دينيّه.

۶. إنّ هـذه النّظريه لاـ تأخـذ بعين الاعتبـار الضّـعف والأزمـات غير القـابله للحلّ فى الحضاره الغربيّه والّتى برزت نتيجةً لإتّجاهها العلمانىّ واضمحلال القيم الإنسانيّه والأخلاقيّه فيها.

۷. إنّ هنتيغتون فى نقـده لنظريّه العالم الواحد، يعتقد بوجود تعارض فيما بين الأديان والثّقافات، و أنّ الدّين يعدّ الهويّه الأساسـيّه للمجتمعات والحضارات الفعليّه. فهو يقول: «إنّ للـدّين فى عالم اليوم مركزيّه مشـهوده، ومع وجود الهويّه الـدّينيّه والتّعارض فيما بين الأديـان والثّقافـات؛ لاـ يمكن تحقّق الحضـاره العـالميّه الواحـده». وللإجـابه على ذلـك ينبغى القول: إنّ الشّواهـد الخـارجيّه والتّاريخيّه تدلّل على أنّ التّعارض الموجود هو قومىّ

ووطنیّ ولیس دینیّاً وحضاریّاً، إنّ السّبب الأساسیّ للحروب التّاریخیّه، والتّمایز فیما بین المجتمعات کان یرتکز علی عامل القومیّه واللّغه أکثر منه علی الدّین والثّقافه. فعلی سبیل المثال، نحن نشاهد مجتمعات متعدّده ذات لغات وقومیّات مختلفه غیر مجتمعه علی مذهب واحد، کالدول المسیحیّه والإسلامیه، ولکنّ هویّتها الوطنیّه، اللّغویّه والثّقافیّه تبلورت من خلال العِرق، اللّغه، الثّقافه وتاریخها الأصیل. فإذا کان الدّین هو المحور للحضاره والثّقافه فینبغی أن یکون للمجتمعات المسیحیّه أو الإسلامیّه ثقافه شامله وواحده، ومن جهه أخری، ومن خلال الشّواهد التّاریخیّه والدّراسات الّتی أجریت فی مجال الحضارات البشریّه، تؤکّد علی وجود عوامل متعدّده لبروز ونموّ الحضارات وأفولها وانهیارها، والّتی غدت محطّاً لأنظار علماء الثّقافه والاجتماع. ومن هنا، ولأجل عوامل متعدّده أخری لا یمکن أن یکون الدّین هو العامل الأساسیّ والبارز للحضارات الفعلیّه، وعلی هذا الأساس فسّرت هذه النّظریّه صراع الحضارات علی أنّه مواجهه فیما بین الأدیان والثّقافات.

علاقه الشّرق والغرب

النّظریّه الثّانیه: التّعامل المتبادل بین الشرق والغرب.

إنّ بعض الباحثین(۱) والتّجدیدیّین قاموا ببیان علاقه الشّرق و الغرب مؤکّدین علی أهمیّه الاقتباس والاستفاده من التّقنیه الغربیّه، اعتقاداً منهم بأنّ الغرب یمکنه إهداء مکاسبه المهمّه العلمیّه والاقتصادیّه وغیرها للشّرق، وأنّ الشّرق یمکنه إعاره معنویّاته وقیمه الإنسانیّه الأصیله وفنّه الباهر للغرب. ویستطیع الاثنان من خلال الحرکه والنّشاط الدّائب للمجتمع البشریّ

۱- (۱) السید حسن نصر، و من ضمنهم المفکّر والعالم الإسلامیّ الإیرانیّ.

التّعاون من أجل تكميل بعضهما البعض. «إنّ الّذين يعتقدون بالتّلفيق، ينقسمون إلى صنفين: فصنف يفرّق فيما بين مفاهيم الحضاره والثّقافه ويوافق على الاستفاده من الحضاره الصّناعيّه مع الحفاظ على ثقافته الوطنيّه». وصنف يفرّق فيما بين مادّيّه الحضاره الغربيّه ومعنويّه الحضاره الشّرقيّه، ولكنّه يعتقد بإمكانيّه التّلفيق فيما بين الاثنين، إنّ بيان وتحليل كلٍّ من هذه النظريّات يرتبط بالإجابه على المشاكل النّظريّه لهذه النّظريّات والّتى لا يسعها المجال الآن. ولكون القيام بهذه العمليّه يعدّ من الجوانب الأساسيّه لنظريّه (عولمه العصرانيّه) والّتى لم تغب عن بال الباحثين مطلقاً. و «إنّ هذه المعرفه والاتّجاه نحو تطبيق الحقائق الدّينيّه مع الفكر اللادينىّ والدّفاع، من خلال قراءه واحده عن حقائق الأديان الأخرى فى مقابل المؤخذات والادّعاءات الّتى تدور حولها، يزداد أهميةً على غيره بين التّنويريّين والمفكّرين الدّينيّين».(۱)

اموس وبوديار يشير فى تحليله النّقدى للعصرنه الغربيّه إلى هذه الحقيقه وهى أنّ الشّرق يعدّ مرآةً للغرب وبإمكان الشّرق إعطاء الغرب ما لا يمكنه الحصول عليه فى أقطاره. ومن المتيقّن أنّ الاختلاف الجوهرىّ والأساسىّ فيما بين الشّرق والغرب هو فى هذه النّقطه بالذّات وأنّ الشّرق يعدّ متنفّساً للغرب للخروج من أزمته الفكريّه والثّقافيّه والمعنويّه، وساحه تتبلور فيها القيم الإنسانيّه، الّتى بإمكانها المساعده فى إخراج الغرب من محنته ومعضلاته تلك.

إنّ الشّرق باعتباره مهد الحضارات والأديان السّماويّه والعرفانيّه، يمتلك محفّزات واسعه لجذب انتباه الغرب واستطاع التّأثير عليه من خلال نقد العصرنه وقراءه الغرب من جديد.

۱- (۱) هوبرماس، العولمه ومستقبل الدّيمقراطيّه، ص ۱۸۴، «التّرجمه الفارسيّه».

الحصیله

تعرّضنا فی هذا الفصل لتحلیل علاقه العولمه بالثّقافه والآراء المطروحه فی هذا المجال، وأشرنا إلی أنّ أغلب المفکّرین مع أنّهم یذعنون بعدم إمکانیّه اجتناب التّبادل الثّقافیّ والارتباط فیما بین الحضارات، فقد اتّخذ کلّ منهم اتّجاهاً مختلفاً فی مجال وضع الثّقافات فی إطار عملیّه العولمه. وقد طُرحت عموماً ثلاثه اتّجاهات من الممکن أن تتعرّض للتّحلیل والدّراسه:

۱. دراسه إمکانیّه العولمه الّتی هی بمعنی سیطره ثقافه ما أو حاکمیّه ثقافه عالمیّه واحده.

۲. دراسه نظریّه صراع الحضارات والثّقافات ونظریّه نهایه التّاریخ.

۳. إنّ السّاحه المستقبلیّه للثّقافات والأدیان من الممکن أن تکون ساحه للتّعامل والحوار فیما بین الثّقافات والحضارات.

و قد أثبتنا وبأدله وافره أنّ الصّورتین الاحتمالیّتین الأولی والثّانیه لایمکن تحقّقهما من النّاحیه الخارجیّه والواقعیّه، ولا تمتلکان أدلّه کافیه وأسساً منطقیّه من النّاحیه العقلیّه. إنّ عولمه الثّقافات بمعنی توحّدها یواجه موانع ومشاکل لا تحصی. وأنّ نظریه صراع الثّقافات بدورها لا ـ تنطوی علی أسس علمیّه وأدلّه عقلیّه کافیه، ومن جانب آخر، فإنّ تفسیرها المنحاز والخطیر قد تمّ نقضه وإبطاله من خلال الشّواهد التّاریخیّه والخارجیّه. فلذا یمکن لمس النّتیجه وهی أنّه سیکون الوجه المعقول والمحتمل لقبول التّعددیّه الثّقافیّه والتّعایش والتّعامل فیما بین الثّقافات هو الاتّجاه العالمیّ.

إنّ التّبعیّه المتبادله فیما بین الثّقافات والتّواصل الثّقافیّ الواسع أخلی مکانه للثّقافه العالمیّه الواحده والمتّحده والّتی ارتبطت والتّحمت نظراً للأهداف والمصالح والمخاطر المشترکه. إنّ العولمه الثّقافیّه أو الثّقافه العالمیّه والّتی تتمخّض من خلال اندماج الثّقافات، تؤدّی إلی زوال الثّقافات

المتعـدّده. فهل تمتلك هـذه النّظريّه أدلّه وشواهـد كافيه فى هـذا المجال؟ وما هى الأسـباب والعلل الّتى تجعل الثّقافات الأخرى تستسـلم وبسهوله إلى مقتضيات العولمه؟ هل أنّ الثّقافات وبسبب عدم القابليّه والتّناغم مع الظّروف الجديده، فقدت قدرتها على المنافسه؟ أم أنّها بسبب عدم امتلاكها لأدوات العولمه وللتّطوّرات العالميّه السّريعه تسير نحو الاضمحلال؟

لقـد تبيّن واتّضـح أنّ المـدافعين عن هـذه النّظريّه لم يطرحوا أسـباباً كـافيه يمكن قبولهـا فى مجال (الثّقافه العالميّه الواحـده). إنّ الثّقافات الأخرى مع أنّها لا تمتلك القـدره على مواجهه الضّـغوط التّماثليه للعولمه، ولكنّها ومع إعاده بناء نفسـها والاسـتفاده من ظروف وفضاءات العولمه يمكنها الاسـتمرار فى المقاومه وضخّ أهدافها وقيمها، واسـتثمار أدوات وأسـباب العولمه لنشـر أهدافها وتوجّهاتهـا. وخصوصاً من خلال التّفسـير الّـذى يفسّـر العولمه على أساس النّظريّات الّتى تعتبرها بمثابه عولمه العصـرانيّه، الاتّجاه نحو الشّـموليّه، المركزيّه والوحده؛ ولكنّ العولمه وبناءً على مكوّنات ما بعد العصرنه لا تقتضى ذلك، وإنّما تؤدّى هى أيضاً إلى تعزيز التّعدّديّه الثّقافيّه، وتُوجد ثقافات متنوّعه ومتعدّده وقنوات واسعه ومفتّته.

وفى هـذا الوسـط سـيكون الخاسـر الوحيـد من بين الثّقافات الثّقافه الّتى تقف معارضه لعمليّه العولمه، أمّا بقيه الثّقافات فبإمكانها الاستفاده من فضاء العولمه بالشّكل المطلوب، وعرض متاعها على أبناء البشريّه بكافّه مللهم.

القسم الثّانی: إفرازات العولمه

اشاره

ص:۱۳۵

إفرازات العولمه

اشاره

إنّ العولمه وكما مرّ فى الصّفحات المتقدّمه ذات أبعاد واسعه ومتنوّعه، فمن الطّبيعى أن تتمخّض عن آثار ونتائج تتميز بالسّعه والتنوّع أيضاً، ويمكن إيجازها بالأبعاد الأساسيّه (الاقتصاديّه، السّياسيّه، الاجتماعيّه والثّقافيّه)؛ وبما أنّ هذا البحث ذو اتّجاه نظرىّ ومعرفتىّ؛ فسنقتصر على الإشاره إلى أهمّ نتائجها الثّقافيّه والاجتماعيّه، ونوكل النّتائج الاقتصاديّه والسّياسيّه إلى المختصّين فى هذين المجالين.

العولمه و التعولم

إنّ قضيه التّعولم تعدّ من أهمّ الهواجس الفكريّه فى العصر الحالى وعلى جميع الأصعده الّتى سبقت الإشاره إليها، وقد برزت من خلال النّموّ العلمىّ والتّقنى وتسبّبت فى طىّ الحدود وانتشار تداول المعلومات والتبادل العلمىّ والثّقافىّ فيما بين دول العالم ومؤسّساته.

وفى مقابل التّعولم، تقف العولمه بمشروعها المضاد للعلم وبنظريّتها السّلطويّه والسّياسيّه والّتى خُطط لها على أسس سياسيّه، والّتى تحاول

جعل النّظام الليبراليّ الغربيّ نظاماً عالميّاً محوريّاً وإعطائه بعداً فكريّاً. ومن هنا؛ فإنّ إجبار الأمم والثّقافات الأخرى على اتّباع هذا النّظام يتسبّب فى نتائج خطيره وأزمات عميقه. وعلى خلاف (التّعولم) الّذى يعدّ عمليّه وصيغه وتحوّلا يشمل كافّه الجوانب التّاريخيّه والثّقافيّه والاجتماعيّه والتّقنيّه والّذى ينشأ من عوامله الطّبيعيّه الخاصّه به، أمّا العولمه فما هى إلّا مشروعاً مضادّاً للعلم وبرنامجاً سياسيّاً واقتصاديّا غربيّاً يهدف إلى السّيطره على جميع مصادر الثّروات فى العالم من خلال إزاله الحدود السّياسيّه والثّقافيّه والاقتصاديّه. وبناءً على هذه النّظره فإنّ (التّعولم والعولمه) سواء كانت مشروعاً أم موضوعاً فهى قد ابتنيت على أسس الحضاره الغربيّه. لذا؛ فإنّ هذه العمليّه سواء فُسرت حسب أسس العصرنه أو حسب نظريّات ما بعد العصرنه أو بعنوان نشر الرأسماليّه؛ لا يوجد أدنى شكّ فى التّغييرات الأساسيّه الّتى أحدثتها على مختلف الأصعده وربّما كان بإمكانها المساعده فى حلّ المعضلات والمشاكل الفكريّه والاجتماعيّه والاقتصاديّه وأزمه الهويّه الوطنيّه، ولكنّ جوانبها السّلبيّه غطّت على جوانبها الإيجابيّه باعتراف أغلب المفكّرين والنّقاد.

فنحن لم نشاهد مطلقاً وعلى مرّ التّاريخ فرض نموذج ثقافىّ معيّن على العالم وبهذه الدّرجه من السّرعه. نموذج ألقى بظلاله الكثيفه وبشكل واسع على البنى السّياسيّه والاقتصاديّه والثّقافيّه لباقى المجتمعات. فالثّقافه الغربيّه بفرض نفسها على الثّقافات الأخرى، من خلال الاستفاده من الموارد الماليّه والمعلوماتيّه والتّقنيّه الفنّيّه المتقدّمه فى عمليه التّعولم؛ عملت على إضعاف وتدمير كافّه الثّقافات، وأدّت إلى تمييع التّقاليد المحلّيّه والتّراث الأصيل والتّعاليم المذهبيّه باستخدامها وسائل الغزو الإعلامىّ من الأنترنيت، الأقمار الاصطناعيّه، التّلفاز والإذاعات العالميّه، السّياحه، تصدير السّلع وفرض اللّغه

الانجليزيّه باعتبارها لغه العلم والمعلومات، وترويج النّزعه الاستهلاكيه والتجديديّه، وإشاعه الليبراليّه فی کافّه مجالات الحياه والدعوه إلى العلمانيّه، وتمكّنت بذلك من توسيع سيطرتها على العالم.

وقد حملت عولمه الرأسماليّه والأنظمه المرتبطه بها؛ بين طيّاتها نوعاً من النّزعه التّجديديّه ومعارضه التّقاليد والآداب ممّا لا ينسجم والهويّات التّاريخيّه والمذهبيّه الأصيله. وقد فرضت هذه الثّقافه مستلزماتها الخاصّه على باقی المجتمعات، كالأخلاق المتعلّقه بالطّبيعه الّتی أتحفتنا بالمشاكل البيئويّه، والأخلاق المتعلّقه بالتّنميه النّاجمه عن الشّرخ الواسع فيما بين الأثرياء والفقراء والّذی هو فی حال اتّساع متزايد تنوء البشريّه بعبئه الثّقيل، وأخلاق عباده الثّروه والتّرف والتّرفيه والتّنعم والاستهلاك، والأخلاق العلميّه الجافّه الّتی تُنكر وبشدّه الالتزام بالأخلاق والقيم الدّينيّه، والهندسه الجينيّه والّتی تخوّل لنفسها تغيير كلّ ما يتعلّق بأسس جميع المظاهر الحياتيّه.

ففی جميع المجالات المتقدّمه لا يمكن التّحدّث عن القيم والضّوابط العالميّه؛ كحقوق الإنسان، الحفاظ على الطّبيعه، الأمن العالمیّ والعداله العالميّه دون اعتماد أساليب جماعيّه وعقلانيّه وتفاهميّه.

ونظراً لهيمنه الثّقافه الحديثه على عالم اليوم واتّساع الأزمه المعاصره عالميّاً فإنّ الظواهر الّتی تبرز هنا وهناك تعدّ خطيره جدّاً مهما بدت تافهه وصغيره حتّى لقد خيّم على الإنسانيه نوع من الشّلل والعجز المهول إلى درجه وكأنّ العالم فی انتظار معجزه ما «إنّ التّجارب البشريّه المؤلمه، الثّورات السّاعيه نحو العداله، الأحلام المدنيّه العصيّه على التّحقّق، النّزعات الدّيالكتيكيه، الفلسفات الاجتماعيّه المتعدّده، كالماركسيّه، الليبراليّه،

الوجوديّه... الخ، كلّ ذلک ألقی بظلاله الکثیفه علی الفکر والنّفس الإنسانیّه، وأوجد ثقافه معقّده ومأساویّه ومضلّله».(۱)

إنّ هـذا البعـد المأسـاویّ للفکر الغربیّ، والعـدمیّه اللاذعه والهـدّامه؛ ینعکس من خلال بعض المظاهر الخـدّاعه وجـذّابیّه السّلع الکمالیّه الأنیقه والتّقنیه الغربیّه الّتی ربّما تکون خافیه علینا بعض الشیء ولکنّها تنمّ عن أزمه ثقافیّه عمیقه.

۱- (۱) تحت سماوات العالم (حوار شایکان داریوش مع رامین جهانیلکو).

۱. آثار العولمه على الثّقافات

اشاره

يقول ورنر شاب: «إنّ العالم يمرّ فى حاله تغييرات تنشأ عنها تحوّلات أخرى كان لها وجود سابق فى تاريخه المنصرم».

إنّ العـالم فى حال توحّـد وتصاغر وتحوّل إلى سوق مشتركه، وإنّ القريه العالميّه الّتى تكهّن بها مارشال ماك لوهان فى طريقها للتّحقّق. وقـد قال بطرس غالى الأمين العام السّابق للأمم المتّحـده يوماً: «نحن نحيا فى صـميم ثوره عالميّه، فكوكبنا الأرضـى هذا يتعرّض لضغوط متزايده ومتضادّه من جهتين: موجه العولمه والنزعه نحو التفتّت والتشتّت».(۱)

إنّ العـالم القادم سـيكون عالماً بلا حـدود، عالماً واسـعاً غير قابل للسّـيطره، عالم الاتّصالات الّتى لا تحصـى والتّطوّرات الخاطفه، عالم المتضادّات والغموض، عالم التّجدّد والاختراق، عالماً موحشاً ومجهولاً.

أثر المجتمع المعلوماتى على حياه الإنسان

إنّ التّقدّم التّقنىّ من الممكن أن يعرّض المجتمع لمزيد من الأضرار، و

ص:۱۴۱

۱- (۱) هانس بيتر وهارولد شومان، فخّ العولمه، ص ۱۰۱.

خصوصاً من خلال انتشار الوسائل والمنتجات الألكترونيّه. وسيتنامى ارتباط الأفراد والدّول مع بعضهم البعض بسبب زياده إمكانيّه الحصول على المعلومات الفوريّه. وهذا ما سيؤدّى إلى تشابك وتداخل وتعقيد غالبيّه المؤسّسات والمجتمعات. إنّ مراكز الاتّصال ومصارف عرض المعلومات تُشبه إلى حدّ ما عمل جذور الأعصاب، ولكن تحديد ما هو الإفراز الاجتماعىّ الأعمق ومعرفه نفسيّه المجتمع المعلوماتىّ أكثر صعوبه من ذلك.

وحسب وجهه نظر بعض المفكّرين فإنّ: (تقنيه وسائل الاتّصال جعلت الثّقافات العالميّه المتعدّده فى حاله تواصل واحتكاك ومواجهه مستمرّه، ولكن ينبغى أن لا نتوقّع فى الظّرف العالمىّ الفعلىّ تكافؤ نصيب الأمم والثّقافات المتعدّده فى الفرص والأخطار الّتى تواجهها. إنّ عصر المعلومات يتّسع تأثيره شيئاً فشيئاً على دائره الدّين؛ حتى شمل أيضاً الأساليب الّتى تتّبعها الأديان والمذاهب فى تعليم و نشر مفاهيمها و عقائدها، و أصبحت جميع الأديان و المذاهب فى معرض غزو تلك المعلومات القادمه من خارج حدوها الوطنيّه: «إنّ المعلومات الدّينيّه وأساليبها الدّعوتيّه ستُعرَض بشكل يختلف وأساليب المعرفه السّابقه».(۱)

تبلور قيم الثّقافه الجديده

اشاره

الوين تافلر فى كتابه (الموجه الثّالثه) يرسم عالماً يكون فيه الوفاق والوئام مع المعطيات النّاجمه عن صراع وتصادم الموجات التّاريخيّه واضحاً وضروريّاً، والّذى سيؤدّى إلى زوال الحدود السّياسيّه والسّعى نحو الوحده والتّبعيّه المتبادله وشموليّه القيم الثّقافيّه الجديده.

أمّا آل دوس هكسلى فهو أيضاً يتحدّث فى كتابه (عالم جديد مذهل)

ص:۱۴۲

۱- (۱) اينو باتاكا، الإعلام المذهبىّ فى عصر المعلومات «التّرجمه الفارسيّه لفيروزه درشتى».

عن عمليه العولمه ويقرّر بأنّ الثّقافه والقيم الإنسانيّه والتّاريخ البشرىّ ستطوى فى درج النّسيان، ويفقد فيها الإنسان إرادته وإحساسه، ويقتصر على تلبيه رغباته فى الرّخاء والتّقدّم والتّنوّع والتّسلّى بصناعاته وتقنياته. فإنّ (الإنسان المصطنع) حسب تعبيره سيكون مقيّداً فى حكومه عالميّه واحده تحصى وتراقب وتسيطر على كلّ شىء بنظام حديدىّ صارم، عالم يستحيل فيه الإنسان والفكر والثّقافه.

هناك اعتقاد بأنّ العولمه تسير نحو إيجاد صيغه ثقافيّه وسياسيّه تماثليه وتناغميّه حيث تضمحل فيها الثّقافات المحلّيّه، ويرى فوكوياما:

بأنّ عمليّه العولمه جلبت معها ثقافه استهلاكيّه غربيّه (الأقمار الاصطناعيّه، التّلفاز، هوليود... الخ) وتسبّبت كذلك فى إيجاد نوع من عدم المساواه وعدم تكافؤ الفرص، ولكنّى أعتقد بأنّ العولمه تؤدّى إلى التّرابط المالىّ والاقتصادىّ بين جميع دول العالم.(۱)

إنّ إحدى الآثار السّلبيّه للعولمه الثّقافيّه تتمثّل فى عمليّه (العلمنه)، فقد أوجب هذا الاتّجاه الثّقافىّ الغربىّ محو قداسه الشّؤون الثّقافيّه والاجتماعيّه والأخلاقيّه قاطبه. وتقوم العولمه حالياً بترويج ثقافتها هذه عن طريق شبكات الاتّصال ووسائلها الأخرى، ويعدّ الوضع التّضادىّ فيما بين العلم والدّين، العقل والدّين، عدم تلائم الدّين مع الحرّيّه، الدّين والدّنيا، الدّين والتّنميه، الدّين والتّجدّد، أسطوريه الدّين، خصخصه الدّين والإيمان، يعدّ كلّ ذلك من علائم شيوع فكره ثقافه الاتّجاه العلمانىّ (اللادينىّ) ونفوذ ثقافه الغرب فى المجتمعات الأخرى. فراج من خلال ذلك الانفلات الأخلاقىّ والاجتماعىّ، عدم المبالاه، النّزعه الاستهلاكيّه، النّزعه النّفعيّه، عدم تحمّل المسؤوليّه وتهميش القيم الدّينيّه والأخلاقيّه.

۱- (۱) فوكوياما: نهايه التاريخ.

۱-۱. استراتیجیّه الثّقافات فی مواجهه العولمه

یشیر نیل بوستمان(۱) إلی عالم هکسلی:

حیث یعتقد بأنّ سعی صنّاع الثّقافه من أجل استسلام الإنسان؛ المطلق وغیر المشروط والمنفعل للموجات الشّمولیّه لثوره المعلومات ووسائل الإعلام، یعدّ عامل القلق الأساسیّ لعالم الیوم، ویحذّر البشریّه من الاغترار والولع بعالم هکسلی الخیالیّ والمشوّق، العالم الّذی تتحوّل فیه السّیاسه والثّقافه إلی وسیله للإغراء والغربه النّفسیّه».(۲)

وتتعرّض الثّقافات الأخری للتّدمیر من قبل ثقافه العولمه الغربیّه.

فما هی وسائل الثّقافات الأخری لمواجهه المدّ المروّع لعملیّه عولمه ثقافه الغرب؟ وتقوم المجتمعات فی هذا الاتّجاه وفی أغلب نقاط العالم باتّخاذ أسالیب متنوّعه لمقاومه الاستحاله الثّقافیّه واضمحلال الهویّه الثّقافیّه الأصیله، ومنازله ومنازعه الثّقافه الغربیه. وتسبّب ذلک فی بروز اتّجاهات مذهبیّه وحرکات اجتماعیّه ونقابیّه وبیئویّه متعدّده.

وتزامن هذا الاندماج العالمیّ للثّقافات المتنوّعه مع مسار واتّجاه معارض ورافض أیقظ الأمم والشعوب وأثارها للسّعی لاستعاده تقالیدها و تاریخها وثقافتها الرّفیعه واکتساب هویّه جدیده.

ولأجل هذا؛ ونظراً لمخاطر وإفرازات العولمه ینبغی التّوجّه إلی المسائل المعنویّه والشّعور بالقیمه العلیا للرّوح الإنسانیّه وللدّعوات الّتی طالما انطلقت فی أوساط جمیع المجتمعات لصیانه حرمه الأدیان والثّقافات. وبتعبیر سلاف هافل: «نحن نعیش مدنیّه عالمیّه واحده... فقد استظلّت جمیع الثّقافات، الأمم والأدیان، السّنن التّاریخیّه والأفکار بسقف مدنیّه عالمیّه».(۳)

ص:۱۴۴

۱- (۱) . neil postman.

۲- (۲) علی أصغر کاظمی، عولمه الثّقافه والسّیاسه، ص ۲۸۸، «باللّغه الفارسیّه».

۳- (۳) الثوره العالمیّه الأولی، ص ۲، «باللّغه الفارسیّه».

«وللرّدّ على الضّغوط التّماثليّه للثّقافه المادّيّه؛ غالباً ما تظهر منظومات جديده تعمل على بلوره ثقافات ارتباطيّه وهجينه متنوّعه بدل أن تحاول المقارنه بين الاختلافات الثّقافيّه».(۱)

ومن خلال تشتّت الأنظمه التّقليديّه والأسس الثّقافيّه فى عمليّه العولمه؛ تبرز ردود الأفعال والانفعالات الاجتماعيّه على شكل حركات مقاومه للاستعمار تتميّز وتتّسم بالقيم العقلانيّه وتمتلك القابليّه على أن تكون جواباً شافياً وموفّقاً على ذلك. ولإثبات هذه الدّعوى ينبغى إثبات كون هذه الحركات لها القدره والقابليّه على تحمّل عبء الوحده المتناقضه للنّشوء والسّلوك.

ويحدّد هوبرماس بعض الوظائف الّتى تؤدّى إلى عقلنه عالم الحياه:

۱. ينبغى أن تتّسم السّنن الثّقافيّه بالانسجام والتّوافق.

۲. ينبغى أن تكون العادات والقيم فى خدمه وحده وتكاتف الطّوائف والمجموعات.

۳. على الجيل الجديد التّوصل إلى السّلوك الاجتماعيّ المقبول.

إنّ نظريه هوبرماس الّتى تقوم على أساس عقلنه عالم الحياه فى مقابل أن يكون مستعمره؛ تعتقد بأنّه من الممكن استمرار السّنن الثّقافيّه والوظائف المتّحده والمتناغمه للعادات والقيم والتزام الجيل الجديد، بأن يكون اجتماعيّا (بدل أن يكون فرديّاً)، وذلك من خلال عمليّه الإدراك والتّفاهم العلاقاتىّ.(۲)

إنّ نظريّه الانفعال التّفاهمىّ لمفهوم عالم الحياه فى نطاق نظريّه اكتساب العقلانيّه الاجتماعيّه؛ هى فى صدد بيان انفصال عمليات النّظام المفتوح للنشوء الاجتماعى.

۱- (۱) هوبرماس، العولمه ومستقبل الدّيمقراطيّه، ص ۱۱۴، «التّرجمه الفارسيّه».

۲- (۲) العصرنه والتّعصرن، ص ۱۹۶، «باللّغه الفارسيّه».

۱-۲. العولمه وتعارض الثّقافات

يعتقد مارکس بأنّ الفارق الثّقافیّ یعدّ سبباً للتوتّر والنّزاع والتّعارض، ویوجد أزمات عالمیّه لا یمکن حلّها إلّا من خلال حذف أحد الطّرفین، وأنّ الحرب فیما بین الثّقافات حرب لا نهایه لها.

إنّ العولمه الفعلیّه تعدّ اضمحلالاً حضاریّاً وفرصه لبروز ثقافه مرکّبه وجدیده، أیّ؛ إیجاد فضاء مشترک للإبداع والإنتاج الثّقافیّ، والتّمهید لحصر التّأثیر بالقوی العظمی عن طریق امتلاکها التّقنیات الحدیثه والإمکانات المادّیه والقدره الأکبر فی الاستفاده من شبکات الاتّصال العالمیّه، وتعریض سائر الثّقافات الأخری الّتی لا تمتلک ذلک إلی الهزیمه والانحدار والوقوع تحت سیطره الثّقافه العولمیّه الغربیّه.

من دون شکّ إنّ العولمه ترافقت مع ظاهره أخری الا وهی (الغربنه) أو العولمه أحادیّه الجانب، والّتی «تهدّد فیها الدّول الغربیّه العصریّه الثّقافات الأخری، من خلال الاستفاده من التقنیه المتقدّمه والعلوم الاستراتیجیّه وصناعه النّماذج الثّقافیّه».(۱)

إنّ هذا الاتّجاه برز فکریاً فی نظریات بعض المفکّرین الغربیّین، وخُطط له و أُقرّ عملیّاً من قبل صنّاع السّیاسه الغربیّین وقادتهم. فهنتیغتون الّذی یعدّ من المنظّرین والاستراتیجیّین الغربیّین، وفی نطاق نقده نظریّه (الحضاره العالمیّه الواحده) واعتقاده بتعارض الأدیان والثّقافات؛ اعتبر الدّین هو الهویّه الأساسیّه للمجتمعات، فیقول: «یتمتّع الدّین فی عالمنا المعاصر بمرکزیّه ومحوریه، وأنّ الهویّه الدّینیّه للثّقافات السّائده والتّعارض الموجود فیما بین الأدیان والثّقافات یقضی علی إمکانیه تحقّق الحضاره العالمیّه الواحده».(۲)

۱- (۱) (مصدر العولمه، اضمحلال الثّقافه و أزمه الهویّه) صحیفه همشهری، ۲۰۰۳، «باللّغه الفارسیّه».

۲- (۲) کاظم علم داری، نقد نظریّه صراع الحضارات، «باللّغه الفارسیّه».

وفى الجواب على ذلك ينبغى القول: إنّ الشّواهد الواقعيّه والتّاريخيّه تدلّل على أنّ أهمّ عوامل الصّراع الإجبارى فيما مضى هى المسائل القوميّه وليست الدّينيّه أو الحضاريّه، وأنّ انقسام المجتمعات كان يرتكز على أساس القوميّه أكثر منه على الدّين والثّقافه.

ايزابيل مونال ذات الاتّجاه الشّيوعىّ تقول فى روايتها للتّطوّرات العالميّه: «إنّ المجتمع الواحد فى المقياس البشرىّ يعنى فى الواقع إيجاد ظروف، لعدم المواساه على المستوى العالمىّ فى ظلّ حكومه واحده».(1) ويأتى الحلّ فى نظرها من خلال العمل على «بسط العداله والمساواه عالميّاً بادئ الأمر، ثمّ السّعى لتأسيس هذا المجتمع الواحد». ومن البديهى أنّ مثل هذا الحلم لايمكن تحقّقه مطلقاً، وأنّ هذه الوحده غير مرغوب فيها وغير ممكنه عمليّاً. إنّ الدّخول إلى المجتمع العالمىّ بشكل متكافئ تعدّ فكره ساذجه ومجرّد حلم لا يمكن تطبيقه على أرض الواقع لعدم تكافؤ الثّقافات أساساً. ومن هنا فإنّ بسط المساواه فى المجتمع العالمىّ يؤدّى إلى زوال ومحو التّنوّع الثّقافىّ. أضف إلى ذلك أنّ فكره المساواه ليس لها معنى واحداً ومشابهاً على مستوى كافّه الثّقافات. ولهذا فإنّ الدّخول المتكافئ والحرّ وإن حدث بلا ضغوط فستكون نتيجته الاستسلام الثّقافىّ لثقافه أقوى وأقدر، «إنّ المجتمع العالمىّ كميدان للأفعال والانفعالات المترابطه والّتى تمتزج فيها العوامل السّياسيّه لايمكن أن تتحقّق فيه ثقافه متماثله وواحده، بل إنّ ندره الثّقافه الأصيله كندره الأمّه والعِرق الأصيل».(2)

ومن خلال محصّله المسائل الّتى تعرّضنا لنقدها ومناقشتها نستنتج أنّه بسبب الضّغوط التّماثليّه للعولمه سيبرز النّزاع فيما بين التّقاليد والهويّه والقيم؛

ص:147

1- (1) جنكيز بهلوان، علم الثّقافه، ص 479، «باللّغه الفارسيّه».

2- (2) المصدر نفسه، ص 540.

الوطنيّه ومـا فوق الوطنيّه. إنّ التّحقيقـات المتعلّقه بمعرفه الإنسان الجديـد تشـير إلى أنّ الجـدل يحكى عن أنّ توازن الثّقافات من جهه، والافتراق الخلّاق لها من جهه أخرى يؤدّى إلى اتّساق الثّقافات الأصـيله فى منظومات جديـده للرّدّ على الضّغوط التّماثليّه للثّقافه المادّيّه العالميّه. وبـدل أن تخوض فى تمييز الاختلافات الثّقافيّه، تسـعى لتأسيس صـيغ ثقافيّه جديده ومتعدّده. فعلى سبيل المثال؛ الهجره غير المقصوده، وسائل الاتّصال الواسعه والتركيبات العِرقيّه عرّضت الاتّجاهات الـدّينيّه والثّقافيّه والوطنيّه لتغييرات عميقه. فهل نحن نعيش حاله تماثل وتجانس ثقافىّ فيما بين الأمم أم لا؟ وهل من الممكن تحقيق الثّقافه العالميّه الواحـده؟ وهل من الممكن أن تتبلور ثقافه عالميّه فى ظل حاكميّه الدّوله - الشّعب أم لا؟.

ولو افترضـنا إمكـان ذلـك، فمـا هو السّبيـل لتبلور ثقـافه عـالميّه؟ وللإجابه على هـذه الأسـئله يمكن عرض بعض الآراء فى هـذا المجال:

١. نظريّه النّزعه التّكـامليّه؛ وتعتقـد هـذه النظريّه بـأنّ مسـار العولمه يحافـظ على نموّ الثّقافات الأصـيله، وتتعرّض الثّقافات الوطنيه للتّغيير فى عمليّه تبلور ثقافه عالميّه، ولكن الثّقافه العالميّه بـذاتها لا يمكنها إضـعاف الثّقافات الدّينيّه والوطنيّه والقضاء عليها؛ لأنّ الأنظمه القيميّه وسـلوكيّات وعادات الثّقافات الأصـيله هى على درجه من القِدم والقـدره لا يمكن معها إجبارها على الانسـحاب وإخلاء مكانها للخصوم، وأنّ الثّقافات الوطنيّه تسـتطيع ضـمن المقتضيات الجديده إدامه حياتها وأن لا تتعرّض للاستحاله فيما لو كانت متجدّده ومنتجه ومندمجه فى إطار أصولها الدّينيّه والأخلاقيّه.

٢. نظريّه المؤامره أو (نزعه الهيمنه)، وترى هذه النّظريّه أنّ ثقافه العالم المسـتقبليه ستشـهد ثقافه إمبرياليّه وغربنه وأمركه الثّقافات فى العالم. وتعبّر هذه النّظريّه عن رأى أغلب المنظّرين والمفكّرين وعلى رأسهم فوكوياما.

۳. نظریه صراع وتضادّ الحضارات؛ وأوّل من طرح هذه النّظریّه برنارد لویس وتبعه فی ذلک هنتیغتون.

۴. نظریه التّعدّدیّه الثّقافیّه؛ والّتی یعتقد بها الحداثویّون.

۵. نظریه النّزعه الوحدویّه غیر التّسلّطیّه؛ إنّ أحد الذّین تعرّضوا لمبحث الثّقافه فی إطارها العالمیّ هو والرّشتاین. فبطرحه نظریّه الأنظمه العالمیّه یری أنّ نظریّته هذه ترتکز علی منطق خاص. ویحلّل ذلک علی أساس أنّ الاقتصاد العالمیّ وبالتکدّس غیر المحدّد لرأس المال ومن خلال نهایه الرأسمالیّه؛ یؤدّی إلی إیجاد مشاکل للثّقافات، وفی الواقع أنّ عولمه الاقتصاد یؤدّی إلی عولمه نوع خاصّ من الثّقافه تنعکس مقتضیاتها علی شکل انفصام وانشراخ فی الأنظمه العالمیّه.

ونظراً لهذا الوضع من جهه وللتّنوّع الثّقافیّ من جهه أخری؛ فهل یمکن الیوم التّحدث عن ثقافه واحده وقیم عامّه وعالمیّه تکمن خلف الثّقافات الخاصّه؟

من المؤکّد أنّ الجواب سیکون إیجابیّاً، وذلک لکون الإنسان وبغضّ النّظر عن الثّقافات والأدیان والفلسفات؛ متعطّش بطبعه للحرّیّه ویأمل فی إزاحه القیود والمشاکل والمعوّقات عن طریقه لیتمکّن من السّیطره علی ظروف حیاته المحلّیّه، ففی عملیّه التّطوّرات العالمیّه والعالم المشحون بالتّعقیدات وعدم الیقین، لم یعد للمجتمعات البشریّه حیله سوی استحداث ظروف تتطابق وتنسجم مع تلک التّطوّرات، لیتمّ التّغلب علی المشاکل العالمیّه من خلال المواجهه المعقوله مع الحاجات والفرص المتاحه والّتی تمرّ مرّ السّحاب.

وبهذا التّعریف الشّائع للعولمه، فهل یمکن اعتبارها مدینه فاضله کالمدن الفاضله الغابره؟ إذا أخذنا التّقدّم الفکریّ والمعرفه البشریّه المتطوّره وثوره

المعلومات بنظر الاعتبار يمكن أن يكون الجواب كالآتي: إنّ البشريّه قد وصلت إلى طريق مسدود من خلال تجربتها كلّ الوسائل والطّرق، فلذا عليها أن تأخذ العبره من ذلك وتقلع عن الاشتباهات الّتى ارتكبتها وتصوغ حياتها على أسس ومعايير إنسانيّه أخرى لتحسين حياتها المستقبليّه، فمسأله أن تفكر البشريّه بمستقبلها لتصنع حياه أفضل يعدّ من أهم الهواجس الّتى راودت مخيّلتها طويلاً.

فإذا افترضنا أنّ حلّ وانفراج الأزمات العالميّه بحاجه إلى أساليب جماعيّه، فإنّ هذه الأساليب لا يمكن تحقّقها إلّا باتّباع العقلانيّه الجماعيّه والعالميّه الّتى تبتنى على قواعد وأصول وقيم ثقافيّه مشتركه، وإلّا فإنّه من المستبعد جدّاً تحقّق العولمه فى الواقع الملموس مع عدم وجود الباعث المشترك والمشاركه الجماعيّه لكافه الثّقافات والمجتمعات.

۱-۳. مواجهه العولمه الغربيّه

«يعدّ الكفاح دون السّيطره الثّقافيّه، وإغناء الثّقافه العالميّه من خلال الثّقافات الوطنيّه والدّينيّه؛ من البرامج الأساسيّه والأساليب المؤثّره فى هذا المجال».(۱)

وينبغى طرح نموذج جديد للعولمه يستبدل فيه الاستغلال، الاحتكار، التّفوّق، عدم المساواه والفقر؛ بالتّضامن، الشراكه، المساواه، المعرفه وتمكين جميع النّاس من الاستفاده من المعلومات والتّقنيات الحديثه. فإنّ الظّرفيّه والاستعداد والقدره متوفّره لأجل صنع عالم متكامل ذى شعور بالمسؤوليّه وعلى الإراده الإنسانيّه والعقلانيّه والتّفاهم

ص:۱۵۰

۱- (۱) باروى ايزاک وآخرين، المسارات الأخيره للعولمه، ص ۱۱۳، «التّرجمه الفارسيّه لأحمد جواهريان وهما».

ویتبلور علی أساس النّماذج والحقوق الإنسانیّه، ویعترف فیه بحق التّنمیه لجمیع الثّقافات والحضارات.

إنّ السعی لإیجاد عالم یهدف إلی توفیر الرّخاء والنّفع العامّ والسّلام والعدل العالمیّ لیس ممکناً وعملیّاً فحسب، و إنّما ونظراً للمعضلات والأزمات العالمیّه الحالیّه وعجز المدارس اللیبرالیّه والاشتراکیه؛ یعدّ الحلّ الوحید والأسلوب الأمثل والمعقول الّذی یوثق به. ومن هنا؛ ینبغی بلوره العولمه بالارتکاز علی التّضامن والشراکه واحترام حقوق کافّه أفراد البشریّه والثّقافات والعلم والقیم المعنویّه والإنسانیّه.

۱-۴. آثار العولمه علی الدّین

إنّ إحدی آثار العولمه الحالیّه؛ النّزاع المستعر فیما بین النّزعه الدّنیویّه والدّین، فتعدّ النّزعه الدّنیویّه من المواضیع المعقّده الّتی لها نتائج أخلاقیّه، تربویّه، ثقافیّه ومذهبیّه. ومن الطّبیعیّ أنّ ذلک لا یؤدّی إلی المحو الکامل للفکر والفعّالیّات المذهبیّه؛ لأنّ الدّین ما زال بإمکانه الإجابه عن الأسئله المعاصره، کما کانت له القدره علی الإجابه عن الأسئله الماضیه. ومع کلّ ذلک فإنّ أغلب أوضاع الحیاه الاجتماعیّه الحدیثه لا تنسجم وتحکّم الدّین بجزئیّات الحیاه البشریّه.

«إنّ المعرفه المذهبیّه للعالم أخلَت مکانها للمعرفه التّنویریّه والتّجربیّه. المعرفه الّتی ترتکز علی التّقنیه المادّیه والأصول الاجتماعیّه».(۱)

فلطالما کان الدّین والتّقالید مترابطین، وإنّ الفکر الانفتاحیّ الّذی یختصّ بالحیاه الاجتماعیّه الحدیثه مغایر وبصوره مباشره للتّقالید والآداب، وإنّ ما تعرّضت له التّقالید من الضّعف قد جاءها فی أغلب الأحیان من قبل الدّین.

۱- (۱) انتونی غینز، إفرازات العصرنه، ص ۱۳۰، «التّرجمه الفارسیّه لمحسن ثلاثی».

مع أنّ العولمه بـذاتها تعـدّ حلمـاً لجميع الأـمم والأديـان، ولكنّهـا فی الوقت الحاضـر «تواجه معوّقـات أساسـيّه ومهمّه كاختلاف الثّقافات والأيديولوجيّات وتعارض المصالح الوطنيّه الّتی ما زالت تعدّ الأساس فی العلاقات الدّوليّه».(۱)

ومن ضـمن نتائج العولمه؛ الضّـغوط الّتی يتعرّض لها الدّين والعقائد المذهبيّه والثّقافات الأصـيله للمجتمعات الأخری. ففی عمليّه العولمه تمـارس العلمـانيّه والنّزعه النّسبيّه ضـغوطاً علی الـدّين والفكر الشّعبیّ، فالعلمـانيّه تـدّعی بـأنّه من غير المناسب أن يكون الدّين مؤثّراً من النّاحيه الاجتماعيّه. فهی لا تنسجم والالتزام بالقيم الأخلاقيّه والإنسانيّه.

فهـل أنّ العولمه تؤدّی إلی القضـاء علی الـدّين والقيم المـذهبيّه أم أنّ الـدّين يسـتطيع كسب إمكانات وفرص ومخاطبين جـدد، وتكون العولمه فضاءً مفتوحاً لإنجازات ثقافيّه وإعلاميّه للدّين؟ وتسـتطيع الأديان من خلال تشذيب نفسها والتّأكيد علی العقلانيّه والقيم الإنسانيّه أن تلعب دوراً مؤثّراً فی بلوره ثقافه جديده. إنّ الإسلام لا يتنافی والجوانب الإيجابيّه والعقلانيّه للثّقافات الأخری، ومن هنا لا يوجد أیّ سبب لإبعاد الدّين عن واقع الحياه الاجتماعيّه مستقبلاً وفی عصر العولمه.

إنّ شـرط اسـتمرارالدّين فی عـالم اليوم؛ هو التّجـدّد والنّشـاط والاتّجـاه العقلانـیّ لأتباعه. فالإسـلام ومن خلال دعوته إلی العلم، الكرامه الإنسـانيّه، حقوق الإنسان، العـداله الاجتماعيّه، حرّيّه الفكر والـدعوه إلی السّلام ونبـذ العنف وكثير من التّعاليم الأخری؛ باستطاعته المساعده فی عمليّه التّنميه، التّقدّم العلمیّ ونموّ الدّيمقراطيّه. ومن النّواحی الأخری يستطيع الإسلام ومن

۱- (۱) الجامعه الرضويّه للعلوم الإسلاميّه، فكر الحوزه، العدد السّادس، سنه ۲۰۰۳.

خلال ارتكازه على الفلسفه الإسلاميّه الّتى تؤكّد على أصاله الوجود والإلوهيّه والاعتقاد بهدفيّه عالم الوجود؛ تحقيق مكاسب جديده وتجسيد آمال وطموحات المجتمع البشرىّ فى معرفه الوجود والعلم المعرّفى، وبإمكان البلاغات الأخلاقيّه والعرفانيّه والمعنويّه للإسلام من إيجاد حلول مناسبه للأزمات المعنويّه فى عالم اليوم.(۱)

ص:۱۵۳

۱- (۱) (العولمه و أزمه الهويّه) فصليّه مطالعات وطنيّه، العدد العاشر، سنه ۲۰۰۲، «باللّغه الفارسيّه».

٢. الإفرازات الاجتماعيّه للعولمه وعولمه العصرنه

أ) الإفرازات الاجتماعيّه للعولمه

فی حال أنّ أنصار العولمه يعتقدون بشمول إيجابيّتها جميع أبناء البشريّه وأنّها صيغه لا يمكن تلافيها لدوام عمليّه التّنميه، وأنّها نتيجه طبيعيّه للإبداع والتّقدّم العلميّ والتّقنی. يری مخالفوها بأنّها ليست سوی مشروعاً سياسيّاً واقتصاديّاً تصبّ فی صالح الدّول المتقدّمه والليبراليّه الجديده، ويحذّرون من أبعادها المتشعّبه السّياسيّه والاقتصاديّه والثّقافيّه، وأنّها مجرّد شماعه للتّغطيّه علی أهدافهم الرأسماليّه الليبراليّه.

فعولمه الفقر، زياده البطاله واختلال توازن التّنميّه الّتی تعدّ من ضمن إفرازاتها؛ استُخدمت فی المجال السّياسیّ كحربه سياسيّه ضدّ دول الجنوب ممّا أدّی إلی تنامی الحركات ذات الاتّجاه القومیّ، العِرقیّ، الاقتصادیّ والمذهبیّ. وبينما يشير أنصارها إلی النّمو الثّقافیّ وتنوّعه فی مجالها الثّقافیّ، يصف معارضوها ذلک بأنّه إمبرياليّه ثقافيّه وتسلّط ثقافه لادينيّه ولاأخلاقيّه تعرّض القيّم التّراثيّه للخطر.

إنّ البشريّه علی طول تاريخها لم تواجه يوماً مثل ما تواجه اليوم من تهديدات ومخاطر عديده:

۱. تأزّم التركيبه القديمه للتّقاليد وتعرّض الأنظمه القيميّه لغزو الثّقافات اللاقيميّه وفقد الأيديولوجيّات قدرتها على التّأثير وعدم وجود رؤيه موحّده للمعضلات العالميّه. ووصول المواقع والمؤسّسات الدّوليّه الحاضره إلى طريق مسدود.

۲. ازدياد تضامن المجتمعات الوطنيّه فى مجالات متعدّده كانتقال العلم، الهجره المؤقّته والدائمه، غزو الثّقافات الأجنبيّه والتبادل الاقتصادىّ واتّجاه المجتمعات غير المتجانسه الّتى تتفاوت مع بعضها ثقافه وآداباً وحاكميّه تفاوتا أساسيّا؛ إلى الاتّصال ببعضها البعض.

وحسب قول السّيد سويد ياتكومو عميد جامعه الأمم المتّحده: «لقد تعرّض الجميع للضّرر والأذى فى عمليّه الاتّحاد العالمىّ. وأنّ مجتمعاتنا أضحت تتلاعب بها قرارات تُتّخذ فى مكان آخر من العالم».(۱)

۳. وقد أثّرت تأثيراً جدّيّاً على علم المعرفه ومعرفه الوجود فأدّى ذلك إلى اختلال تصوّراتنا حول المكان والزمان والعالم الواقعىّ، كما يشير إلى ذلك روبتسون:

«إنّ العولمه وسّعت من نطاق وعمق معرفه الإنسان بالدّنيا بعنوانها مكاناً واحداً» فهى تسوقنا باتّجاه (عالم افتراضىّ) و (واقعيّه افتراضيّه) من جهه، وتبعدنا عن العالم الواقعىّ والطّبيعىّ من جهه أخرى. وتعمل على تغيير ماهيّه الحياه، الهويّه الفرديّه والاجتماعيّه، الزمان، الفضاء، المكان، الحدود المادّيّه، الحاجات البشريّه وخلقت لنا مشاكل جديده. وأدّت إلى تطوّرات مهمّه على مستوى العالم اجتماعيّاً واقتصاديّاً وثقافيّاً وتعليميّاً، وغيّرت المشهد فيما بين الواقعيّات والقيم.

۱- (۱) كينغ، الكساندر وشنايدر، الثّوره العالميّه الأولى، ص ۲۱۸، «التّرجمه الفارسيّه لشهيندخت خوارزمى».

إنّ العولمه ذات اتّجاه تغييرىّ للزّمان وارتباطه بالمسافه، ومن خلال تأكيدها على السّرعه وتسريع عجله الحياه؛ ساهمت فى إيجاد حياه تتّصف بمنافسه مشحونه امتزجت فيها سرعه الزّمان وتراكم وزحام المعلومات.

۴. أمّا من الوجهه الثّقافيّه والعلميّه فإنّ النّمو والتّقدّم التّقنىّ والمعلوماتىّ والتّبادل الثّقافىّ والعلمىّ هيّأ جوّاً من الحاجه إلى تعامل وانسجام المجتمعات المختلفه مع بعضها البعض على مستوى العالم. ويعدّ هذا التّطوّر بذاته ممهّداً لعمليّه العولمه وتسارعها. إنّ هذه العمليّه المعقّده عزّزت التّواصل فيما بين الدّول والشّعوب، وأوجدت تبعيّه متبادله فيما بين المجتمعات، أدّت بها إلى النّزوع نزوعاً إقليميّاً وعالميّاً.

۵. إنّ سلسله الإفرازات الاجتماعيّه والتّقدّم العلمىّ والتّقنى غيّر وبصوره واسعه أساليب التّواصل والعلاقات الإنسانيّه، وإنّ التّطوّرات المرتكزه على الفكر العلمى والتّقنى أمثال؛ زخم الطّاقه الذّريّه، السّفر الفضائىّ، الأقمار الاصطناعيّه، الأنترنيت، كشف الرموز الجينيّه وتقنيه النّانو... الخ؛ تُبدّل كلّ يوم نظرتنا إلى العالم. فقد توصّلت التّقنيه الحديثه فى برمجه وخزن واستعاده المعلومات إلى نتائج مذهله وحصدت مكاسب رائعه. وتقدّمت وسائل الاتّصال الدّيجيتاليّه بظرفيّتها ونطاقها على جميع الوسائل الأخرى.

إنّ آثار شبكه الاتّصال المعلوماتىّ «الأنترنيت» باعتبارها أداه الكترونيّه جديده والّتى غيّرت أساليب الاتّصال ساهمت فى تطوير المجالات الفكريّه والعلميّه، ومازالت لها انعكاسات متعدّده لا يمكن تحديدها واكتشافها فى الوقت الحاضر.

۶. وقد عزّزت عمليّه الاتّحاد بشكل بارز، حيث ساعدت الثّوره المعلوماتيّه والبرمجه الكومبيوتريّه على توحيد المجال الثّقافىّ واتّساع تبادل المعلومات والثّقافات. فالوضع فى المرحله الرّاهنه يدلّل على أنّ (التّوسع) قد

وصل إلى نهايته المنطقيّه أكثر من أىّ شـيء آخر، وأنّنا نعايش الدّخول فى عمق مرحله التّنميه، وأنّ العولمه تسير باتّجاه التّمركز والتّعقيد.

فعمليّه العولمه حوّلت العـالم إلى عالم متوحِّـد، فينبغى علينا السّـعى بتأنّ لإدراك علائم العصـر الرّاهن والأزمات الّتى سـتواجهنا، ومعرفه حقيقه التّعارض الاجتماعىّ والثقافىّ وأسبابه فى آفاق وأهداف المجتمعات البشريّه بشكل أفضل.

٧. إنّ الإِفراز الآخر للعولمه؛ هو ظهور التعـارض الاجتماعى العميق الّـذى يؤدّى إلى تهديـد الأمن والتّوازن والثّبات الاجتماعىّ أكثر من أىّ وقت مضى، وإنّ سيطره الثّقافه الرأسماليّه «أدَّى إلى ازدياد مجال المنافسه لكسب أرباح أكثر».(١)

٨. «إنّ العولمه ومن خلال الاسـتفاده من المعلومـات والوسائـل المعلومـاتيّه المتطوّره والمجـاميع الإعلاميّه أفرزت نتاجات ثقافيّه متنوّعه ممّا جعلت الإنسان يفقـد قيمه وهويّته الثّقافيه على إثر الغزو الثّقافىّ والمعلوماتىّ، وأن يتعرّض أسـلوب حياته واسـتنتاجاته وأحاسيسه إلى تغيير عميق، ويواجه اضطراباً ثقافيّاً وحجماً واسعاً ومحيّراً من المعلومات».(٢)

٩. «وجعلت من القلـق والاضـطراب والحيره ميزات مهمّه تتحكّم فى حيـاه الإنسـان، أخلّت بالانسـجام والتّـوازن الـبيئوىّ، وغيّرت العلاقات المعهوده للمجتمعات البشـريّه، وسـيطرت التّقنيه الحيويّه الخطيره على حياته حتى نفـذت إلى صـميم شخصـيّته ومحيطه الاجتماعىّ».(٣) وأدّت إلى انتزاع قدرته على الاختيار والانتخاب إلى حدّ كبير، ولقّنته ثقافه خاصّه وحاجات موجّهه

١- (١) المصدر السابق، ص ٢٠٣.

٢- (٢) بارى ايزاك، الآثار الفلسفيّه والثّقافيّه للعولمه، نقلًا عن: المراحل الأخيره للعولمه، ص ١١٣.

٣- (٣) المصدر نفسه، ص ١١٥.

نحو أهداف معيّنه. وكان من نتيجه ذلك أن سلبت منه القدره على التّفكير الحرّ والعزم والمبادره. وها هو يواجه عالماً يروّج لعدم المساواه ويشجّع على الاستقطاب الواحد، وألقى الخوف والاضطراب والحيره بكاهله على حياته. إنّ العولمه وعلى خلاف ظاهرها الغامض والجذّاب تحاول الوصول إلى أهدافها الخفيّه. ومن خلال تحريضها وتشجيعها لبقيّه المجتمعات على القبول بها؛ فهى تدعوها إلى عدم المقاومه والاستسلام لقيادها.

۱۰. إنّ العولمه لم تقتصر على أنّها عجزت عن جلب الرّفاه العام، الأمن الاجتماعىّ، العمل النافع والتعليم المفيد والعداله الاجتماعيّه؛ وإنّما أقحمت البشريّه فى أزمات قاتله كالابتذال الثّقافىّ من خلال ترويج الثّقافه الغربيّه المبتذله، اضطراد اللاأمن، اللاعداله، شيوع الثّقافه الاستهلاكيه، الفساد، تنامى الجريمه، الإرهاب، المخدّرات، التهريب، تهديد الصّحّه العالميّه، التّلوّث البيئوى، الاحتباس الحرارىّ، المخلّفات الذّريّه، تدمير الغابات الّتى تعدّ بمثابه (رئه الأرض)، ثقب طبقه الأوزون وتهديدات أخرى فى مجالات الأمن والسّلامه والصّحّه النّفسيّه؛ ممّا أدّى إلى فقد الأمل فى مستقبل أفضل.

۱۱. أمّا فى المجال الاقتصادىّ فقد ابتنيت العولمه على الرأسماليّه الّتى اتّخذت من المال والسّوق محوراً لها والّتى تحاول اكتشاف أسواق استهلاكيه أكثر ومصادر جديده للنّهب والالتهام من خلال الاستفاده من القوّه السّياسيّه والإعلام الخدّاع والمضلّل. وقد شاهدنا فى هذا السّياق كيفيّه تمييع المميّزات الإنسانيّه والقيم الفطريّه والدّينيّه والأخلاقيه والتّراث الثّقافىّ.

۱۲. وقد تعرّضت الدّيمقراطيّه فيها لتهديد جدّى وخطير، فسُلبت فيها حقوق المواطن وقدرته على الاختيار والحرّيّه فى الحكم والمنافسه السّوقيّه.

۱۳. إنّ أىّ جهد يبذل وحلّ يطرح لإقرار الدّيمقراطيّه فى العالم من خلال تيار عولمه الأيديولوجيّه الامبرياليّه الاقتصاديّه والسّياسيّه؛

سيحكم عليه بالفشل الذّريع، وأنّ أىّ انتقاد يوجّه سيحمل على محمل السّذاجه والجهاله. ولأجل ذلك فإنّ العولمه ليست مصيراً حتميّاً لا يمكن الخلاص منه، وكذا ليست صدفه تاريخيّه لزمت ووجبت، وإنّما هى بدايه الهزيمه للحضاره الغربيّه والعصرنه الجامحه الّتى ينبغى إصلاحها والسّيطره عليها.

۱۴. إنّ العولمه دخلت مرحله حسّاسه جدّاً ألقت بسحب القهر والقيم اللاإنسانيّه والنفعيّه والإعلام المضلّل وقيميّه المال والمادّيّه على باقى القيم؛ حيث تتعرّض حقوق الإنسان فى هذه المنافسه للهدر والضياع.

۱۵. وأمّا دور الحكومات الشّعبيّه فى الاقتصاد العالمىّ فهو يتعرّض للإضعاف، ودخل التّحكّم بالمعاملات التّجاريّه وبتبادل ومسار المعلومات تحت نطاق تأثير العولمه، وخرج التّعليم والتّربيه الوطنيّه والثّقافه عن السّيطره المحلّيّه وأفلتت الحكومات زمام القدره على السّيطره والمقاومه حيال السّوق العالميّه.

۱۶. استمرار تنامى وتفشّى عدم المساواه وعدم التّكافؤ، حيث عمّقت الشّرخ الطّبقىّ، ومهّدت للأزمات الدّاخليه كالبطاله، التّخلّف، العنف وأفرزت مشاكل أساسيّه أخرى، وتعرّض التّضامن الاجتماعىّ والوحده الوطنيّه للوهن الشّديد نتيجه ذلك.

۱۷. إنّ ميزه ظاهره العولمه هو توحيد وتعميم صيغه تنمويّه ونموذج اقتصادىّ معيّن على جميع البنى العالميّه، وطرح مثال اجتماعىّ وسياسىّ واقتصادىّ وثقافىّ تحتذى به جميع الدّول والمجتمعات. وبعباره أخرى؛ إنّ مفهوم العولمه يعدّ نوعاً من الوحده العالميّه لمصلحه الليبراليّه الغربيّه الّتى يعدّ استعمار واستثمار مصادر الثّروه العالميّه الّذى يصبّ فى مصلحه النّظام الرأسمالىّ من إفرازاتها الأساسيّه.

ص: ۱۶۰

١٨. وتعمل كـذلك على تعميق أسـباب التّخلَف والتّهميش، باعتبارها من مؤشّـرات العلاقات الدّوليّه على المسـتويين الاقتصاديّ والاجتماعيّ. وتوسـيع الهوّه فيما بين الأمم، وتمهيد الأرضـيّه للسّـيطره على المخاطبين بقدره أكبر ومن مسافه شاسـعه. وإعاقه أيّه أمّه من أن تقيم استراتيجيّه مؤثّره لاسـتمرار بقائها واسـتحكام أمنها؛ إلّا من خلال التّمكّن من السّـيطره على التّطوّرات الـدّائمه فى نطاق وسائل الإعلام والاتّصال.(١)

إنّ الحضاره الغربيّه تؤمن وتدعو بشكل جازم للمساواه الإنسانيّه فى إعلاناتها الخاصّه بحقوق الإنسان، ولكنّها على النّطاق العمليّ تطبّق أنواعاً من التّمييز واللاعـداله الأخلاقيّه والفكريّه والمـذهبيّه والاقتصـاديّه والسّياسـيّه والاجتمـاعيّه. ففى حـال أنّهـا تـدّعى الدّيمقراطيّه وحكم الشّعب للشّعب وتضعه فى أولويّه شعاراتها السّياسيّه ولكنّها تمارس حكم الأقلّيّه وتُجيز تفضيل فئه معيّنه على غيرها.

١٩. ومن ضـمن الإفرازات الأخرى للعولمه؛ التّعـارض العمليّ والمنطقيّ فيما بين تركيبتين: التركيبه الغربيّه والتركيبه غير الغربيّه، ففى المجـال التّاريخيّ على سبيـل المثـال؛ نلاحـظ أنّه كلّما بـدت بوادر ولاده مجتمع مثاليّ، عالميّ ومتكامل؛ تبرز تيّارات على خلاف ذلك ترتكز على المذهب، اللّغه، التّراب والعِرق.... الخ لتقوم بزعزعه أسسه ومقوّماته.

إنّ بعض القوى السّياسيّه سعت ومن خلال اتّجاه سياسيّ واقتصاديّ وعلى مرّ التّاريخ لتوسيع وتعميم حكمها وتسلّطها على العالم، فبرزت ظواهر كالنّازيّه، الشّـيوعيّه والليبراليّه فى هـذا المجـال. وقـد وقفت هـذه التّيـارات فى مقابـل المساعى والبواعث الإنسانيّه والمثاليّه والمذهبيّه الّتى تسعى لعولمه القيم الإنسانيّه والدّينيّه الأصيله.

١- (١) الثّوره العالميّه الأولى، «باللّغه الفارسيّه».

وعلى العموم، فقد عمل النّظام الليبرالى ومن خلال ارتكازه على فلسفه أصاله الفرد والحقوق الفرديّه؛ على إضعاف المقوّمات الأصيله للحياه الاجتماعيّه. ولذا فليس بإمكانه ادّعاء كونه عولميّاً، أو أنّه يسعى للوحده وإقرار المشتركات الثّقافيّه والتعامل المجتمعىّ العالمىّ المشترک، أو لتحقيق العداله والسّلام والنّظم العالمىّ والتّنميه الشّامله. أمّا العقلانيّه فلابتنائها على أسس كالنّزعه الإنسانيّه وأصاله المنفعه، فهى غير قادره على الاعتراف بالقيم الدّينيّه والثقافيّه للمجتمعات الأخرى.

ويعتقد البروفسور هارى ارتونر أستاذ الحقوق الدّوليّه فى جامعه تورنتو: «أنّ العولمه ظاهره معقّده وغامضه ومرموزه لا يمكن استنتاج قراءه واحده منها، فصحيح أنّها أمر محتوم لا يمكن تلافيه فى عالم اليوم، ولكن هذه الظّاهره بقسوتها المفرطه تسوق المجتمعات البشريّه نحو الضّلال والانحراف والدّمار».(۱)

وهى تسعى للاستبداد واستغلال الأمم الأخرى وتفضيل أصحاب التّقنيه والدّول الّتى تحتكر عاملىّ الثّروه والقدره العلميّه والتّقنيه. ولذا؛ فمثل هذه العمليّه وهذا النّموذج من العولمه سوف لا يتمخّض إلّا عن تزايد الفقر والإجحاف، والأزمات البيئيّه والاجتماعيّه والأمنيّه.

«وأخيراً فقد ودّع العالم القرن العشرين بأزمات بلغت من التّعقيد والعصيان على الحلّ إلى درجه أصبح التّصديق بإيجاد حلول لها أشبه بالمستحيل، حتى أطبق ضباب الحيره على البشريّه جمعاء. وأنّ شعوب العالم الّتى تشابكت روابطها فى مجتمع عالمىّ تسيطر عليه المغامرات والمجازفات غير المرغوب فيها؛ أُكرهت على مواجهه ترابط السّاحه العالميّه وشبكات التّخطيط المشترک وندره الفرص ومحدوديّتها».(۲)

۱- (۱) زوغانوف غنارى، المراحل الأخيره للعولمه.

۲- (۲) يورغن هوبرماس، العولمه و مستقبل الدّيمقراطيّه، ص ۷۹، «التّرجمه الفارسيّه لكمال بولادى».

«فالعولمه ما هى إلّا مجموعه تعارضات تزداد اتّساعاً وتراكماً فى كلّ اتّجاه، ومع أنّ البشريّه تزداد قدره علميّاً وتقنيّاً يوماً بعد يوم، ولكن اتّضح فى ذات الوقت أنّ تطوّر قوى الإنتاج لا يستطيع لوحده تذليل المشاكل وحلّ تناقضات العالم الجديد».(۱)

«إنّ الأوضاع العالميّه تتسارع نحو اللا استقرار، اللا عداله، عدم الثبات والفوضى السّلوكيّه. ففى الواقع أنّ عالم اليوم المتحضّر قد ابتلى بأزمات متعدّده خيّمت عليه بجميع أبعاده».(۲)

ممّا دعى بعض قاده العالم المعاصرين إلى التّصريح بأنّنا: «إذا لم نستطع معالجه الصّعوبات والأزمات العالميّه المعاصره من قبيل الحرب، الانفجار السّكانى والنّظام البيئوىّ؛ فسيبدأ العدّ العكسىّ لنهايه الأيام الأخيره من الحياه البشريّه على سطح الأرض».(۳)

نحن لسنا بصدد التكهّن بمحتملات المستقبل، ولكنّا فى صدد توضيح الإفرازات المستمرّه للتّطوّرات الحاليّه، ونتائج التّقنيه كهندسه الجينات وتغيير التّركيبه البيولوجيّه الّذى يؤدّى إلى تغيير أساسىّ فى مفهوم الحياه والمبادئ المرتبطه بها. فعلى سبيل المثال؛ أنّ استيلاد الشّبيه بواسطه حفظ الحُيى المنوىّ للأب الّذى كان وافاه الأجل منذ سنين متماديه والأساليب التّربويّه والاجتماعيّه الواجب اتّباعها حياله والمستلزمات الدّينيّه والأخلاقيّه والإنسانيّه لمثل هذا الكشف يبشّر بمستقبل مبهم وضبابىّ.

والحركات النّسويّه الدّاعيه إلى استقلاليّه المرأه فى حياتها الشّخصيّه والخلاص من الولاده، تربيه الأولاد، التّمتّع بحقوق متكافئه، الأمن والحرّيّه؛ تعدّ

۱- (۱) غنادى زوركانوف، المراحل الأخيره للعولمه، ص ۲۰۲، «التّرجمه الفارسيّه».

۲- (۲) روجيه دوباسكيه، الإسلام وأزمه عصرنا، ص ۱۷، «التّرجمه الفارسيّه».

۳- (۳) عالم اليوم والغد تحت ضغوط الحضارات الصّناعيّه، ص ۴۴، «اللّغه الفارسيّه».

من الاتّجاهات العلميّه والاجتماعيّه الحديثه والمتناميه والناجمه عن النّمو التّقنيّ والثّقافيّ، والّتى يبدو أنّها تسير فى اتّجاه تدمير الزّمان البيولوجيّ للإنسان.(۱)

ويؤكّد كاستلز فى كتابه «المجتمع الشّبكيّ» على أنّ إحدى مميّزات عصر المعلومات والمجتمع الشبكيّ هو أنّ التّوقيتات الزمانيّه تكون غير متميّزه فيه، وبعباره أخرى؛ خلود وعدم ثبات الزمان، أو الزمان اللازمانى.

ب) إفرازات عولمه العصرنه

الأزمات الاجتماعيّه

١-١. إنّ إحدى إفرازات عولمه العصرنه؛ ظهور حركات اجتماعيّه متنوّعه. فانتونى غينز، عالم الاجتماع المعاصر؛ يكشف ويعرض أربعه أنواع من الحركات الاجتماعيّه الّتى تأتى ردّاً على النسب المحوريّه ذات الوجوه الأربعه للعصرنه، فتكون الحركه العمّاليّه جواباً انتقاديّاً أو ردّ فعل حادّ على الرأسماليّه، و حركه حمايه البيئه تأتى كنتيجه لأفول حركه علم التبيّؤ(۲) و اعتراضاً على التصنيع و التقنيّه الهدّامه و فى مقابل الاستبداد غير المبرَّر و غير المنطقيّ للأنظمه الليبراليّه تبرز حركه الحقوق المدنيّه و حقوق الإنسان.(۳)

١-٢. و الإفراز الآخر للعصرانيّه عدم المساواه المتفشّيه فى المجتمع، العنف، زوال البواعث الأخلاقيّه والإنسانيّه و روحيّه المحبّه و خدمه النوع الإنسانيّ، انعدام الاحترام المتبادل و التضامن الاجتماعيّ، و ظهور اختلالات عرّضت شأن و مكانه الحياه للخطر. و فى مقابل ذلك فإنّ الدين بإمكانه ملء هذا الفراغ الروحيّ و المعنويّ.

۱- (۱) عصر المعلومات و ظهور المجتمع الشبكى، ص ۸۲۱، «باللغه الفارسيّه».

۲- (۲) فرع من علم الأحياء يدرس العلاقات بين الكائنات الحيّه وبيئتها، «المعرَّب عن قاموس المحيط».

۳- (۳) انتونى غينز، إفرازات العصرنه، «التّرجمه الفارسيّه لمحسن ثلاثى».

إنّ بعض التنويريّين المروّجين للعصرنه يرون بأنّ الحياه الدّينيّه إذا ما أرادت الاستمرار فى إطار العصرنه فينبغى عليها أن تنسجم و تتوافق مع مقتضيات العصر الحديث، و على هذا الأساس فهم يعتقدون: بأنّ على الدّين أن يصوغ كيانه بشكل؛ يتّصف بتعامل معقول تّجاه باقى الأديان فكريّاً ومعرفيّاً أوّلاً، وأن ينسجم والعلوم الّتى لها مرجعيّه اجتماعيّه فى مجال العلم المادّىّ ثانياً، وأن يرتبط برباط ينسجم وحاكميه الشّعب والإراده الشّعبيّه اجتماعيّاً ثالثاً.

وبعباره أوضح «ينبغى أن تنفصم السّياسه عن الدّين ليكون متناغماً ومنسجماً مع الحكومه».(۱) فلا يمكن القول بأنّ العلاقات الشّموليّه ليس لها أىّ أثر على نماذج التّضامن الاجتماعىّ، بل إنّ الأمر على العكس من ذلك؛ فيمكن تشخيص أربعه تغييرات مهمّه فى هذا المجال(۲): الأوّل؛ هو أنّ العولمه أدّت وإلى حدّ كبير إلى تجديد توجيه الرأسماليّه وفعّاليات الدّول، وكان من نتيجه ذلك تعزيز بعض التّغييرات الّتى طرأت على الشعوب. وعلى الخصوص فى مجال نمو الحاله الشّموليّه، الّذى يشير إلى الاتّجاه نحو إضعاف الرّوابط التّقليديّه فيما بين الدّوله والشّعب. إذن فنتيجه هذه التّطوّرات والتّغيرات العالميّه هو التّأثير الشّديد الّذى أحدثته على نوعيّه العلاقه فيما بين الدّول والشّعوب، وكذا على؛ الحكم الذّاتىّ، قوّه الرّقابه، الرّقابه الإعلاميّه، نوعيّه الإنتاج، القدره التّثقيفيّه والبرامج التّعليميّه والثّقافيّه، وأحدثت مفاهيم وحاجات ووظائف جديده للأمم والشّعوب.

۱- (۱) صحيفه همشهرى «ماهيّه العلمانيّه» محاضره ليورغن هوبرماس ألقاها عام ۲۰۰۲ فى جامعه طهران.

۲- (۲) شولت يان ارت نظره فاحصه لظاهره العولمه، ص ۲۰۰، «التّرجمه الفارسيّه لمسعود كرباسيان».

۱-۳. وأثّرت كذلك على الهويّات الاجتماعيّه والوطنيّه والّتى سنفصّل الحديث حولها فى قسم آخر من هذا الكتاب.

۱-۴. وقد أدّى انتشار النّزعه فوق الإقليميّه لازدياد العلاقات العالميّه الوطنيّه فى المجتمع الإنسانىّ وأوجدت ممهّدات وعلائم للتّضامن الاجتماعىّ.

۱-۵. وكان للعولمه دور فى نموّ الهويّات الهجينه والمجتمعات المتداخله وتسبّبت فى إيجاد الاختلاط العِرقىّ والثّقافىّ، وقد أثّر هذا الأمر تأثيراً فائقاً على الأسس الاجتماعيّه نظير التّضامن الوطنىّ، المصالح الوطنيّه، الهويّه الوطنيّه، الثّقافه الوطنيّه، اللّغه الوطنيّه واختلال توازن الثّروه المكدّسه وانتقال التّقنيه والفن وعلائم وطنيّه أخرى مختصّه بشعب ما.

۱-۶. ونواجه اليوم انعدام التّضامن الاجتماعىّ بسبب التّغيير والانفصام السّريع والمستمرّ للتّشكيلات الاجتماعيّه والثقافيّه للمجتمع المعاصر والّذى هو فى حاله تنامٍ وعلى الخصوص انهيار الأسس والهويّات والمنظّمات السّياسيّه والاجتماعيّه وفيما أبعد من ذلك وهو إضعاف الحاكميّه الوطنيّه. وكما يرى كلاوس أو: «أنّ انعدام التّضامن الاجتماعىّ يؤدّى إلى إضعاف الدّول الوطنيّه، فإنّ إضعاف الدّوله بواسطه عمليّات العولمه يعدّ مخاطره بالمصادر الوطنيّه. ويستدلّ على ذلك بأنّ المجتمعات المعاصره ينبغى تسميتها (بالمعقّده) لا (العصريّه) أو (الما بعد العصرانيّه) لأنّ الميزه الأساسيّه لها هى (المرونه). فإنّ هذه الميزه تتعارض وتوفّر الإمكانات الجديده من خلال العصرانيّه. ويوضّح ذلك بأنّ المجتمعات المعقّده أصبحت مرنه إلى درجه غدا أىّ جهد يبذل لتنظيمها وإحيائها والتوفيق فيما بين عمليّاتها الداخليه غير ممكن»(۱) وبهذا الاعتبار فإنّ التّعقيد و التّشتّت يقف حائلاً دون تحقّق الدّيمقراطيّه.

۱- (۱) كيت نش، علم الاجتماع السّياسىّ المعاصر (العولمه، سياسه القوّه)، ص ۲۶۲، «التّرجمه الفارسيّه لمحمّد تقى دلفروز».

فعلی الرّغم من أنّ الدّعوه إلی العولمه هی فی حاله اضطّراد وأعلی صوتاً من صوت الدّعوه لاحترام حقوق الإنسان والحاجه إلی السّلام والحرّیه والحقوق الاجتماعیّه والتّغذیه السّلیمه والصّحّیه وصیانه البیئه، ولکن ینبغی الالتفات إلی أنّ تحقّق السّلام العالمیّ، الأمن العالمیّ الشّامل، احترام حقوق الإنسان وصیانه البیئه؛ یتوقّف علی تحقّق المقدّمات المتعلّقه بها. ولهذا فمن الواضح أنّ العولمه بحاجه إلی ممهّدات وأدوات خاصّه بها، ومع أنّ التّبادل الحرّ للمعلومات وانهیار الحدود الفکریّه والسّیاسیّه والاقتصادیّه والطّبیعیّه یوجد تطوّرات عمیقه فی النّظره إلی السّلام والأمن وحقوق المواطن العالمیّ؛ ولکنّه بحدّ ذاته لا یعدّ ضماناً لتحقیق هذه المقولات العالمیّه.

فینبغی استبدال عولمه الاستغلال، الاحتکار، الأفضلیّه، التّمییز، الفقر، الأزمات البیئویّه الهدّامه، الأزمات الأخلاقیّه والاجتماعیّه؛ استبدالها بعولمه العداله والمساواه والمعرفه والمعلومات والعلم والتّقنیه والسّلام والأمن العالمیّ.

وینبغی علی العولمه؛ توفیر الفرص والنمو السّیاسیّ والاجتماعیّ والثّقافیّ المتکافئ بین جمیع النّاس. إنّ هذا الهدف یرتکز علی تعریفنا للعولمه مع الأخذ بنظر الاعتبار عواملها وأسبابها وأسسها.

۱-۷. إنّ إفرازات العولمه أحدثت تغییرات جدّیه وأساسیّه فی طبیعه الحاکمیّه الوطنیّه، من خلال عولمه حکوماتها. وکما یقول کوفی عنان، الأمین العام السّابق للأمم المتّحده،: «نحن نعیش الیوم فی دنیا عالمیّه فینبغی أن یکون الردّ علی هذا التغییر من أهمّ وظائف قاده العالم».(۱)

۱- (۱) غنادی زرکانوف، العولمه بین العبور والانهیار، ص ۲۰۹، «التّرجمه الفارسیّه لأحمد جواهریان و هما».

وفی الوقت الرّاهن «رکعت الدّول الوطنیّه إزاء الضّغوط الّتی تتعرّض لها لفتح أبوابها وحدودها بوجه الأسواق العالمیّه، وترکوا الشّعوب لحالها، لتباشر بنفسها التّعامل مع السّوق العالمیّه».(۱)

لا- یوجد أدنی شکّ فی أنّ العولمه تعمل علی إضعاف الحاکمیّه الوطنیّه علانیه، تسهیل لغو الحدود، تعزیز الثّوره المعلوماتیّه، اختراق الحدود الوطنیّه، والتأثیر علی الهویّات الوطنیّه والثّقافات والأفکار.

إنّ مسار العولمه مهما کان مبهماً ولکنّها واضحه جدّاً من جهه دعوتها إلی نهایه السّیطره العالمیّه لنظام الدّوله – الشّعب فهی تعدّ بمثابه نموذج للنّظام السّیاسیّ، وإنّ لفظه (ما بعد الوطنیّه) تشیر إلی هذا التّغییر فی نموذج أسس القوّه والمؤسّسات الحکومیّه فی مرحله العولمه.

ومن هنا أیضاً تنشأ إبهامات وإشکالات العولمه، فهی لا تضمن کیفیّه جعل أسس مشروعیّه القدره الدّیمقراطیّه أوسع وأبعد نطاقاً ومدی عن مستوی النّزعه الخاصّه والمحدوده فی عالم (ما فوق الوطنّیه). ففی هذه الصّوره لیس بإمکان مبادئ الدّوله و لا فعّالیات السّوق أن تکون مبنیً للمشروعیّه، وإنّما فقط القرار الجمعیّ هو الّذی بإمکانه توفیر مثل هذه الظّروف.

ولا- تبقی الوحده والانسجام الاجتماعیّ للشّعوب حکراً علی الحاکمیّه الوطنیّه فی عملیّه العولمه؛ بل تتحقّق فیها المشارکه والإراده الجماعیّه والمسؤولیّه المشترکه للمواطنین علی المستوی العالمیّ. ویتعرّض هوبرماس لتحلیل منظومه (ما فوق الوطنیّه) وطرق الوصول إلی (الوحده الوطنیّه العالمیّه) و یؤکّد علی الحرّیّه المتکافئه والحقوق المشترکه لمواطنی العالم بناءً علی الأصول الأساسیّه والانتزاعیّه للیبرالیّه الغربیّه.(۲)

۱- (۱) ایزاک باروی، المراحل الأخیره للعولمه، ص ۱۱۲، «التّرجمه الفارسیّه».

۲- (۲) یورغن هوبرماس، العولمه ومستقبل الدّیمقراطیّه، ص ۱۰-۱۱، «التّرجمه الفارسیّه».

«إنّ مسار العولمه يختفى خلف العصرنه الظّاهره والعالم فوق الصّناعىّ والكومبيوترىّ وجنون الأنترنيت»،(۱) ويؤدّى إلى تحطيم أسس العصرنه ذاتها، ومن ضمنها أسس الليبراليّه والأصوليّه، أمّا الإفرازات الأخرى للعولمه الّتى ابتليت بها المجتمعات البشريّه فهى الإفرازات المعنويّه والدّينيّه والّتى سنشير إليها إجمالاً فى الفصل القادم.

۱- (۱) اكناسيورامونه، هل يسير العالم نحو الفوضى، ص ۶۱، «التّرجمه الفارسيّه».

۳. الإفرازات المعنويّه والدّينيّه للعولمه

۳-۱. أزمه المعنويّه

إنَ إحدى نتائج وإفرازات العصرنه الغربيّه؛ بروز الأزمه الثّقافيّه وفقدان التّوازن والتّعادل فى المجالات الثّقافيّه والأخلاقيّه والقيّم الإنسانيّه والّتى تمخّضت عن النّمو والتّوسع الاقتصادىّ والمادّىّ للحضاره الغربيّه. فإنّ ابتعاد الإنسان الغربىّ عن المعنويّه والمذهب أدّى إلى تعرّضه لأنواع المخاطر وعدم الأمن واليأس والإحساس باللاهويّه والعزله والفراغ المعنوىّ والأخلاقىّ. وقد أدّى انتشار النزعه التّجديديّه ونقض الأسس الثّقافيّه ونماذج الحياه الاجتماعيّه والبنى الأخلاقيّه إلى تفتّيت الأسره، وزوال العلاقات العاطفيّه والأخلاقيّه وأوجد مشاكل روحيّه ونفسيّه وساهم فى تفرّق وابتعاد الأفراد بعضهم عن البعض الآخر.

بمعنى أنّ الفرد فى المجتمع الغربىّ قد انفصم وانفصل عن تقاليده المذهبيّه، وعن تقاليده العائليّه والاجتماعيّه كذلك، وابتلى بالفقر المعنوىّ والإحساس بالعجز واليأس. فالأزمه الرّاهنه ليست أزمه علم وفلسفه فحسب، وإنّما هى أزمه عالميّه ومعنويّه وأزمه قيم كذلك. ويمكن القول بناءً على

ص:۱۷۱

تفاسـير علم الاجتمـاع: إنّ الزّمن الجديـد هو زمن الأزمـات، البطـاله، التضـخّم، الحروب العالميّه والإقليميّه، الجفاف، التوزيع غير العـادل للثّروه، إنتاج الأسـلحه الميكروبيّه والكيمياويّه والـذّريّه واختلال التّوازن البيئوىّ وأزمه الهويّه والفراغ المعنوىّ، كلّ ذلك يعـدّ من علائم الأزمه فى العلم الحـديث وطريقه نظره البشـريّه إلى عالم الوجود وعالمهم الـذّاتىّ. إنّ جذور هذه الأزمه المعنويّه يمكن لمسـها أيضاً فى ابتعاد الإنسان عن الله والغفله عن نفسه، وسـيطر هذا النّسـيان للنّفس عليه من خلال تعاطيه وأنسه بالأشـياء المادّيّه والفنّيّه؛ ممّا أدّى إلى فقده مكانته وأهدافه.

إنّ الحياه البشـريّه تتعرّص للخطر والمخاطره لارتباطها بالأمن الوجودىّ الّـذى يتعرّض بدوره للاهتزاز وذلك لتميّز أغلب جوانب الحيـاه الاجتمـاعيّه فى الوقت الرّاهن بسـمات دنيويّه على حساب السّـمات الأخرى. إنّ الأمن يعتمـد على الشّعور بـدوام الأشـياء والظّواهر والحـاجه إلى الاعتمـاد على الآـخرين. وعلى هـذا فكيف يمكن للإنسـان أن يجـد البـديل عن الـدّين فى تأمين فلسـفته الوجوديّه وأمنه وهويّته فى خضمّ هـذه الأـنظمه الاـنتزاعيّه والمصـطنعه الحـديثه الّتى هُمّش فيها الـدّين؟ وكيف يمكن توجيه أنّ استعاده أمنه المفقود يعتمد على نوعيّه علاقته بالأفراد الآخرين والأنظمه الحاكمه؟

إنّ الوسـط الثّقافىّ والمعلوماتىّ العولمىّ الّـذى يعيشه الإنسان والّـذى تغيّرت حـدوده الخفيّه والظّاهره؛ انتزع منه ارتباطه المكانىّ والاجتمـاعىّ والتّـاريخىّ والثّقـافىّ، وأثمر عن شـعوره بـالغربه والوحـده. وكلّمـا ازداد تعرّضه لغزو المعلومـات المتنوّعه فإنّ حيره واضطراب عالمه الافتراضىّ يؤدّى إلى ابتعاده أكثر وأكثر عن الحقائق والواقعيّات.

إنّ ابتكار وسائل الاتّصال الألكترونيّه جعلتنا نواجه الأحداث و الأفعال والهيئات والعلاقات المصطنعه، فلا يمكن لهذه الأنواع من

الارتباط و الاتّصال أن تهب لنا الإخلاص والصّدق والهدوء النّفسيّ والرّوحيّ على الإطلاق. والسّبب الآخر لهذا الشعور باليأس واللا أمن للإنسان الحديث يستتر خلف التّغييرات المتسارعه فى ماهيّه الحياه الحديثه، الّتى تركته مشوّش الذّهن وفاقداً للإراده من خلال العمليّه المتبادله فيما بين الدّيالكتيك والتطوّر.

إنّ حقيقه العصرنه فى ذاتها لا تعير أهمّيّه للأحاسيس والعلاقات العاطفيّه، بل إنّ انعكاساتها القاسيه والعنيفه تعرّض تلك الأحاسيس والعلاقات للتّغير والتبدّل. فكثير من علماء الحضاره يؤكّدون على هذه النقطه وهى أنّ عزل الطّبيعه عن الجوهر الإلهيّ وترجيح الجسم والذهن على الرّوح والمعنويّه والانحياز إلى العلم والفكر اللادينيّ باعتباره الطّريق الصّحيح؛ أخلّ بالانسجام العمليّ والمعنويّ للإنسان مع نظام الوجود؛ ممّا جعله يواجه أزمات غير معهوده دكّ ركائزها وألهب نيرانها بنفسه، ولكنّه يأبى ويرفض إلى اليوم التّعرّف على الأسباب الحقيقيّه لهذه المسأله.

فى حال أنّه «ينبغى البحث عن مرثيّه هذه الأزمه فى تقديس العقلنه والنّهضه الإنسانيّه المادّيّه الغربيّه؛ فالإنسان الغربيّ يعتبر نفسه موجوداً مطلقاً تفوق خياراته وتصرّفاته خيارات الله وتصرّفاته، وأنّ هذه النّزعه الإنسانيّه الإفراطيّه نفسها أبعدته عن مصادر القداسه والمعنويّه. ومن هنا؛ فالمعوّل على هذا الإنسان ذاته للخلاص من هذه الأزمه. أمّا النزعه العلميّه تّجاه الإنسان والطبيعه؛ فقد جفّفت بدورها الجذور المعنويّه للحياه البشريّه، فأنكر الإنسان المتجدّد والمتطوّر التّقاليد الدّينيّه جميعها من خلال تدميره للطّبيعه، والنّظره العلميّه الجافّه والمادّيّه البحته الممزوجه بالحرص النّاجم عنها».(۱)

۱- (۱) للاطّلاع أكثر؛ راجع ر. ك. حسين نصر (أزمه المعنويّه) مجلّه نقد، العدد ۳-۴، سنه ۱۹۹۸.

٣-٢. العدميه

مع غزو التّجدّد للحياه والنّزوع نحو فصل العقل عن نور الوحى؛ ابتلى الإنسان الحديث بالابتعاد عن الفضيله والدّخول فى دوّامه الانحطاط الأخلاقىّ. وغدت العصرنه فى نظره مظهراً للخيانه تجاه الإلهام والمكاشفه وانسداداً تاريخيّاً وفلسفيّاً، فهذه الأزمه فى الحقيقه قد اختلقها هو لنفسه؛ بإعراضه عن أصاله محوريّه الله.

واعتقاده بأنّ الطّريق الصّحيح يمرّ عبر متاهات العدميّه النّيتشيّه والركائز الواهيه للاستدلاليّين أو العلميّه المادّيّه.

يدّعى هيدغر أنّ (العدميّه) هى النّتيجه المنطقيّه للتّقنيه الحديثه. وأنّ الانعكاس العدمىّ للفكر التّقنىّ يؤدّى دون شكّ إلى الإنكار التّدريجىّ لجميع العقائد الشّرقيّه، هذا الانعكاس الّذى يتنفّس من خلال عمليّه التّشغيل الذّاتىّ (الأتمته) والنّمو الذّاتىّ، الاستقلاليّه والتفرّد، ويتقدّم بحركته التّنازليّه هذه ليهوى فى هوّته السّحيقه.

وإذا ما أردنا إحصاء مميّزات مسار الفكر الغربىّ ينبغى ذكر ما وصفه به عالم الاجتماع الفرنسىّ جاك لوى، فيميّزه فيما يلى:

تقنيه الفكر: إنّ الانسلاخ عن البصيره الشّهوديّه باتّجاه الفكر التّقنىّ هو عمليّه تحجيم الطّبيعه بشيئيّه الأشياء.

المادّيّه: إنّ الانسلاخ عن الصّور الجوهريّه باتّجاه المفهوم الميكانيكىّ يسبّب انتزاع جميع الكيفيّات الرمزيّه والصّفات السّاحره من الطّبيعه.

الغرائزيّه: إنّ الانسلاخ عن الجوهر الرّوحانىّ باتّجاه المسّوغات النّفسانيّه هو انتزاع لجميع الصّفات الرّبانيّه والملكوتيّه من الإنسان.

محو الأسطورهَ: إنّ الانسلاخ عن الغايه الفكريّه والمعاد والعوده إلى تاريخ الوثنيّه والدّهريّه هو خلو عن أىّ معنىً عدائىّ وغائىّ.

ص:١٧۴

۳-۳. فقد المعنی والهدف

اشاره

إنّ إحدی ممیّزات الحیاه الحدیثه هو ولع الإنسان فی البحث لاکتشاف قیمه الحیاه ومعناها. فإنّ فقد المعنی تسبّب فی انجرار کثیر من الأفراد وخصوصاً الشّباب نحو طرق معوجّه للتّمتّع بالملذّات المادّیّه الآنیه، وحتی الوقوع فی فخّ الفلسفات والثّقافات والأدیان المبتدعه. فظاهره البحث عن المعنی بإمکانها تعریفهم بالبلاغات المعنویّه والأدیان الحیویّه التّوحیدیّه کالإسلام بشکل خاص.

وفیما إذا وفّقوا فی طیّ هذا البحث عن المعنویّه وعدم الوقوع فی کمین الأدیان الحدیثه والمصطنعه والبدیل والشّبیه الّذی لا أساس ولا اعتبار له؛ فإنّهم سیعثرون علی ضالّتهم المنشوده فی الأدیان المعنویّه والإلهیّه الّتی تؤمّن الجوانب الفردیّه والاجتماعیّه والمعنویّه للحیاه بنحو معقول، والّتی بإمکانها التّأثیر فی صنع فکر وعلم وثقافه المجتمع الجدید وإنقاذ البشریّه من خطر العدمیّه والنزعه النّسبیّه وأزمه المعنویّه.

إنّ الإنسان لدیه احتیاجات مختلفه ومتنوّعه فإحدی هذه الاحتیاجات ذات جانب مادّیّ ویتعلّق بمسائل مادّیّه کالتّغذیه، الصّحّه، السّلامه ومختلف المتع المادّیّه والرّفاهیه. وقد نال وتوصّل إلی القسم الأعظم من هذه الاحتیاجات المادّیّه الّتی تریحه من المشاکل المادّیّه وتؤمّن له حیاه أفضل. أمّا القسم الآخر من احتیاجاته، فهی الحاجات المعنویّه الّتی ترتبط بالروح، الفکر، راحه البال والنّفس، ومن ضمن هذه الحاجات المعنویّه هی روحیّه معرفه الله والشّعور بالارتباط والاعتماد علی قدره أکبر تستحق التّقدیس والإطراء والخلود، والاعتماد والتّوکّل علیها، وتمتلک الإحساس والعلم. ومازال التّاریخ یشهد علی أنّ الإنسان بذل جهوداً جبّاره ومتواصله من أجل الحصول والوصول إلی هذه الحاجه وهذا المراد، وقد واجه فی هذا المجال

مشاكل وصعوبات جمّه. فلطالما كان السّعی نحو المعبود والإحساس بالحاجه إلی مبدأ یمکن الاعتماد علیه؛ مرافقاً لتاریخ الحیاه البشریّه.

إنّ الإنسان وبحسب مقتضیات الفطره الإلهیّه المودعه فی روحه سعی علی طول حیاته للارتباط بالمبدأ الواقعیّ والحقیقیّ للخلق والإلوهیّه، ولکنّ هذا الشّعور بالحاجه تمثّل الیوم بشکل أوسع وأکثر جدّیّه، وعلی هذا الأساس والمقتضی قامت المدارس العرفانیّه المتعدّده الّتی تبغی تنمیه الرّوح وتعزیز الإراده، وکذا المدارس النّفسیّه الّتی تدعو إلی بعث الاطمئنان والهدوء الرّوحیّ؛ قامت بکسب المزید من الأفراد فی هذا الاتّجاه.

میلتن ینغر فی مقاله له بعنوان (الدّین و الحاجات الفردیّه) تحدّث عن الحاجات الّتی دعت الإنسان المعاصر أن یتوجّه صوب الدّین فیقول: «إنّ التّشرّد الرّوحیّ، الحیره، الشّعور باللا ملجأ، الإحساس بالعبث والاکتئاب والوحده؛ ما هی إلّا نتیجه للضّغوط النّاجمه عن التّقدّم الصّناعیّ والتّغیّر والتّحوّل العمیق الّذی تبعه فی الأسس الاجتماعیّه والثّقافیّه».(۱)

لقد جرّبت البشریّه الیوم مظاهر مختلفه من اللّذه واللهو والتّسلیه المادّیّه فی ظلّ المکاسب التّقنیّه، ولکنّها لم تتخلّص من مجموعه المشاکل الرّوحیّه والشّعور باللا أمن والعبث. بل إنّها ازدادت اضطراباً وإحساساً بالعبث واللا معنی الّذی یعصف بحیاتها.

ولأجل حلّ هذه المشاکل وتوفیر احتیاجات الإنسان المعاصر، فقد تشکّلت حرکات متعدّده وبُذلت جهوداً حثیثه علی هذا الصّعید؛ المدارس العرفانیّه، التّحلیل النّفسیّ، تناول المخدّرات والمواد المنعشه؛ ممّا یحکی عن عدم الاطمئنان الرّوحیّ والحاجه إلی الهدوء والاستقرار الرّوحیّ الّذی أصبح من هواجس علماء الدّین الّذین ینبغی أن یمثّلوا الدّواء والعلاج لآلام البشریّه هذه.

ص:۱۷۶

۱- (۱) ملتون ینغر، والستون و...، (الدّین والآفاق الجدیده)، ص ۱۵، «التّرجمه الفارسیّه لغلام حسین توکّلی».

دور الدّين فی الحیاه

هل من الممکن أن نأمل من الفلسفه والعقل والعلم أن تقوم بدور علم النّفس فی جلب النفع وعلاج المشاکل الرّوحیّه والنّفسیّه، بینما ننحّی الدّین عن ذلک؟ یجیب یونغ عن ذلک بالسّلب: «فی مقابل الأمراض الروحیّه والأزمات الهدّامه النّاشئه عنها، لا یمکن أن ننتظر من العلم والفلسفه تقدیم أیّه مساعده فی هذا المجال، إنّ العقل البشریّ لا یستطیع لوحده حیال هذا البرکان الهائل، من الغرائز والاستبداد البشریّ؛ أن یقف بوجهه أو یحول دونه، فمهما کانت النّظریّه العلمیّه دقیقه فإنّها علی صعید علم النّفس أقلّ قیمه من العقائد المذهبیّه. إنّ النّظریّه العلمیّه لا تحوی تجارب فی المجالات العاطفیّه، وسرعان ما تُخلی مکانها لنظریّه علمیّه أخری، أمّا العقیده الدّینیّه فهی تستمرّ وتبقی علی مدی قرون متطاوله».(۱) ثمّ یبیّن یونغ السّبب الأساسیّ (لأزمه الحضاره الغربیّه) فیقول:

«إنّ قیمه ما وراء الإیمان والعقائد والآداب والتّقالید الدّینیّه وروحیّتها قد فقدت رونقها وضعفت إلی حدّ کبیر، واستولت موجه التّشکیک والأسالیب العلمیّه والانتقادیّه تّجاه العقائد الدّینیّه. فالغرائز الفضولیّه والبواعث التّوسعیّه صنعت من الغرب تنّیناً ابتلع القسم الأعظم من العالم. ومنذ ذلک الوقت ألهب المذهب البروتستانتیّ الحماس فی الطوائف والأحزاب والمدارس الفکریّه علی السّواء لتوسیع وتنمیه العلوم والفنون. وکان من نتیجه ذلک أنّ غدا الإنسان المعاصر عرضه لعدم التّوازن والطغیان الروحیّ وما ذلک إلّا لإقصاء دور الله من حیاته».(۲)

۱- (۱) یونغ، علم النّفس والدّین، ص ۵۳، «التّرجمه الفارسیّه».

۲- (۲) نفسه، ص ۸۶.

ویشیر یونغ فی موضع آخر إلی (أزمه الحضاره الغربیّه) ویقول: «إنّ الإنسان الیوم لا یفهم أنّ العقلنه قد أطاحت باستعداده للانفعال تّجاه جذور وأفکار ما فوق الطّبیعه والمیتافیزیّه فجعلته عاجزاً إلی أبعد الحدود أمام عالم النّفس الخفیّ».(۱) فمع أنّ الإنسان قد حرّر نفسه من ربق الخرافات إلی حدٍّ ما ولکنّه أوقع نفسه فی فخّ خطیر ألا وهو فقد القیم الأخلاقیّه والمعنویّه الأصیله، وانفصل عن تقالیدها وعرّضها للاضمحلال وعلُق فی شباک الحیره والتردّد. وعلی خلاف یونغ الّذی لاحظ الدّور الإیجابیّ للدّین وأرجع کثیر من أسباب المشاکل الفکریّه والرّوحیّه والمعنویّه لعالم الیوم إلی الإعراض عنه؛ یقف فروید و بإصرار شدید لیتّخذ موقفا انتقادیّاً حیال الدّین، ولکنّه مع ذلک یذعن بحقیقه أنّ الدّین کان حاضراً علی الدّوام ومرافقاً للحضاره البشریّه منذ فجر التّاریخ.

ففی اعتقاده: «لم تخل أیّه مرحله فی أیّه حضاره من المعتقدات الدینیّه».(۲) وفی رأیه أنّ العقائد والممارسات المذهبیّه علی العموم غالباً ما تکون ملجأً للإنسان فی مقابل مشاکل الحیاه الیومیّه، ولکنّها من جهه أخری یمکن أن تکون منبعا ذاتیّاً للاضطراب والقلق الذّهنیّ. إنّ الدّین متغلغل فی کثیر من مجالات الفعّالیّات الاجتماعیّه.(۳)

فبإمکان الدّین ومن خلال نموّ المؤسّسات الاجتماعیّه الحدیثه إحلال نوع من التّوازن فیما بین العقیده والمغامره، الأمن والخطوره.

۱- (۱) یونغ، الإنسان وجذوره، ص ۱۴۱، «لتّرجمه الفارسیّه».

۲- (۲) فروید، مستقبل خیال، ص ۱۸۶، «التّرجمه الفارسیّه».

۳- (۳) إفرازات العصرنه، ص ۱۲۸، «الترجمه الفارسیه».

۳-۴. إنّ إحدى إفرازات العولمه؛ النّزاع الجدّى فيما بين النّزعه الدّنيويّه والدّين، فالدنيويّه تعدّ موضوعاً معقّداً يتضمّن أبعاداً أخلاقيّه وتربويّه وثقافيّه ومذهبيّه، و لكن لا يبدو أنّها تؤدّى إلى الإنكار الكامل للفكر والفعّاليات المذهبيّه، لكون الدّين مازال بإمكانه الإجابه عن الأسئله الوجوديّه، كما عُهد ذلك منه سابقاً. فمع أنّ أسلوب أصاله التّجربه قد استولى على أغلب مراكز الحياه الاجتماعيّه الحديثه، ولكن مع ذلك لم يستطع الفكر المنفتح والمتجدّد الحديث الحلول محلّ المعرفه المذهبيّه للعالم.

وكذا ينبغى الإغماض عن هذه الحقيقه وهى أنّ الدّين والقيم الدّينيّه مازالت حاضره فى أكثر المجتمعات الغربيّه تحضّراً، ولم يفقد الدّين فيها سطوته، بل إنّ الاتّجاه نحو المذهب والمعنويّه يزداد اضطّراداً يوماً بعد آخر.

الإمام الخمينىّ رحمه الله فى رسالته إلى غورباتشوف، الرّئيس الأسبق للإتّحاد السّوفيتىّ السّابق، يذكّر: «بأنّ البشريّه ليس بإمكانها النّجاه من خلال المادّيّات. وإنَ عدم الاعتقاد بالمعنويّه يعدّ من أهمّ الآلام والمشاكل الّتى يعانيها المجتمع البشرىّ شرقاً وغربا».(۱)

إنّ الإنسان كلّما ازداد حصوله على اللّذه المطلقه والقوّه والرّخاء، قاده ظمأه الّذى لا يُروى إلى التّوتّر والنّزاع واستغلال الإنسان الآخر وأبناء جنسه. فالعولمه فى رؤيه الغرب؛ تعنى النّزعه الإنسانيّه، الليبراليّه، العلمانيّه والفردانيّه الّتى لا تستطيع تكفّل وتحمّل مسؤوليّه عمل الدّين. فى حال أنّ البشريّه بحاجه إلى عالم حرّ وعارٍ من الظّلم والاستغلال واللا عداله، ممتلئ سلاماً وأمناً وعدلاً، وإنّ هذا ممّا لا يمكن للحضاره الغربيّه مطلقاً القيام به وتأمينه.

۱- (۱) صوت التّوحيد، رساله الإمام الخمينىّ رحمه الله إلى غورباتشوف.

فالنّظره النّاقصه والأرضيّه للحضاره الغربيّه إلى الإنسان جعلته يبتعد عن مكانته الإنسانيّه.

فمثل هذه الرؤيه لا يمكنها على الإطلاق أن تؤمّن السّلامه والسّعاده لمستقبل المجتمعات الإنسانيّه وأن تجلب لها الأمن والسّلام والعداله.

ومن هنا؛ ففى رأينا، أنّ العصرنه ذاتها تواجه أزمات مهمّه وبنيويّه، والمدرسه الوحيده القادره على أن تكون عالميّه، هى تلك الّتى تمتلك عمقاً علميّاً وفكريّاً وأسساً عقلانيّه أصيله، وتستطيع أيضاً الإجابه عن الحاجات الأساسيّه والتّاريخيّه للبشريّه، وليست هذه المدرسه سوى الإسلام وحده، الّذى يمتلك رؤيه شامله وكامله إلى العالم والإنسان تتطابق وتنسجم فى ذات الوقت مع العلم والعقلانيّه وتستطيع توفير جميع احتياجات الإنسان اليوم وغداً على السّواء.

و فى مقابل تأكيد البعض على أنّ الحضاره الغربيّه والعصرنه وصلت إلى طريق مسدود وتواجه فعليّاً أزمات لا تحصى؛ فلسفيّه ومعرفيّه ووجوديّه وعلميّه، تقف فئه أخرى يمثّلها غينز وهوبرماس تؤكّد على إعاده بنائها وعولمتها. إنّ نظره العصرنه إلى الإنسان نظره مادّيّه وذات نزعه إنسانيّه وعلمانيّه بحته تنازع وتعارض المعنويّه. فالإنسان حسب رؤيه العصرنه الغربيّه موجود ليس له غايه ولا ارتباط بمبدأ وجودىّ ويمتلك حرّيّه مطلقه تجعله يسرح ويمرح فى هذا العالم كما يحلو له، وتنعدم البواعث الأخلاقيّه والدّينيّه من حياته الفرديّه والاجتماعيّه. فهل من الممكن أن تكون مثل هذه النّظره، عالميّه؟ وهل بإمكان العالم الإنسانىّ أن يكون خالياً من المعنويّه والقيم الإنسانيّه؟ وفى مثل هذا العالم المفترض، كيف يمكن التّحدّث عن السّلام والاطمئنان؟ إنّ النّظره العالميّه للعالم والإنسان ينبغى لزوما أن تكون رؤيه معقوله وكامله وتأخذ فى نظر الاعتبار كافّه الحاجات والجوانب الواقعيّه

للعـالم والإنسـان. وهـذا عكس ما نلاحظه فى الرؤيه المادّيه والأداتيه للإنسان الغربىّ للعالم والإنسان، فلـذا نحن نشاهـد الأزمات المتعـدّده الّتى لم تقتصـر على حيـاه الإنسـان الغربىّ بل عصـفت أيضاً بجميع العالم. فالرؤيه الإلهيّه الحكيمه هى وحـدها الكفيله بمعرفه أسـرار الوجود والتّوصّـل إلى حياه إنسانيّه معقوله، أمّا المـدارس الغربيّه فترى الإنسان عارياً من الله والمعنويّه وليس له أيّه فلسفه وغايه.

وعلى هذا الأساس؛ فالارتباط بعمليّه العولمه الغربيّه هو فى الواقع القبول بقيم وإفرازات ومقتضـيات عالمها الشّـمولىّ أمثال؛ إزاله القيـود والحــدود الـوطنيّه والفكريّـه والـدّينيّه والرضـوخ للمعـايير العلمـانيّه والتّعـدديّه الثّقـافيّه وزعزعـه البنى الاجتمـاعيّه والتـأثّر بالتّطوّرات السّياسيّه والاقتصاديّه والثّقافيّه الغربيّه والقبول بكافّه المستلزمات الّتى لا يمكن تلافيها للعولمه.

الرؤيه الأخرى المطروحه فى هـذا المجال هى الرؤيه التّجزيئيّه الّتى تعتقـد بأنّ عمليّه العولمه ولما تحمله من الجـذّابيّه والإفرازات الإيجابيّه، توجب اتّخاذ موقف تّجاهها هو ذاته الموقف الّذى اتّخذته المجتمعات المتنوّعه تّجاه العصرنه لتتكرّر قضيّتها.

يطـالب بعض النخب والتّنويريّين الالتحـاق بمسـار العولمه ونشـر القيم العـالميّه والأسـلوب الوحـدوىّ فى الثّقـافه والقيم العالميّه، ويصـرّون على نقض القيود المـذهبيّه والعرقيّه والوطنيّه. وتقف طائفه من الجماعات التّقليـديّه والمـذهبيّه فى مختلف المجتمعات بوجههم للآثـار والإفـرازات السّـلبيه للعولمه وخصوصـاً على الـدّين والأخلاـق والقيم الإنسانيّه، فهم يخالفون التحاق المجتمعات بركبها دون قيد أو شرط. فهذان اتّجاهان وحركتان تقفان مبدئيّاً فى تضادّ مع بعضهما البعض، ويطرح كلّ منهما أفكاراً وأساليب حسب هويّته الّتى تميّزه عن غيره.

فما الحلّ؟ من المؤكّد أنّ طريقه حلّ مثل هذه المعضله لا- تتمثّل فى إنكار واقعيّه العولمه والاعتقاد بكونها مؤامره وأسلوباً استعماريّاً، وليست كذلك فى اعتمادها المطلق وغير المشروط؛ وإنّما ينبغى التعرّف جيّداً على ممهّداتها وأسبابها وأسسها الفكريّه والفلسفيّه والاجتماعيّه ووعى مستلزماتها ومقتضياتها وإفرازاتها، كى يمكن بعنوانها ميزه وفرصه؛ استثمارها والاستفاده منها ومن أدواتها وإمكاناتها، والمبادره إلى عرض الثّقافه الدّينيّه لمنافسه الثّقافات الأخرى فى عرصتها، لكون العولمه تمثّل فرصه وساحه للتّنافس الكبير بين كافّه الثّقافات والأديان والحضارات قبل أن تكون فكره وبلاغاً ثقافيّاً خاصّاً.

ص:١٨٢

خلاصه القسم الثّانی

اشاره

لقـد رُمی وقُذف إنسـان الیوم فی خضمّ هـذا العـالم المعقّـد دون عـدّه ومکنه، وواجه فضـاءً انعـدم فیه تـأثیر الزّمان والمکان، و عرّضت عوامـل ظـاهره وخفیّه أمنه العـالمیّ للخطر وعلی مسـتویً شامـل، وأحـاطت به الأزمـات البیئویّه، الاجتماعیّه، الاقتصادیّه، الثّقافیّه والفلسفیّه، واحتضنه اضطراب المجتمع العالمیّ.

«یبـدو التّعـارض فیمـا بین الهویّات الثّقـافیّه والمـذهبیّه والمُثـل الاجتماعیّه فی بواکیره، وتتعرّض جمیع الأشـیاء للتغیّر والانقلاب، ولکنّ ذلک لا یسیر باتّجاه التّضامن والوحده والاندماج، وإنّما باتّجاه مجتمع تسوقنا فیه قوی متناقضه بقوّتها وسطوتها».(۱)

ویعتقـد بعض أصـحاب الرّأی أنّنا نعیش عصـر العولمه وفی مرحله یبدو أنّ کلّ شـیء فیها أصـبح عولمیّاً، ففی نظر هذه الفئه أنّ ذلـک تمّ من خلاـل انتشـار تقنیه المعلومـات، الثّقافـات والحضارات والأدیان والعلاقات السّیاسـیّه، الاقتصادیّه والتجاریّه؛ أیّ أنّنا نتعرّض للتغیّر ونطبّق التّبعیّه المتبادله علی جمیع المستویات وفی کافّه المجالات. ولهذا فنحن لابدّ و أن نتأثّر وننفعل بالآثار

۱- (۱) الثّوره العالمیّه الأولی «التّرجمه الفارسیّه».

السلبيّه والإيجابيّه لتلك العمليّه، ونظراً لكون العولميّه هى مرحله متحقّقه أو فى طور التّحقَق والانتشار فستكون إفرازاتها وآثارها كالآتى:

نظره عابره للإفرازات الاجتماعيّه للعولمه

١. إنّ العولمه تدعونا إلى المشاركه من جهه وتعمل على تهيئه أجواء الاستبداد من جهه أخرى، وها نحن نعايش هذين المسارين المتناقضين.

٢. إنّ العولمه تؤدّى إلى انتشار الفقر وتعيق النّاس عن التّمتّع بالصّحّه، التّعليم، السّكن والحاجات الاجتماعيّه الأوّليه الأخرى.

٣. إنّها تتسبّب فى تقييد حاكميّه الدّول الوطنيّه وإضعاف قدره الحكومات والدّول.

۴. وتمحو وتنتزع الهويّات والثّقافات المحلّيه والأصيله.

۵. وتتسبّب فى ازدياد الهجره والبطاله، فالدول الصّناعيّه تستفيد من القوى العامله الرّخيصه وانخفاض الحاجه إلى فكر وإداره وعمل الإنسان مباشره نتيجه للتّقدم التّقنىّ واستخدام تقنيه الأتمته والكومبيوتر.

۶. وتؤدّى إلى تدمير البيئه وتتسبّب فى إيجاد الأزمات البيئويّه العالميّه.

٧. وسرايه الأزمات الاقتصاديّه المحلّيه والإقليميّه إلى كافّه مناطق العالم.

٨. وتفرض علينا اتّجاهاتها الفكريّه والثقافيّه والسّياسيّه والدّينيّه، وتضع أديان وقيم الثّقافات الأخرى تحت تأثيرها، وتغيّر من ذهنيّتنا وفكرنا وأسلوب حياتنا.

٩. وتؤثّر على ماهيّه الزّمان، الفضاء، المكان، وسرعه المواصلات والتغييرات الاجتماعيّه.

١٠. و تُبدع تقنيات جديده وعلماً حديثاً.

١١. وتوجب ارتباط العالم بعضه ببعض، وظهور التّعارض الاجتماعىّ واختلال التّوازن والثبات والتبعيّه والاضطراب الثّقافىّ.

ص:١٨۴

۱۲. وتتمخّض عن سلب الحرّيه وقدره الإنسان والدول على التخطيط، وتُوجد فضاءً للتّنافس فی جمیع المجالات.

۱۳. وتستلزم ترویج الثّقافات المتنوّعه، والثبقافه الغربیّه المبتذله وعلی الخصوص الثّقافه الاستهلاکیه، والّذی یؤدّی إلی أزمات أخلاقیّه واجتماعیّه و الجنوح نحو الجریمه.

۱۴. وتُبلور الحرکات الاجتماعیّه والدّینیّه.

۱۵. وتستوجب زعزعه العلاقات الدّولیّه والأممیّه.

۱۶. و تؤثّر علی التّضامُن والترابط الاجتماعیّ.

۱۷. وتتسبّب فی تعریض الأمن العالمیّ للخطر.

ص:۱۸۵

القسم الثالث: علاقه الدّين والعولمه

اشاره

ص:۱۸۷

۱: تعریف الدّین

قبـل الخـوض فی بحث علاقه الـدّین والعـولمه نری من الضّـروریّ عرض تعریـف شامـل وکامـل عن الـدّین وذلـک من خلال التّعاریف المتعدّده المطروحه والّتی نشیر إلی أهمّها فیما یلی:

۱-۱. یعتقد تیلت(۱): «أنّ الدّین فی حقیقته هو حاله روحیّه أو خالصه ممزوجه بالاحترام تتمثّل بالخشیه».

۱-۲. ویقـول برادلی(۲): «الـدّین هو سـعی لاسـتکشاف الحقیقه الکـامله للخیر فی جمیع أنحـاء الوجود قبـل أن یکون أیّ شـیء آخر».

۱-۳. ویعرّفه جیمس مـارتینو(۳): «بـأنّه الاعتقـاد بـإله ذو حیـاه خالـده، أیّ الاعتقـاد بالإـراده والعلم الإلهیّ المهیمنان علی العالم والمرتبطان بعلاقات أخلاقیّه مع النّوع الإنسانیّ».

۱-۴. أمّا روی کین فیکتب فی بیان وتعریف الـدّین: «إنّ الاعتقاد بقوی ماوراء الطّبیعه هو الّذی أوجب نشوء الدّین تاریخیّاً، وهو باعتباره

۱- (۱) . c. p.Tielte

۲- (۲) . F.H.Bradley

۳- (۳) . Jamaes Martinean

أساساً لا يتغيّر فهو يضطرّ لتبرير وتفسير الحوادث ومعرفه العلل الطّبيعيّه للوقائع».(۱)

ففی رأيه أنّ العالم يولد من رحم الدّين ليتكفّل بالتّفسير العلميّ للحوادث. ومن المهمّ التّنبيه على هذه النقطه؛ وهی أنّ المؤسّسه الدّينيّه إذا كانت تعتمد أصولاً منطقيّه وعقليّه سليمه فستسير متناسقه مع التّقدّم العلميّ والتّقنیّ، ومع تكامل النّظام الاجتماعیّ والثّقافیّ... الخ للمجتمع.

أمّا إذا تقمّصت دور مؤسّسات إنسانيّه وعملت على خدمه الأنظمه الطّبقيّه أو المؤسّسات السّياسيّه والاجتماعيّه الأخرى، وتحوّلت إلى كهف للأصول غير الواقعيّه والتفاسير المطلقه المضادّه للعلميّه وغير القابله للنّقاش؛ فستقف بوجه السّير التّكاملیّ للعلم والتّقنيه.

۱-۵. ويكتب كيرك باتريك(۲) عالم الاجتماع والنّفس: «إنّ القاسم المشترك لجميع الأديان؛ هو أنّها جميعاً تعتقد بأنّ الإنسان ينفعل ويتأثّر بالأشياء الّتی لا يمكن إدراكها بصوره مباشره ولا يمكن معرفتها وتشخيصها عن طريق الحواس. وتعتقد جميعها أيضاً بأنّ الإنسان ليس مجرّد جسم وقالب مرئیّ، وإنّما ذو روح أو نفس ترشد الأعمال الإنسانيّه على أساس هدف معيّن».

۱-۶. ويعرّف أميل دوركهايم الدّين باعتباره ظاهر ه مقدّسه بما يلی: «إنّ الدّين عقيده وعمل يستهدف أموراً مقدّسه. فعدم الإحاطه بعلل الحوادث والظّواهر الطّبيعيّه تدفع الإنسان للتأمّل والخوف والحيره فی مقابل قوی مقتدره تتحكّم بالعالم ممّا تجعله متوجّساً ومعتقداً بأمر مقدّس».(۳)

۱- (۱) حميد حميد، علم تطوّرات المجتمع، ص ۲۶۹، «باللّغه الفارسيّه».

۲- (۲) . Kirkpatric.

۳- (۳) اميل دوركهايم: الصّور الابتدائيّه للحياه الدّينيّه.

۱-۷. أمّا فی المفهوم الفلسفیّ فقد عرّف الدّین: بأنّه میثاق الحقیقه المطلقه مع الحقیقه الوجودیّه والوجود البشری المستقلّ، فمع أنّ الفلسفه تسعی لتجربه حقائق الواقع، ولکنّ أثمن مکسب ومکافأه لهذا التّجرید الضّروریّ؛ هو أنّ النّظر نحو عالم أعلی معناه النّظر نحو الأعیان الشهودیّه المثالیّه و «المُثل»، والنّظر نحو حیاه هذا العالم.

وعرّفته بعض الرؤی الفلسفیّه الأخری بما مضمونه «أنّ عالم الوجود من صنع الله، وأنّ الله هو المدبّر لأمور العالم والإنسان» أو کما یقول مالبرانش: «نحن کائنات نری فی الله» ویدخل هذا القول فی نطاق الرؤیه الفلسفیّه الدّینیّه.

۱-۸. ویعرّف الشّهید مطهری الدّین بنظره أشمل وأکثر عقلانیّه فیقول: «إنّ الدّین عباره عن اعتقاد وتعلّق الإنسان بحقائق ما وراء الفرد وما وراء المادّه، وتشکّل هذه الاعتقادات بنی تحتیّه فکریّه وعقائدیّه فی حیاته الدّنیویّه، وتحدّد له جهاتها الأساسیّه». ویؤکّد کذلک علی فطریّه الدّین ویقول: «إنّ الجنس البشریّ بحاجه إلی الدّین، فالدّین جزء من المؤسّسه البشریّه ویدخل فی ضمن الحاجات الفطریّه والعاطفیّه والعقلانیّه للإنسان». وفی مجال دور الدّین یبیّن بأنّ «الدّین ضروره فردیّه واجتماعیّه، فهو یبنی الإنسان من الدّاخل ویغرس فی نفسه الأمل فی جانبه الفردیّ، ویسهّل الحیاه الاجتماعیّه للآخرین فی جانبه الاجتماعیّ». ویعتقد أنّ الدّین مهمّ للغایه اجتماعیاً وعلی الخصوص فی الموارد التّالیه:

۱. فهو یقوم بدور أساسیّ فی التّعلیم والتربیه والتّثقیف والتّکامل الشّعوریّ والإدراک الاجتماعیّ للأفراد.

۲. وله دور فی استحکام العهود والمواثیق؛ لکون الدّین والمذهب الدّعامه الأساسیّه للقیم الأخلاقیّه والإنسانیّه.

۳. إنّ للـدّين دوراً مهمّـاً فی نجـاه الإنسـان من أسـر العوامـل الّتی تحول دون رقیّه الاجتماعیّ، فهو ومن خلال إزاله عوامل الظّلم والاستضـعاف والطّغیـان والاسـتغلال والاسـتعباد، وإصـلاح العقائـد والآـداب والتّقالیـد الشّـعبیّه؛ یهیّئ الأرضـیه للسّـلامه الرّوحیّه والصّحه النّفسیّه والفکریّه والتّربویّه للمجتمع والفرد، ولذا فله دور أساسیّ فی التّحوّلات الفکریّه، والنّموّ الفکریّ والأخلاقیّ الّذی یحدث فی المجتمع.

۱-۹. ویعتقد الإمام الخمینیّ رحمه الله بأنّ الدّین یمثّل الاعتقاد الحقیقیّ بالله، بمعنی أنّ الفرد یستحضـر رقابه الله علی کلّ أعماله وأفعاله. ففی رأیه أنّ الدّین برنامج حیاتیّ یضمن للإنسان السّعاده الخالده والرقیّ المعنویّ.

۱-۱۰. ویصف العلّامه الطّباطبائیّ رحمه الله الـدّین بما یلی: «ینبغی علی الإنسان أن یتّخـذ أسـلوباً حیاتیّاً یتلائم وهذه الدّار العابره وکذا مع تلک الدّار الخالده، وأنّ الطّریق الّذی یوصـله إلی هدفه المنشود وینال به سعاده الدّنیا والآخره هوالدّین. وأنّه لابدّ لهذه المؤسّسه الدّینیّه من رسول یبعثه الله کی تکون متکامله».

۱-۱۱. ویری مـاکس ویبر، عـالم الاجتمـاع الألمـانیّ (۱۸۶۴-۱۹۲۰) بـأنّ الـدّین بعنوانه ظـاهره اجتمـاعیّه یؤدّی دوراً أساسـیّاً فی الأحداث والتّطوّرات الاجتماعیّه.

ویعرّف امیـل دورکهـایم الـدّین تعریفـاً آخر ویحلّله من خلاـل إنجازاته الاجتماعیّه فیقول: «إنّ الـدّین نظام فکریّ یتقمّص أفراد المجتمع هویّاتهم من خلاله»(۱) فهو یعتقد بأنّ للدّین دور فی رسم الهویّه، الانسجام، الحیویّه، المعنویّه والاطمئنان الاجتماعیّ.

۱-۱۲. ونظراً للاختلافات الفاحشه فیما بین الأدیان فإنّ التّوصّل إلی تعریف جامع ومقبول للدّین یعدّ أمراً عسـیراً، ففی عرض أیّ تعریف عامّ للدّین من خلال ممیّزات دین خاصّ یؤدّی فی کلّ الأحوال إلی إمکانیّه

۱- (۱) أمیل دورکهایم: الصّور الابتدائیّه للحیاه الدّینیّه.

الغفله عن مميّزات مهمّه لبعض الأديان. على أيّه حال فبعض الباحثين الـدّينيّين سـعوا إلى إراءه تعريف مثمر للدّين، واتّخذ نينيان سمـارت مثـل هـذا الاتّجـاه؛ فهو يحـدّد ست ميزات عـامّه يعتقـد بـاشتراک جميع الأديان فيها، فعنون ذلک حسب هـذا الترتيب: (الشّـعائر، الأساطير، العقائـد، الأخلاق، التّعاليم الاجتماعيّه، التّجارب)، فبإمکان الباحث الـدّينىّ الاقتصار على أحد هذه الأبعاد أو التّطرّق إلى جميع الأبعـاد والخصـائص الأخرى. وبإمکـان البحوث العلميّه أن تتطرَق إلى جوانب متعـدّده من الـدّين، فتبحث فی علم النّفس الدّينىّ مثلاً، أو علم الاجتماع الدّينىّ، أو تاريخ الدّين، أو فلسفه الدّين أو البحوث التّطبيقيّه للدّبن.

أمّـا أسـلوبنا فی هـذا البحث فهو يرتکز أساساً على التّحليل، بمعنى أنّنا نحاول بـذل قصارى جهـدنا لاتّخاذ أصـحّ وأکثر النّظرات عقلانيّه فی مجال علاقه الدّين والعولمه ونقوم بنقدها وتقويمها.

ص:١٩٣

۲: الدّين والعولمه

لا يوجد أدنى شكّ فى أنّ بيان علاقه الدّين وعمليّه العولمه مهمّ وضرورىّ من جهات متعدّده.

ونظراً للافتراض الأوّلى من أنّ كلا العمليّتين لهما تماس وارتباط مباشر بشؤون الإنسان وحياته الاجتماعيّه والفرديّه، وكذا لدعوتهما معاً للعالم الشّمولىّ الّذى يتجاوز الحدود؛ فنظراً لذلك يمكن القول بأنّ النزاع واقع لا محاله فيما بينهما فى بعض المجالات. إلّا أنّه يمكن افتراض أساليب معتبره لعدم وقوع أىّ نزاع بين الطّرفين، ولكنّ مواجهه وتضادّ العولمه مع التّعاليم الأخلاقيّه والدّينيّه ممّا لا شكّ فى ثبوته فى عالم الواقع. ولكنّ هذا التّقابل ليس هو على شاكله تقابل العلم والدّين الّذى يمكن ملاحظته فى مجالات متعدّده ونقاط متمايزه حسب تمايز موضوع وأسلوب وهدف ومجال كلّ منهما.

وتُطرح نظريّه أخرى فى هذا المجال تفترض أنّ التّقابل فيما بين العولمه والأديان والثّقافات الدّينيّه هو تقابل فوقىّ. وتعتقد بأنّ العولمه ترتكز على نفس الأساس الّذى ترتكز عليه العصرنه الغربيّه، لذا فالعولمه غربيّه من حيث المنشأ والجوهر والماهيّه وأنّ تضادّها مع باقى الثّقافات هو تضادّ سطحىّ و

ص:۱۹۵

قابل للسّيطره، وأنّ ما يؤخذ على أنّه عمليّه عولمه ماهو إلّا موجه يمكن استيعابها بسهوله، فهى ليست دائمه الاستقرار والثّبات.

ولكن ينبغى هنا، طرح هذا السؤال؛ وهو هل أنّ العولمه تقصى الدّين وتطيح به حقيقه؟

يعتقد العلمانيون بأنّ العولمه أهدت العالم الثّالث فرصاً وامتيازات للقضاء على جميع عوامل تخلّف المجتمعات الدّينيّه دفعه واحده. فهذه الفئه من أنصار العولمه الّتى تمثّل النّظره المريبه تجاه الدّين والتّقاليد حسب تفكيرها وتنظيرها لم ترضخ حتّى الآن للواقع العلميّ الّذى يفصح عن أنّ الأزمات والمصائب الّتى ابتليت بها البشريّه نتيجه للمروق من الدّين ومحاربته؛ تتفوّق على الآثار السلبيّه المدّعاه للدّين.

ففى واقع الأمر أنّ أغلب المشاكل البشريّه كانت قد نجمت عن الإعراض عن الدّين ومخالفته عن أن تكون ناشئه من اتّخاذ الدّين محوراً ومداراً. وحتى أنّ هؤلاء لم يذعنوا بالحقيقه العلميّه الّتى تتمثّل بالتّقدّم العلميّ. مجالات الفلسفه الدّينيّه، علم الاجتماع، علم الإنسان والتّاريخ؛ الّتى أثبتت بطلان الفرضيّات الّتى تفترض (كون الدّين أسطوره وخرافه ووهم وليس له من نفع ولا فائده وأنّه عائق دون الرّقىّ والتّطوّر).

فإنّ ادّعاء العلمانيّين المبتنى على تلازم التّقدّم مع إنكار الدّين؛ ما هو إلّا ادّعاء نفسىّ وشخصىّ ولا يرقى أن يكون علميّاً أو حتّى فرضيّه قد تمّ إثباتها.

ولكنّنا على أيّه حال لا يهمّنا هذا الادّعاء غير المستدل، وإنّما الّذى يهمّنا هو ذلك الّذى يعدّ محوراً للنّزاع والخلاف؛ وهو هل أنّ بغيتهم وطموحهم من العولمه يمكن تحقّقه وأنّها تؤدّى إلى الإطاحه بالدّين، كما يزعمون؟ أم أنّ ما بشّروا به منه ليس سوى سراباً بقيعه، وأنّه على فرض تحقّقه فإنّه سيوجب تعزيز أسباب انتشار الدّين لا اندثاره كما يدّعون.

ص:۱۹۶

إنّ أكثر الـدّراسات الّتى أجريت حول العولمه أغفلت مكانه الـدّين وأسـقطته من الحساب، مع أنّ بإمكان الأديان أن تلعب دوراً خلّاقـاً ومؤثّراً فى بلوره عمليّات العصـرانيّه والعولمه. فهـذا ماك لوهان يشـدَد على أنّ القيم الـدّينيّه فى القريه العالميّه تشـير إلى فقدان القدر المشترك فيما بين الأنظمه الثّقافيّه.

أمّا برايان ترنر فيكتب فى مجال مكانه الدّين فى عصر العولمه: «إنّ العولمه تتناقض والدّين تناقضا ظاهريّاً فى أربعه محاور:

١. التّناقض فيما بين الأسس الفكريّه والفلسفيّه للعصرنه والأسس الدّينيّه (تضادّ مبنائىّ وفكرىّ).

٢. التّناقض القائم على أساس التّضادّ فيما بين الأصوليّه والتّجديديّه (تضادّ مبدئىّ).

٣. التّناقض فيما بين التّرابط العولمىّ والهويّه الدّينيّه (تضادّ عملىّ).

۴. تناقض الثّقافه الدّينيّه مع الثّقافه الغربيّه، تقابل الشّرق والغرب (تضادّ فوقىّ وظاهرىّ).

التّنـاقض الأوّل: إذا تبلورت العولمه باتّجـاه علمـانىّ وعلى أسـاس المبـانى الفكريّه لليبراليّه، فينبغى القول: بأنّهـا تعـدّ ردّاً مضـادّاً للمدّعيات الدّينيّه.

التّنـاقض الثّـانى: فـإذا كـانت العصـرانيّه الوجه الغـالب للعولمه، فلا يكون الـدّين - باعتباره القسم المعزول والمنفصل عنها - من المطالبين بالالتحاق بعمليه العصـرانيّه، وأنّ فعاليات وقيم العالم الجديد لا تنسـجم والدّين، فمن هذه الجهه سـيكون للدّين انفعالا مضادّاً للعولمه.

ولكن مع هـذا، فـإنّ هـذه القضـيّه لا يمكن تحليلها بهـذه السّـذاجه، وإنّما على جميع التّقادير؛ سـيكون السّـعى لحفظ الـدّين فى المجتمع له أهمّيّه من جانبين:

١. أنّ الحياه الدّينيّه تتطلّب على الدّوام الصّراع والتّلائم مع عمليّات العصرانيّه والتّطوّرات الاجتماعيّه والعلميّه.

٢. أنّ المجتمعات الحديثه ولأجل الحفاظ على انسجامها الاجتماعىّ وهويّتها وبقاء قيمها الإنسانيّه والأخلاقيّه فهى بحاجه ماسّه إلى الدّين.

التّناقض الثّالث: ويرتبط بطبيعه العولمه والدّين، فهما فى ذاتهما وماهيّتهما وجوانبهما يستطيعان التّعامل والتّفاهم مع بعضهما البعض سواءً تمّ ذلك على أساس التّفسير القداسىّ للدّين أو النّظره الاستصغاريّه له، أم على أساس التّفسير الشّمولىّ له، مع الأخذ بنظر الاعتبار المدّعيات العالميّه للأديان الكبيره، فيمكن على كلا الوجهين تلفيق وتنسيق العولمه مع الأهداف والغايات العالميّه للأديان.

فهل بالإمكان توجيه وبيان هذه المقوله والنّظريّه مع وجود النّظريّتين المهمّتين فى مسأله العولمه؛ وهما عدم قابليه العصرنه وما بعد الحداثه التّحوّل إلى العولمه، بتوضيح أنّ الصيغه الغالبه فى عصر العولمه لم تقم على مقوله العصرنه ولا على مقتضيات ما بعد الحداثه، فما هو البديل الّذى يمكن أن يؤخذ للثّقافه العالميّه ويُجعل أساساً للعولمه.

التّناقض الرّابع: إنّ التّناقض الآخر للعولمه الغربيّه باعتبارها الثّقافه الغالبه؛ هو تناقضها مع الكيانات الشّرقيّه، فهذا التّعارض والاختلاف فيما بين الغرب والشّرق كان مطروحاً باعتباره صراعاً بينهما منذ زمن بعيد. والّذى سعى كثير من المستشرقين الغربيّين والمستغربين الشّرقيّين والمجتمعات الدّينيّه لإيجاد حلّ له. إنّ هذه المعضله يمكن ملاحظتها بشكل أوسع فى عمليّه العولمه. وينبغى التّنبيه على أنّ فرضيّه التّناقض فيما بين الشّرق والغرب؛ جدّيّه وذاتيّه على جميع الأحوال، أى، هذه الغيريّه للميزات الذّاتيّه والمبانى والغايات لكلا النّظامين الفكريّين. ومن هنا؛ فعمليه العولمه سواء فسّرت على أساس مقوله العصرنه وانتشارها أم على أساس مقوله ما بعد الحداثه، فهى فى كلتا الحالتين أمر لا يمكن اجتنابه وتلافيه. لأنّ مقوله الشّرق ستقف فى مواجهه العصرنه

الغربیّه إذا قلنا بأنّ العصرنه فی حاله تحوّل إلی العولمه. وکـذا حسب الفرض الثّانی الّذی یفسّر العولمه علی أساس مقوله ما بعد الحداثه، فسیختلف ویتمایز الشّرق والغرب الحدیث عن بعضـهما بعنوانهما ثقافتین مختلفتین؛ لأنّ فضاء ما بعد الحداثه هو فضاء التّنوّع والتّعـدّد الثّقـافیّ. و «فی حـاله عولمه مـا بعـد الحـداثه فسنواجه تنوّعـاً وتعـدّداً ثقافیّاً، و بإمکان العولمه إیجاد الارتباط مع الثّقافـات الوطنیّه والمحلّیّه بعنوانهـا هویّات مسـتقلّه وثقافـات أخری، وسـتقع عملیّه عولمه مـا بعـد العصـرنه فی مواجهه الثّقافات المتعـدّده لاعتمادها النّزعه النّسبیّه والشّک نسـبه إلی القراءات الشّـمولیّه، والأیـدیولوجیّات الحدیثه وعوده شـیوع الفکر الذّرائعیّ (البراغماتیّ). وسنلاحظ عند ذاک ترابط الثّقافات، التّعامل والحوار بینها، وتهیّؤ أجواء البحث وفعّالیّه الثّقافات الدّینیّه».(۱)

و فی اعتقـاد بعض أصـحاب الرّأی أنّ إحـدی مقـدّمات فرضـیّه العولمه هی الوحـده الثّقـافیّه والاجتمـاعیّه والاقتصادیّه. فإذا کان ذلک یعـدّ من مقتضـیات ومسـتلزمات العولمه، فهل سـیکون للـدّین تلک الوحـده والانسـجام الثّقافیّ المتقارب علی افتراض أنّه یمتلک قابلیّه الاسـتمرار والـدّوام؟ وهل یمکن رسم الآفاق المسـتقبلیّه للدّین بحیث یزول فیها الاختلاف فیما بین الأدیان ویتبلور دین واحد؟

وهل أنّ الدّین الواحد سیتجلّی علی أساس المشترکات والأصول العامّه للأدیان؟ إنّ تأثیر العولمه علی الأدیان تمخّض عن أسئله وجـدال واسع بخصوصـها، وأنّ هـذا الجـدال له جانب نظریّ ومعرفیّ، وله آثار جـدلیّه ثقافیّه واجتماعیّه کذلک. وإنّ هذا التّأثیر الخطیر یرتبط بقدره الأدیان والتّطور المستقبلیّ للعالم إلی حدّ کبیر، فیتطلّب أن یتّخذ المتدیّنین أسالیب معقوله

۱- (۱) برایان ترنر، (فضل العولمه علی الدّین فی عصر العالمیّه)، ارغنون، العدد ۲۴، «ترجمه هاله لاجوردی».

ومتدبّره لمواجهه هذه العمليّه. فالعولمه أثّرت بقوّه على المخاطبين بالبلاغات الدّينيّه من خلال استفادتها من الوسائل التّقنيّه المتقدّمه ووسائل الإعلام. واختراقها الحدود الفكريّه والعقائديّه وإضعافها قدره التّقاليد فى المؤسّسات المذهبيّه عن طريق إيجادها ساحات وأرضيّات جديده، إلّا فيما إذا استطاع أهل الدّين الاستفاده بشكل صحيح وواسع من هذه الوسائل لبثّ تعاليم الدّين وخطاباته وعملوا على توطيد وترسيخ الثّقافه الدّينيّه. ولا يخفى أنّ كلّ دين ومذهب له القدره على ترويجه خارج نطاق حدوده الوطنيّه فى فضاء العولمه، وعرض المعلومات الدّينيّه بشكل معقول ومكثّف ومخطّط له للباحثين عن الحقيقه والّذين ينشدون الانضواء تحت لوائه والّذين يحاولون الحصول على تفاسير معقوله لشؤون حياتهم من خلاله. فلهذا الظّرف أهمّيّه خاصّه نظراً للاتّجاه العالميّ للأديان الكبيره على مستوى العالم.

فإنّ كثيراً من منظّرى الواقعيّه الغربيّه نفوا سيطره ثقافه معيّنه فى عصر العولمه، فقد ردّ فوكوياما القول بالتّماثل الثّقافيّ وأيّد الاختلاف فيما بين الثّقافات فى عصر العولمه، وقال بالتّنوّع وعدم التّوحّد الثّقافيّ.(۱)

إنّ بعض أصحاب الرّأى يعتقدون بعدم فقد الثّقافات والأديان مكانتها ويذهبون إلى أكثر من ذلك وهو عدم حدوث التّماثل فيما بين الثّقافات والأديان أو الوحده بين الأديان فى عصر العولمه. ولكن يذهب مالكوم ووترز إلى «أنّ الأنظمه المذهبيّه ستضطر إلى مجاراه وموافقه المسيره العالميّه».(۲)

وفى مقابل ذلك تأتى نظريّه أخرى تعتقد «بأنّ الدّين سينهار تحت وطأه ضربات العولمه فى صراعها معه ويهمّش ويفقد رونقه ومكانته». وهناك

۱- (۱) محمود جواد شجاعى، (العولمه و الدّين)، ص ۲۶۱ (مجموعه مقالات وبحوث دينيّه باللّغه الفارسيّه).

۲- (۲) ووترز، مالكوم: العولمه «التّرجمه الفارسيّه لإسماعيل هرانى كيوى».

بعض من علماء الدّين والفلاسفه يرون عدم زوال الدّين عن مسرح الحياه، ويستدلّون على رأيهم هذا: «بأنّ الأمر الدّنيوىّ ليس بإمكانه لا ذاتاً ولا واقعاً الاستمرار والدّوام بصوره مستقلّه وعلى انفراد، فالأمر الدّنيوىّ لا يستطيع البقاء والاستمرار اعتماداً على النّزعه الدّنيويّه فقط، وسينساق الإنسان إلى عمق الأصاله الدّينيّه فى نهايه المطاف».(۱)

ففى عالم اليوم الّذى يواجه فيه الإنسان أزمات متعدّده، أزمه المعرفه، أزمه المعنويّه، أزمه الأمن النّفسىّ، أزمه الهويّه، الأزمه البيئويّه... الخ؛ لا تستطيع النّزعه العلميّه ولا العقلانيّه الحديثه إنقاذه من هذه الأزمات. ويوضّح ذلك ميلتون ينغر، عالم الاجتماع الدّينىّ فى جامعه برلين، فى مقاله له؛ حاجه الإنسان المعاصر إلى الدّين فيقول: «إنّ التّشرّد الرّوحىّ، الحيره، الشّعور باللا أمن، الشّعور بالعبث والكآبه، الإحساس بالغربه والوحده هى مسبّبات لضغوط المجتمعات الصّناعيّه والتغيير فى الأسس الاجتماعيّه والثّقافيّه والّتى أدّت إلى ازدياد حاجه الإنسان إلى المعنويّه والدّين، وها نحن نواجه موجه معنويّه وإقبالاً على الدّين فى كافّه أرجاء العالم».(۲)

۱- (۱) بول تيليخ، مستقبل الأيان، ص ۲۳، «التّرجمه الفارسيّه لأحمد رضا جليلى».

۲- (۲) آلستون بيتر وغيره... الدّين والآفاق الجديده، ص ۱۵، «التّرجمه الفارسيّه لغلام حسين توكّلى».

۳: مکانه الدّین فی عالم الیوم

اشاره

إنّ حاجه الإنسان المعاصر إلی الدّین هی کما فی السّابق دائمه وحاضره ومستمرّه، لإمکانه ملء الفراغ الرّوحیّ والفکریّ له.

فإنّ مسأله البحث عن الله من المسائل الأساسیّه الّتی طالما شغلت فکر الإنسان ولصقت بفطرته، وکلّما أعرض وانحرف عنها ابتلی بأزمه عقیدیّه ومعرفتیّه وأخلاقیّه. وإذا صدّق الإنسان بعدم إمکانیّه إدراک الله وأنّ علاقته قد انقطعت بالبشر فسیکون معتقداً بقول نیتشه: (إنّ الله میّت).

ویسمّی سارتر ذلک بأفول الله، أمّا هایدغر فمع أنّه لا یعتقد بأنّ نتیجه هذا الفکر هو الإلحاد والعبثیه، ولکنّه یری أنّ هذا الکلام یستلزم عدم إمکان التّحدّث فی مجال احتمال وجود الله لا نفیاً و لا إثباتاً؛ لأنّ هذه المسأله ترتبط بظهور الله واستعاده انکشاف حقیقته، لذا فهو یعتقد بأنّ هذا العصر هو (عصر غیاب الله)».(۱)

ویوصی بأنّ: «علی إنسان هذا المرحله أن لا یسعی لصنع إله له؛ إله لیس سوی محصّله لفکرنا».(۲) وهذه هی ذاتها الأزمه الفکریّه لإنسان الیوم الّذی أضاع هدفه وغفل عن ارتباطه بالله.

۱- (۱) مارتین هایدغر، کسوف الله، ص ۸۶، «التّرجمه الفارسیّه».

۲- (۲) المصدر نفسه، ص ۸۷.

فهل التّعصرن يستلزم زوال الدّين؟ إنّ مفكرى عصر التّنوير وتابعيهم يعتقدون بأنّ العصرنه تستلزم العلمانيّه؛ ولكنّهم يختلفون فى حدّها وحدودها ومقدارها. فبعضهم يعتقد أنّ الحداثه تتعارض ولا تتلائم مع مجموعه من الظّواهر الدّينيّه الرّجعيّه والخرافيّه وأنّها تنحّيها عن الطّريق.

والبعض الآخر يؤكّد على هذه النّقطه وهى أنّ الحداثه رؤيه عالميّه جديده غير قابله للانهزام، وتستلزم حركه تكامليّه دون توقّف وقائمه على العلم، وينبغى على العقائد والمناسك الدّينيّه التّلاؤم والانسجام معها. وإلّا فإنّها ستنهزم أمام معارضيها. فالثّوره الدّينيّه تدعو إلى الصياغه المذهبيّه وتجديد الفكر الدّينىّ لأجل إدامه الحياه الدّينيّه والحفاظ عليها.

وقد طُرحت نماذج وصيغ أخرى كذلك لمواجهه الدّين للعولمه، فأحد أساليب مواجهه التّحديث يتمّ عن طريق تفعيل الأيديولوجيّه، فللحيلوله دون غزو الثّقافات الأجنبيّه يمكن لطائفه من العقائد المذهبيّه أن تكون أسلوبا آخر لمواجهتها ومواجهه مقتضياتها.

على أيّه حال؛ فإنّ حاجه الإنسان للدّين حتى فى عصر العولمه مسأله أقضّت مضاجع أعلام أمثال؛ نيتشه، هايدغر وياسبرز، ومن هنا فقد حثّوا بكل حميّه على التّمسّک بالوجوديّه ونسيان الله وترک البحث عنه إلى الأبد، وبعد قرن طويل من الأزمه العقيديّه والمعرفيّه ينبغى على الإنسان فى نهايه الأمر استعاده حرّيّته الخلّاقه الّتى كان يعتقد بأنّها لله، ويدرک أنّه بمنزله موجود يرتبط وجود العالم بحضوره فيه.

يقول سارتر: «لا يوجد عالم سوى عالم الإنسان، أى لا يوجد هناک عالم الذّهنيّه والتّجربه الإنسانيّه». وأخيراً يضلّ هذا السؤال حاضراً؛ وهو هل أنّ (استمرار ضروره الدّين) لا يشعر بالوجود الذّاتىّ للإنسان؟

فهل أنّ الوجود هو كما يعتقد سارتر فى أنّه؛ الحياه (لأجل الذات)،

أم أنّه فى الأساس بمعنى القرار مقابل مجهول " x" لا يمكن تعريفه ووصفه واستكشافه؟

إنّ الجواب على هـذا السؤال يتّضـح من خلال اتّجاه الإنسان إلى إنكار المقاييس الـدّينيّه والميتافيزيّه منذ العصـر التّنويرى وحتى العصر الحاضر، والأزمات الّتى نجمت على أثر هذا الاتّجاه.

الحاجه إلى الدّين فى العصر الرّاهن

اعتقـد شـبنغر بـأنّ كلّ ثقافه لها صـفه ورؤيه كونيّه خاصّه بها وفلسـفه أساسـيّه معيّنه تّجاه الحياه، الفن، العلم، والمـذهب. وتكون بصوره لا يمكن معها حصول التّفاهم المتعاكس بين ثقافتين مختلفتين، والحضارات كذلك بتميّزها عن بعضـها يمكن أن تتشابه فى بعض مسائلها، ولكن من الصّعب الوصول إلى المعنى الباطنىّ لهذه المظاهر.

ويعتقد توينبى بأنّ تاريخ المذهب له حركه واحده وراقيه، ولكن تاريخ الحضاره فى اعتقاده على خلاف ذلك فله أفول وانقطاع وحوادث متكرّره.

ويتكهّن بـأن: «سـيكون هنـاك مـذهب عـالمىّ أعلى يرقى على المـذاهب الموجوده بإمكـانه الإجـابه على الحاجـات والمشاكل البشـريّه ويكون أساساً للحضاره القادمه»(١) وتتشـكّل فى العصـر الرّاهن اتّجاهـات واسـعه لإحيـاء الـدّين فى العالم وتتّجه لملء الفراغ المعنـوىّ وإنقـاذ الإنسـان مـن الأزمـات الفكريّه لعصـر العصـرنه و «أنّ هـذا الإحسـاس هـو حـاجه عميقه إلى الـدّين فعّلته الحركات الدّينيّه على مستوى العالم».(٢)

ويقول بوزف كوسل: «إنّ للدّين مسؤوليّه خاصّه فى عصر العولمه،

١- (١) آلستون بيتر وغيره... الدّين والآفاق الجديده، ص ١١٩ «التّرجمه الفارسيّه لغلام حسين توكّلى»

٢- (٢) المصدر السّابق، ص ١١٩.

فالثّقافات والأديان لا ـ يمكن أن تفقد مواقعها حتّى فى عصر العولمه، وأنّ العولمه تختلف وتتفاوت عن التّماثل أو اندثار الثّقافات».(١)

و لا ـزال الإنسان إلى اليوم يبحث عن قيم أوسع وأعلى من المعايير العلميّه بإمكانها أن توفّر إجابات شافيه لحاجاته العاطفيّه وانفعالاته المعنويّه. فهو يعيش قلقاً حقيقيّاً جرّاء فقدانه هويّته وتحوّله إلى آله إنتاجيه فى هذا العالم المضطرب والهائم الّذى يواجه فيه كذلك صعوبات كبيره سياسيّه واقتصاديّه؛ قيمٍ تُضىء له بصيص أمل لإبعاده عن يأس القيم المادّيّه و تقرّبه من الأديان الإلهيّه.

إنّ الاتّجاه نحو معرفه المضمون الأيديولوجىّ للأديان يعدّ أمراً جديداً للغايه لم تكن له مثل هذه الأهمّيّه فى بحوث المعرفه القيميّه فى ما مضى، ولكنّ اليوم ولأجل تحديد موقع الإنسان المعاصر وحرمته الّتى تعتقد بها الحضاره الحديثه؛ يمكن للدّين أن يعيد إليه حقّه الطّبيعىّ والإنسانىّ الّذى سُلب منه و استحوذ عليه.

١- (١) بوزف كوسل كارل، فصليّه مطالعات استراتيجيّه، العدد ١٣-٢٠٠١، «باللّغه الفارسيّه».

۴: فلسفه وضروره الدّين

إذا أردنا الحكم على الدّين بصوره واقعيّه وعلميّه، فينبغی الإذعان بأنّ الدّين يعدّ ضروره عقلائيّه وحياتيّه للإنسان فی هذا العالم، وأنّ جميع النّاس لهم نوع من الارتباط الفطریّ والرّوحیّ بخالقهم، وإن اقتصر هذا الأمر على المجال الاعتقادیّ للإنسان، وكان له نظره إلحاديّه ومادّيّه تّجاه أصل الخلق فی المجال العملیّ. إنّ هذه الحاجه للارتباط والاعتماد على قوّه أبعد من جميع العلل والأسباب كانت ولا زالت تخالط جميع المجتمعات وفی كافّه مراحل التّاريخ.

وبحسب تعبير الشّهيد مطهّری: «تصوّر البعض أنّ الدّين سيفقد موقعه ومكانته فيما لو حدث تقدّم حضاریّ، ولكن أصبح من المعلوم أنّ هذا التصوّر لم يكن سوى سراباً، فحاجه الإنسان إلى الدّين لأجل أن يحيا حياه مطمئنه وجيّده، لم ترتفع مطلقاً، فهو بحاجه إليه فی حياته الشّخصيّه والاجتماعيّه على السّواء».(۱)

وفی رأيه أنّ العلم والدّين كلاهما يتعاضدان من أجل ازدياد ونمو معرفه

۱- (۱) مرتضى مطهّری، الإمداد الغيبیّ، ص ۹۸.

الإنسـان؛ فـالعلم يهبه نمّواً أفقيّـاً رفاهيّاً والـدّين يهبه نمواً عموديّاً،(۱) فيفتـح عينه على جميـع الحقـائق الملكوتيّه للعـالم، والعلم يكشف له غوامض أسرار عالم الطّبيعه.

فهل أنّ حاجه الإنسان إلى الدّين ستستمرّ فى عصر تقنيه الاتّصالات والعولمه؟ وهل يمكن تجسيد مفاهيم العداله العالميّه، السّلام العالميّ، المسؤوليّه الأخلاقيّه، حقوق الإنسان والقيم المعنويّه دون الاعتماد على الدّين؟

ألا ـ يوجـد أيّ بـديل آخر بإمكانه لعب دور الـدّين؟ إنّ أغلب المفكّرين يجيبون بالنفى على الأسئله الآنفه. ومن ضـمنهم هيغنز، ففى جوابه عن تلك المعضـله يقول: «إنّ المجتمع العالميّ الحـديث، قـد انفلت من قيود وتبعيّه التّقاليـد وليس الـدّين؛ لأنّ بعض المسائـل والأسـئله الأخلاـقيّه والوجوديّه لاـزالت بـاقيه، مسائـل ترتبـط بالحيـاه الاجتمـاعيّه والأـمور الرّوحانيّه والمعنويّه والـدّينيّه والأخلاقيّه، ومسائل سُعى إلى الإطاحه بها فى ظل التجدّد».(۲)

أمّا بول تيليخ ومن خلال طرحه هذا السّؤال المصـيرىّ «لماذا وجدت الأديان أساساً»؟ يجيب بما يلى: «إنّ الدّين ولاعتباره هيكليه للرموز الشّـهوديّه والعمليّه (الأساطير والمذاهب) – فى نطاق مجموعه اجتماعيّه – يعدّ ضروره دائمه لأيّه ثقافه حتى أشدّها دنيويّه ومادّيّه، ولأىّ اتّجاه إلهىّ حتى أشدّه محاربه للأسطوره. وأنّ هذه الضّروره استنتجها من هذه الواقعيّه وهى أنّ الرّوح و لكى تظهر على شكل أمر واقعىّ و مؤثّر فهى بحاجه إلى أن تتجسّم».(۳)

إنّ العالم اليوم ولأسـباب متعـدّده ولأجل ملء الفراغ المعنوىّ والأخلاقىّ طرق باب الدّين، فقد أخذه الشّوق للتّفتيش عن نموذج كامل شامل يمتلك أسساً معرفيّه، ثقافيّه، أخلاقيّه، معنويّه وإنسانيّه مبتنيه على حقوق الإنسان

۱- (۱) المصدر نفسه، مسأله المعرفه، ص ۲۸ و ۳۱.

۲- (۲) بيتر مارتين، هانس شومان وهارولد، فخّ العولمه، «التّرجمه الفارسيّه».

۳- (۳) بول تيليخ، مستقبل الأديان، ص ۵۲.

وتضـمن العـداله الاجتماعيّه والأمن للبشـريّه جمعاء؛ لتنجو من هـذه الأزمات الفكريّه والمعنويّه الّتى تحيط به، وهـذا يعدّ فى حدّ ذاته فرصه سانحةً لحمله التّعاليم الدّينيّه.

ومن جهه أخرى، ومن خلال اتّضاح آثار العولمه؛ فقـد تعرّضت هويّه الإنسان المعاصـر لتهديـد جدّى وخطير. وتتساقط الهويّات القوميّه والمحلّيّه الأصـيله. ومن هنـا؛ فباسـتطاعه الـدّين أيضـاً القيـام بـدور مؤثّر فى تكوين هويّات جديـده إقليميّه ووطنيّه لُغويّه وعِرقيّه، وهنا يُطرح السّؤال التّالى وهو هل أنّ الهويّات الدّينيّه تسـتطيع صيانه نفسها من آثار العولمه؟ إنّ الإجابه على هذا السّؤال ستكون بالإيجاب لكون الدّين يتعامل مع الفطره والعقل والرّوح، أمّا المكان، المنطقه الأرض، العرق، القوم، القبيله، اللّغه والزّمان فليس لهـا دخـل فى بقـاء وقبول وحياه الـدّين من الأساس، حيث بإمكان أىّ قوم وقبيله وفى كلّ زمان ومكان العيش وأن يكون لهم دين فى ذات الوقت. فـإذا اسـتطاعت العولمه تحطيم الحـدود الجغرافيّه والهويّات القوميّه والمحلّيّه واللّغويّه والزّمـانيّه، فليس بإمكانهـا تحطيـم الحــدود الــدّينيّه. فللــدّين قــدره داخليّـه يضـــخّ مـن خلالهـا التّصـديق والإيمـان والإثـاره والبـاعث والهـدفيّه والأيـديولوجيّه فى أتبـاعه، ولاـ يمكن أن يُذبـح فى مسـلخ العـولمه مهمـا تمخّضت عن أبعـاد أوسع وأوسع، بـل إنّ حسب رؤيه الأديـان الإلـهيّه وخصوصـاً الإسـلام؛ أنّ انهيار الهويّات القوميّه والعِرقيّه والوطنيّه يهيّئ أرضـيّه وظروفاً أفضل لنمو وتوسّع الـدّين. وكمـا جـاء فى الآـيه الكريمه: (وَ جَعَلْنـاكُمْ شُـعُوباً وَ قَبائِـلَ... لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ)١ فهـذه العوالم لاـ علاقه لها بالإيمان أو الالتزام به، بل إنّ أساس الدّين يرتبط بعقل وقلب الإنسان «إنّ الله لا ينظر إلى صوركم بل ينظر إلى قلوبكم».

ولذا فبإمكان الدّين أن يعرض نفسه بعنوانه عاملاً لتأسيس نظام اجتماعیّ وإيجاد انسجام فكریّ وأن يكون باعثاً وهدفاً وتكوين قيماً اجتماعيّه جديده وهويّه دينيّه واحده، وذلك من خلال انهيار الهويّات الوطنيّه والمحلّيه.

إنّ مطالعه تاريخ الحياه البشريّه تشير إلى أنّ الالتزام بالدّين كان حاضراً فی كافّه المجتمعات التّقليديّه والقديمه جدّاً ولم يؤدّی إلى تخلّی الإنسان عن الأساليب العلميّه والحسابات الدّقيقه فی حياته. وعلى هذا الأساس فجميع المجتمعات الدّينيّه على اختلاف تفاوتاتها تتّبع أنواع الأساليب العلميّه ولا تبخل بأیّ جهد لاكتشاف القوانين الطّبيعيّه. إذن فالإنسان سعى على الدّوام للاستفاده من العلم لأجل حلّ مشاكله المادّيه والاجتماعيّه. ولم تزُل مع ذلك حاجته إلى الدّين والاعتقادات المذهبيّه.

إنّ الفلسفه والعلم والدّين ثلاثه جوانب مختلفه لثقافه المجتمع؛ فوجود العلم يعدّ من ضروريّات رخاء ورفاه من يعيش فی مجتمع حضاریّ، فتقدّم الحياه المادّيه يعتمد على مقدار المعرفه العلميّه والعلاقه المتبادله فيما بين المجتمع والمكاسب العلميّه.

أمّا الدّين فإنّ وجوده فی المجتمعات الإنسانيّه أكثر ضروره من ذلك. وكما يقول برغسون: «نحن لم نشاهد لا فی السّابق ولا اليوم مجتمعات تعيش دون علم وفن وفلسفه، وكذا لم يعش أیّ مجتمع دون دين».(۱)

ص:۲۱۰

۱- (۱) تاريخ الفلسفه فی الإسلام، ص ۷۹۰، «باللّغه الفارسيّه».

۵: إنجازات الدّين

اشاره

إنّ توضيح الماهيّه الحقيقيّه لتأثير الدّين على النّظريات الاجتماعيّه وكذا معرفه الجذور الاجتماعيّه وإدراك الرّوحيّه المذهبيه للطوائف والطّبقات الاجتماعيّه، وتشخيص المحتوى الجديد الّذى يتغلغل تدريجيّاً فى القوالب الدّينيّه التّقليديّه؛ يكتسب أهمّيّه فائقه، حيث كان الوفاء للإيمان والعقائد الدّينيّه من العوامل الّتى تحول دون اختراق وتسلّط الاستعمار على الأمم الشّرقيّه. فالدّين يهب أتباعه الباعث والهدف المشترك، ويضخّ فيهم الوحده والتّضامن. ونظراً لارتباط الدّين بالثّقافه والأسس الاجتماعيّه، فسنتطرّق فى هذا الفصل للإنجازات الاجتماعيّه للدّين:

أ) الإنجازات الاجتماعيّه للدّين

١. إضافةً إلى أنّ الدّين يعدّ ظاهره اجتماعيّه، ولكن يمكن أن يكون سياسيةً وأيديولوجيةً ونستطيع كذلك استشفاف البعد السّلميّ والخيريّ منه، واستثماره فى مجال الاتّحاد والانسجام فيما بين أبناء البشريّه.

«لقد عاد الدّين فى المجتمعات الحديثه وعلى خلاف المجتمعات التّقليديّه، ليمارس دوره الواقعيّ كمنظمه للمجتمع المدنيّ. أمّا فى

المجتمعات التّقليديّه فالمؤسّسات الدّينيّه بإمكانها وبسهوله استغلال العواطف والعقائد الدّينيّه في تقدّم أهدافها السّياسيّه والاجتماعيّه».(۱) ولكنّ الاتّجاهات الدّينيّه أخذت تتّجه صوب العقلانيّه والتجديد في الآونه الأخيره.

فمع أنّ الدّين يمثّل القسم الأعظم من هويّه المجتمع، ولكن «في مرحله الحداثه وعلى خلاف مرحله ما قبل الحداثه اتّصفت المجتمعات بهويّات ثقافيّه متعدّده. ولم يعد هناك مجتمعاً يحمل هويّه دينيّه خالصه».(۲) فالدّين الّذي يلعب دوراً أساسيّاً في توحيد الهويّه الفكريّه والاجتماعيّه وإيجاد الارتباط الوثيق فيما بين الطّوائف المتعدّده في المجتمع؛ يقوم من جانب آخر بدور مهمّ في توفير الانسجام والوحده والتآلف والتّضامن العميق فيما بين أتباعه. ولذا فإنّ دوره في التّطوّرات الاجتماعيّه والسّياسيّه يعدّ من أهمّ إنجازاته.

فللأديان من الوجهه الاجتماعيّه؛ إنجازات إيجابيّه في مجال بلوره الانضباط وتسهيل التّعايش الاجتماعيّ وإيجاد الانسجام والنّظم وتوارث التّقاليد والتّراث الثّقافيّ والرّغبه والشّوق الوجوديّ.(۳)

فيعتقد دوركهايم: «بوجود شيءٍ سرمديٍّ في الدّين يكسب الصور والظّواهر الّتي امتزج فيها الفكر الدّينيّ بُعدا خالداً». والآن وبعد أن اطّلعنا على ما يقوم به الدّين من إيجاد التّرابط والنّظم الاجتماعيّ فينبغي النّظر في كيفيّه توالده وتأقلمه مع الظّروف الجديده للتّغيير والتّطوّر الاجتماعيّ.(۴)

۲. لا ـ يمكن الإغماض والتّردّد في دور الدّين باعتباره الحلّ الوحيد للمعضله الاجتماعيّه (عدم التّوافق فيما بين المصالح الاجتماعيّه والفرديّه) لأنّه

۱- (۱) نقد نظريّه صراع الحضارات، ص ۹۷، «باللّغه الفارسيّه».

۲- (۲) المصدر نفسه، ص ۱۰۶.

۳- (۳) اميل دوركهايم، الصور الأوّليّه للحياه الدّينيّه، «التّرجمه الفارسيّه».

۴- (۴) ر. ك. سعيد حجّاريان، من الشّاهد القدسيّ إلى الشّاهد السّوقيّ، ص ۷۳-۷۴، «باللّغه الفارسيّه».

يعدّ الإطار الوحيد الّذى بإمكانه حلّ المشاكل والتناقضات الفكريّه والاجتماعيّه، فهو فى حصيلته الفرديّه والاجتماعيّه والمعنويّه يمكنه استبدال النّعيم الزّائل والعابر بنعيم خالد وأبدىّ، واجتثاث جذور الأنانيّه وعدم المساواه والظّلم، والارتقاء ببواعث التّعاون والتّرفّع والإيثار والمحبّه. فالدّين قادر على استبدال المصالح الفرديّه والنفعيّه الضّيقّه والّتى لا ترتقى عن المستوى المادّىّ والدنيوىّ بمصالح أعلى ومقاصد أسمى.

والقيام بدور أساسىّ فى حلّ المعضلات الاجتماعيّه والاقتصاديّه والثقافيه والفكريّه للمجتمعات البشريّه؛ لكونه يمثّل الحاجات الذّاتيّه والفطريّه لعامّه النّاس، فهو يستطيع إيجاد آليّه عادله فيما بين المصالح الفرديّه والاجتماعيّه والتّوفيق فيما بينهما. وهذا هو ما بيّنه الإسلام بشكل واضح: (فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطره الله الّتى فطر النّاس عليها لا تبديل لخَلق الله ذلك الدّين القيم ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون).(١)

٣. إنّ الّذين يؤكّدون على أهمّيّه دور الدّين فى حياه الإنسان لا يعارضون المكاسب العلميّه وغير الدّينيّه، ويعتقدون بأنّ هذه المكاسب مفيده وضروريّه وعقلانيّه ما دامت منسجمه مع المفاهيم الدّينيّه. فالدّين يسلّح الإنسان بفلسفه حياتيّه متينه، ويقوده إلى التّعقّل والتّنوّر الفكرىّ. وهو يلعب على النّطاق الفردىّ الدّور الّذى تلعبه البوصله لهدايه وتوجيه السّفن نحو طريقها الصّحيح.

٤. ويولى الدّين الإراده الإنسانيّه أهمّيّه خاصّه ويعمل على تعزيزها وجعلها خاضعه وتابعه للعقل وأوامره. ويبعث فى الإنسان الأمل للوصول إلى الكمال والتّطوّر والازدهار.

١- (١) الرّوم، ٣٠.

۵. ولطالما كانت الأديان الإلهيّه داعيه إلى السّلام واحترام حقوق الآخرين. ويطلّ علينا أمثال هنتيغتون وأقرانه ليسموه بكونه ساحه للصّراع والتّنافس والحرب فيما بين الحضارات، ويستدلّون على أنّ وجود معايير مزدوجه يؤدّى إلى ارتباط النّاس بثقافتهم وعقائدهم المذهبيّه الّتى يرونها تتعارض والمعايير الموجوده الأخرى، ممّا يؤدّى إلى احتمال بروز الصّراع فيما بين الاعتقادات الدّينيّه والمعايير البشريّه. مع أنّه ينبغى القول: إنّه من الممكن استغلال الجوانب المشتركه للاعتقادات الفطريّه والأخلاقيّه لأن تكون أرضيّه مناسبه للتّعامل والتّعايش والسّلام فى مثل هذه الظروف.

وإذا ما أردنا الثّبات والبقاء على هويّتنا الأصيله فى هذه المرحله من عولمه عمليّات العلم والاقتصاد والتّجاره والعلاقات الدّوليّه والمواصلات على صعيد الدّين والثّقافات المتنوّعه؛ فسنقع فى نوع من التّناقض، فإذن نحن بحاجه إلى عوامل وأسس لتهيئه أجواء السّلام والعداله والأمن وتحقيقها، و إنّ أقوى وأقدر عوامل السّلام والأمن هو الاهتمام والاعتماد على دور الدّين وما يمكن أن يقوم به فى هذا المجال.

إنّ الفرديّه والأخلاق المادّيّه تسوقنا نحو التّحلّل من المعايير والقيم الأخلاقيّه وفقدان الباعث على العفو والإيثار ورعايه حقوق الآخرين. وإنّ عدم وجود النّماذج السّلوكيّه والأخلاقيّه والدينيّه؛ يمهّد للاعداله والعنف والظّلم وإساءه استخدام السّلطه والانتهازيّه.

وإذا ما تمّت عمليّه العولمه من جانب واحد فإنّها ستؤدّى إلى التّباعد فيما بين المجتمعات المتقدّمه والمجتمعات المتخلّفه فى أبعاد متعدّده. وكلّ هذه الأزمات جاءت فى ظروف أراد الإنسان فيها صنع العالم بمعزل عن وجود الله والتّعاليم الدّينيّه، مع أنّه باستطاعتنا ملاحظه ما وفّرته الأديان من الحرّيّه المتساويه والمتكافئه والحياه العادله على مرّ التّاريخ وفى مختلف الظّروف.

ب) الإنجازات المعنويّه للدّين

۱. دور الدّين فی حلّ المشاكل الرّوحیّه للإنسان

إنّ الدّین یوفّر الحاجات الأساسیّه للرّوح و الحبّ والخلود علی وجه خاص. ویعتقد بعض الباحثین الدّینیّین أنّ للدّین دور نفسیّ مؤثّر فی مدّ الإنسان بالقوّه المعنویّه والمقاومه مقابل الأخطار الأخلاقیّه والاجتماعیّه.

ونظراً لهذا الدّور المؤثّر للدّین علی الرّوح والبعد النّفسیّ للإنسان فقد تسبّب فی انسیاق المعارف النّفسیّه نحو الدّین بشکل واسع وعمیق، فإنّ إحدی الحاجات الجدیده للإنسان الحدیث هی البحث التّوّاق للحصول علی معنی للحیاه، وإنّ هذه الظّاهره فی البحث للوصول إلی معنی من الممکن أن تقود کثیراً من الشّباب والأشخاص الّذین انحرفوا صوب طلب الملذّات الجسدیّه الزّائله أو وقعوا فی فخّ الفلسفات والمذاهب العرفانیّه والأدیان الجدیده؛ تقودهم إلی الاطّلاع علی التّعالیم المعنویّه والحیویّه للأدیان التّوحیدیّه وعلی الخصوص الإسلام، ولا ینجرّوا للوقوع فی فخّ المذاهب المبتدعه والمصطنعه والّتی لا تقوم علی أساس یرکن إلیه فی ظلّ بحثهم عن هذه المعنویّه. إنّ الأدیان المعنویّه والإلهیّه الّتی أخذت بعین الاعتبار الجوانب الفردیّه والاجتماعیّه والمادّیّه بشکل منطقیّ ومعقول یمکن أن تلعب دوراً مؤثّراً فی بلوره فکر وثقافه وأخلاق المجتمع.

ویعدّ معالجه الاضطرابات الرّوحیّه للإنسان من الهواجس الأساسیّه لعلماء الدّین، فهم یعتقدون بأنّ للدّین ید طولی فی حلّ مثل هذه المشاکل الّتی تعصف بالبشریّه.

یقول میلتون ینغر فی مقالته «الدّین والحاجات الفردیّه»: «إنّ الإنسان المعاصر یتّجه نحو الدّین لما یعایشه من ضغوط الغربه الرّوحیّه، الحیره

الإحساس باللا أمن، الإحساس بالعبث، الكآبه والوحده، والّتى أفرزها التّقدّم الصّناعىّ والتّغيير والتّحوّلات العميقه وما استتبعها من تغييرات فى البنى الاجتماعيّه والثّقافيّه، فأفراد المجتمعات الصّناعيّه الّذين يئسوا من الحضاره الحديثه فى حلّ مشاكلهم الرّوحيّه وللفرار والخلاص من العبث والكآبه اتّجهوا للبحث عن الدّين، وغدت الحركات الدّينيّه الّتى تدّعى قدرتها على الإجابه على حاجات الإنسان تواجه إقبالاً عامّاً منقطع النّظير».(۱)

۲. دور الدّين فى إعطاء الحياه بُعداً معنويّاً

يصف يونغ الدّين بأنّه إحساس الإنسان بوجود معنى أوسع فى الحياه. وفى رأيه أنّ التّجربه الدّينيّه جوهره ثمينه أكسبت الحياه معنى وفتحت نافذه للأمل والجمال، والّتى تستطيع أن تهب البشريّه عظمه جديده وتعطى الإنسان الإيمان والهدوء والاطمئنان. وبعد جرده منافع الدّين يقول: «فقط أولئك البُله والجهله هم الّذين يحاولون القضاء على الرّموز الدّينيّه».(۲)

فهل أنّ الدّور النفسى للدّين و فوائده يمكن الحصول عليها فقط من الفلسفه والعقل والعلم مع الإغماض عن الدّين فى هذا المجال؟ فى عقيده يونغ «لا يمكن توقّع أيّه مساعده من الفلسفه والعلم لعلاج الأمراض الرّوحيّه والآثار المخرّبه النّاجمه عنها. إنّ العقل البشرىّ لا ـ يمتلك لوحده القدره الّتى يستطيع من خلالها الوقوف بوجه هذا الخطر الفادح من حمم الغرائز والأنانيّه والاستبداد، أمّا النّظريّات العلميّه فهى تفتقد القيم والعقائد المذهبيّه الّتى تستطيع من خلالها القيام بهذا الدّور».(۳)

ص:۲۱۶

۱- (۱) آلستون، بيتر وغيره...، الدّين و الآفاق الجديده، ص ۱۵، «التّرجمه الفارسيّه لغلام حسين توكّلى».

۲- (۲) يونغ، علم النّفس والدّين، ص ۲۱۰، «التّرجمه الفارسيّه».

۳- (۳) المصدر نفسه، ص ۵۳، ۹۶.

٣. دور الدّين فی الأمن النّفسیّ

إنّ المناسبات والفعّالیّات المـذهبیّه علی العموم تهیّء ملجأً حیال متاعب الحیاه الیومیّه، ولکنّها من جانب آخر یمکن أن تکون منبعاً ذاتیّاً للاضطراب والقلق المـذهبیّ أیضاً. إنّ الـدّین یهیمن علی کثیر من الفعّالیّات الاجتماعیّه، فعلی سبیل المثال؛ أنّ التّهدیدات والمخاطر الطّبیعیّه یمکن تحمّلها وتعویضها عن طریق العقائد الدّینیّه.(١)

فالدّین بإمکانه إیجاد التّوازن فیما بین الثّقه والمجازفه، الأمن والخطر وذلک من خلال نمو المؤسّسات الاجتماعیّه الحدیثه.

فمع أنّ اتّخاذ الـدّین منحاً دنیویّاً؛ یعدّ موضوعاً معقّداً، ویبدو أنّه یؤدّی إلی فقد المـذهب رونقه وحرمته، ولکن مع ذلک فإنّ الـدّین سبق وأن أجاب عن الأسئله الوجودیّه فیما مضی، وبإمکانه الإجابه الآن أیضاً. فمع کلّ هـذا فإنّ أغلب نواحی الحیاه الاجتماعیّه الحدیثه لا تنسجم والدّین باعتباره مهیمناً وحاکماً علی الحیاه الیومیّه.

٤. الدّور النّفسیّ للدّین حسب وجهه نظر کارل غوستاف یونغ

یعدّد یونغ (٢) فوائد الدّین بهذا الشّکل:

١. إنّ للعقائد والمناسک الدّینیّه دور مؤثّر فی الصّحّه النّفسیّه والاطمئنان الرّوحیّ وإیجاد النّشاط وغرس الأمل لدی الإنسان.

٢. وعلی خلاف ما یعتقده البعض حول التّجربه الدّینیّه، فالّذی یخوض هذه التّجربه تجعله یشعر بأنّه ظفر بجوهره ثمینه ألا وهی اکتساب حیاته بُعداً معنویّاً حقیقیّاً. بل إنّ الدّین ذاته یعدّ منبعاً للجمال والحیاه ویکسی العالم والبشریّه عظمه ومهابه جدیده.

١- (١) یونغ، علم النّفس والدّین، ص ٢١٠، «التّرجمه الفارسیّه».

۳. إنّ الإنسـان بحـاجه ماسّه إلى أفكار وعقائـد ثابته ودائمه تجعل من حياته ذات معنى ومغزى وتهبه القـدره على الوقوف بوجه أشقّ المتاعب.

۴. إنّ الشّعور بمعنى أوسع فى الحياه يمكّن الإنسان من تجاوز قصر ذهنه على الكسب والاستهلاک، والحصول على بواعث أكثر أهمّيّه فى حياته، فالإنسان الّذى يفتقد هذا الشعور يعدّ فى الحقيقه إنساناً ضالّاً وخائباً.

۵. إنّ الرّمـوز الثّقـافيّه للأديـان والّتى مـازالت تتّخـذ صوراً طـائفيّه وتُقابـل برضـا وقبول المجتمعـات الحضـاريّه؛ بإمكانهـا إثـاره الانفعالات الحادّه والعميقه لدى الأفراد.

۶. إنّ العوامل الـدّينيّه تعـدّ من الأجزاء المهمّه للقاعده الذّهنيّه والقوّه الحياتيّه اللازمه لصـنع المجتمع الإنسانىّ، وأنّ عدم الاعتناء بها يؤدّى إلى خسائر لا يمكن تعويضها.

ويستنتج يونغ من ذلـک: «فقـط أولئـک البُله والجهله هم الّذين يحاولون القضاء على الرّموز الـدّينيّه» (۱). إنّ نمـو المعنويّه فى العـالم والاتّجـاه نحو المـذهب يتعـارض والنزعه المادّيّه. فمشـكله العولمه والوحـده العالميّه ووحـده الهويّه وأزمتها ونمو وتعزيز مكانه الدّين فى المجتمعات يدلّ على انهيار الرؤيه المادّيّه والعلمانيّه الغربيّه، ويمكن الإشاره إلى نماذج فى هذا السّياق:

۱. يقول ماديان ويليامسون أحد الكتّاب الأمريكيّين المشهورين:

«نحن نعـايش سـلوكيّات اجتمـاعيّه مرعبه نشـأت من اسـتبدال المحبّه بالمـال. فجميع الوسـائـل والآلات الّتى اخترعوها سـعوا من خلالها إلى تسليتنا وتخديرنا عمّا يجرى ويحيط بنا، وها نحن على حافّه الانهيار ونتّجه صوب الاستهلاكيّه والغفله عن السّياسه».

ويسـتمرّ فى مقالته: «ودخلنا فى سبات تامّ بتناولنا أقراص الكآبه، فنحن لا نريد الالتفات إلى أنّ مشاكلنا لا يمكن حلّها دون القيام بفعّاليّات روحيّه

ومعنويّه، فإذا لم نتّجه نحو المسائل الرّوحيّه والاعتقاديّه فإنّ التّجربه الأمريكيّه ستصل إلى نهايه الخط وستنهار أمريكا».(۱)

۲. ويقول ويليام سيمون أيضاً: «نحن بحاجه إلى المثّلث الأبديّ للأصول الأوّليّه لحل مشاكلنا الفعليّه»(۲) الّتى تتمثّل: بالحرّيّه، التّقوى، المذهب وكلّ منها بحاجه إلى الأخرى، فالحرّيّه بحاجه إلى التّقوى والفضيله والمذهب بحاجه إلى الحرّيّه.

۳. أمّا كلينتون، الرئيس الأمريكيّ السّابق، فهو فى رسالته المنشوره عام ۱۹۹۵ يؤكّد على: «أنّ المذهب يكسب الإنسان شخصيّه لا يمكن للدّيمقراطيّه الاستمرار دونها».

۴. وتؤكّد مؤسّسه هويتيج(۳) فى تقريرها على: «تأثير الفّعاليّات المذهبيّه على الاستقرار الاجتماعيّ وتعزيز المسائل الأخلاقيّه والتزام الأفراد بوظائفهم وانخفاض مستوى الجريمه». ج) نشوء الحركات الدّينيّه:

لقد تشكّلت فى العقود الأخيره حركات دينيّه جديده ومتعدّده، ويمكن عدّها جواباً على تهميش الدّين فى المجتمع وجعله عرفاً من الأعراف. وقد أسبغت هذه الحركات معنى وهدفاً واتّحاداً ودعماً على طوائف خاصّه من المجتمع، فيعدّ تشكّلها وحضورها اختباراً لعدم جداره وانسجام الأديان أو فعّاليتها فى الإجابه عن المعضلات المعاصره.(۴) فعلى سبيل المثال؛ برزت مدرسه التعدّديّه ردّا على احتكار واستبداد بعض الأديان، وجاءت موجه

۱- (۱) بيتر الستون وغيره...، الدّين والآفاق الجديده «التّرجمه الفارسيّه لغلام حسين توكّلى».

۲- (۲) المصدر نفسه.

۳- (۳) مؤسّسه هويتيج من المؤسسات الأمريكيّه المهمّه جدّاً والّتى تختصّ بالمطالعات الاستراتيجيّه والتّخصّصيّه.

۴- (۴) بايكين مارتيشارد، الدّين، هنا، حالياً، ص ۳۳، «التّرجمه الفارسيّه لمجيد محمّدى».

النّزعه المعنويّه والأصوليّه المذهبيّه فی مقابل النّزعات اللادينيّه وعمليّه جعل الدّين مسأله عرفيّه.

فالحركات الّتی ترتكز علی تعزيز (عالم الروح)، (المعنويّه)، الاتّجاهات العرفانيّه والفطريّه وتدعو لها؛ تمتلك القابليّه الكبيره علی الانتشار والتّعولم وبإمكانها الانسجام مع التّعاليم المذهبيّه، ويمكن التّكهّن بأنّ الفعّاليّات الإعلاميّه للأديان فی عمليّه العولمه ستتمّ من خلال الاستفاده من وسائل الاتّصال الالكترونيّه المتقدّمه، ويتكهّن البعض أيضاً بأنّ الأديان فی عمليّه العولمه ستكون (أدياناً دون هويّه وطنيّه).

ويكتب انتونی ماك غرو فی مقاله يتطرّق فيها لتحليل مستقبل الأديان فی عصر العولمه قائلاً: «هناك احتمال بترافق تغيير التّعاليم والشّعائر والرّسوم المذهبيّه مع حدوث تغييرات فی الأديان».(۱) ويسمّی هذه الظّاهره (التطابق الحديث).

ج) دور الدّين فی نموّ ورقیّ الفكر البشریّ

اشاره

۱. إنّ الإيمان الدّينیّ هو أحد الأسرار المغلقه والمرافقه لرفعه الإنسان، ويدلّ علی الاتّجاهات الرّوحيّه والمعنويّه للإنسان. ولأجل بيان الشّوق النّهائیّ للإنسان لا يمكن العثور علی أفضل من حديث كلان اغوستين الّذی يقول فيه: «ما دام قلبنا لم يستقرّ فيك فليس له قرار».(۲)

مع أنّ موضوعنا الأساسیّ ليس هو تحليل عمليّه النّموّ الدّينیّ، ولكنّ تحليل هذه المسأله له أهمّيّه قصوی فی مختلف المجتمعات. فكلّما دخلت المنظّمات الدّينيّه فی نزاع مع المؤسّسات التّقليديّه والحديثه، سواء تمّ ذلك

۱- (۱) محسن الويری: الدّين والعولمه، الفرحی والإشكاليّات (مجموعه مقالات المؤتمر ۱۶ للوحده الإسلاميّه).

۲- (۲) المصدر نفسه.

بصوره خفيّه أم علنيّه؛ فسيكون لـذلك دور فى الحياه الدّينيّه. فإنّ إحدى أسباب رمزيّه النُظم الدّينيّه وظهورها بأشكال مختلفه وكون التّنظيمات والرسوم المـذهبيّه أكثر تعقيـداً أو حتى ظهورها بشكل متجدّد وتحديث الفكر الدّينىّ؛ هو للحفاظ على وجود الدّين واستمرار حياته فى المجتمع.

ومن جهه أخرى فإنّ بعض الشّعائر الـدّينيّه والشّعارات الّتى تمثّل نوعـاً من الرّدّ والآمـانى والخلاص من الظّلم والوعـد بالنّجاه والتّبشير بالسّلام والعداله والحرّيّه؛ تبين أنّ الـدّين فى مواجهته للمعوّقات والموانع الّتى تعترضه يلتجأ إلى ملاجئ صوريّه كالمعابد والأمكنه الخاصّه، وكلّما وُجد طريقاً للنّموّ والدّعوه قفز إلى الواجهه وتوسّع وكان أكثر رونقاً فى المجتمع.

إنّ مطالعه تاريـخ الدّين بمجموعه العامّ، يشير إلى الأبعاد الواسعه والمذهله للاتّجاهات الدّينيّه والعرفانيّه للإنسان الّتى تتمثّل فى قالب الأديان والمناهج المذهبيّه.(۱) فمع أنّ أتباع أىّ دين يتفاوتون فى مقدار ونوعيّه تجاربهم الدّينيّه وكذلك فى بيانها ولكن أصل هذا الاتّجاه يعدّ أصيلًا و خالداً.

۲. أنّه كان عاملًا مقتدراً فى تشكيل المؤسّسات والمنظّمات الإنسانيّه وكذا عاملًا مؤثّراً فى هدم وإزاله بعض التّقاليد والتّنظيمات غير العقلائيّه وغير الإنسانيّه.

۳. إنّ أرفع وأكمل المفاهيم الاجتماعيّه والّتى تتميّز بصفه عالميّه عامّه لا يمكنها الانتشار إلّا عن طريق تعميم وتعميق التّجارب الدّينيّه، فى حال أنّ الدّنيويّه أحيطت بغموض وإبهام كبير بالنسبه للإنسان المعاصر منذ تاريخ ظهور وتكامل هذه المفاهيم والعقائد.

۴. إنّ الـدّين دون ذلك المستوى الّذى يحاول إثباته منتقدوه من أنّه ظاهره إشراقيّه وفرديّه. فمن خلال مطالعه التّاريخ غالباً ما نصطدم باتّجاهات

۱- (۱) يواخيم واخ، علم الاجتماع الدّينىّ، ص ۳۸۰ «التّرجمه الفارسيّه لجمشيد آزادكان».

وحركات بعنوانها انعكاسات ومظاهر اجتماعيّه ودينيّه واسعه تظهر فى الأفكار والعواطف الدّينيّه للنّاس بشكل جماعىّ ومنظّم.

ومن هنا؛ فإذا حاولنا تصوير الغايه من الـدّين بأنّها مجرّد إقامه الشّعائر والحفاظ على المظاهر الدّينيّه والتّفسـير الميتافيزىّ للظّواهر الخارجيّه والعلميّه، فإنّ الإنسان التّجربىّ والعلمىّ لهذا اليوم سوف لا يعير لهذه العقائد الصّوريّه الّتى تسـلب منه الفكر الحرّ واتّباع الأساليب العلميّه؛ أيّه أهمّيّه وسيستمرّ فى طريقه المعهود.

أمّا إذا صوّرنـا تلـك الغايه بأنّها الإيمان بخالق عظيم للوجود والوظائف الإنسانيّه العليا والإيثار فى طريق ارتقاء الحياه الاجتماعيّه والمعرفه الحقيقيّه لعالم الوجود، فيمكننا عندها أن نقول بجرأه: بأنّ الدّين له مسـتقبل زاهر ومشـرق. فالدّين من خلال هذه النّظره المؤسّساتيّه القويّه والمتقدّمه بشكل مؤثّر ومنسجم مع المظاهر الجديده للعلم والتّقنيه؛ يمكنه أن يكون عاملاً تربويّاً وتعليميّاً مهمّاً فى مجالات العلم، الفن، التّاريخ، السّياسه والاقتصاد.

۵. فى عقيـده المفكّرين الدّينيّين أنّ قدره الدّين فى مجال توفير الحاجات الإنسانيّه وإنقاذ البشـريّه من العدميّه والثّقافات المضادّه للدّين؛ بعثت بعض المنظّرين أمثال جان هاك، حسين نصر وآخرين على محاوله عرض قراءه جديده للدّين يفسّرون فيها التّعاليم المعنويّه والقدسـيّه للـدّين والإلهيّات تفسـيراً عالميّاً مع إقرارهم التّقدّم العقلانىّ والعلمىّ. فهذه الطّائفه مع إيمانها بالتّأثير المتبادل فيمـا بين هاتين العمليّتين وكـذا مصـير المجتمع البشـرىّ؛ تؤكّد أنّ العولمه بإمكانها أن تكون ذات تأثير إيجابىّ فى إحياء الهويّه الدّينيّه وبقاء وانتشار الدّين.

۶. ينبغى على الـدّين أن يُحدث نزاعاً فيما بين الأولويّات الحياتيّه لعالم اليوم وبين القيم الفعليّه الحاكمه فيه كالنّزعه الاسـتهلاكيّه والمادّيّه الّتى تعدّ قيماً علمانيّه تتعارض والدّين.

۷. إنّ الـدّين مسؤول عن تغيير الوضع غير المناسب للمجتمعات البشريّه وتخليصها من الانحرافات ودعوه الإنسان إلى النّموّ العقلانيّ والمعنوی والّذی يستلزم إعراضه عن الثّقافه العلمانيّه والنّزعه الإنسانيّه المحرّفه والاستهلاكيّه غير العقلانيّه وأداتيّه العقل.

إنّ وظيفه الدّين هی محاربه الشّعور بعدم الحاجه إلى الله والحسّ الفرعونيّ والشّعور بالاستغناء والغفله عن مبدأ الوجود.

وبعد أن بيّنا المسائل المتعلّقه بضروره الدّين ومكانته فی عصر الحداثه والعولمه نطالع التأثير المتبادل فيما بين الدّين والعولمه:

دور الدّين فی عمليّه العولمه

يمكن ملاحظه تأثير العولمه على الدّين فی ثلاثه اتّجاهات:

۱. بإمكـان العولمه أن تتسبّب فی إحـداث تغييرات داخليّه فی الـدّين، ويبيّن جـان هـاك ذلـك: بـأنّ التّقـدّم التّاريخيّ والعولمه بإمكانهما إحداث تغييرات فی المبادئ الكلاميّه للدّين.

۲. وعلى خلاف القـول المتقـدّم يرى السّيد حسين نصر، بـأنّ العـولمه والتّقـدّم التّاريخيّ ليس باستطاعتهما إحـداث تغيير فی مجموعه القوانين الكلاميّه والإلهيّه للدّين.

۳. باستطاعه العولمه تعزيز التّعامل والعلاقات الثّقافيّه فيما بين الأديان.

۴. بإمكان العولمه أن تؤدّی إلى تبلور إلهيّات عالميّه وتعـديل ادّعاء الشّموليّه والاستبداديّه الّتی تنسب إلى الـدّين. وقد طُرحت فی هذا المجال نظريّه (الإلهيّات العالميّه) لجان هاك الّتی يمكن تلمّس جذورها فی التّقدّم التّاريخيّ للأديان.

ففی عـالم اليوم لا يمكن الاقتصار على تصـديق دين مـا والإغماض المطلق عن باقی الأديان. فالمواصلات الحـديثه، السّياحه، التّبادل الجامعيّ،

الهجره، المعاملات الدّوليّه؛ دعت أتباع الأديان المختلفه إلى التفات أحدهم للآخر وأخذه فی الحسبان، فالعوامل الآنفه تعدّ أكثر تـأثيراً من الإعلام المـذهبيّ في هـذا المجـال، مع ما للاختلاط الثّقافيّ الحـديث الّـذی هو الوجه المميّز للقرون الأخيره من تأثير مباشـر فيما بين الأديان والّـذی يمكن تتبعه على مرّ التّاريـخ، وقد اتّخذت هذه التّأثيرات والعلاقات الدّينيّه شـكلاً حديثاً فی عالم اليوم.

ومع غضّ النّظر عن أدلّه حقانيّه أيٍّ من الأديان وصـدق ادّعاءاته فإنّ العلائم والجوانب المختلفه لدين ما أو للأديان المختلفه فی المجتمعات التّقليديّه والحديثه والمجتمعات اللادينيّه والعلمانيّه أو المتديّنه؛ كانت موجوده ولازالت.

«وقـد تبلورت الأديان تاريخياً على شـكل ثقافات فلـذا كان فصل العقائـد الـدّينيّه عن الأعراف الثّقافيّه أمراً عسـيراً جدّاً، فالأنظمه الدّينيّه هی مجموعات معقّده نمت وتكاملت ضـمن مراحل تاريخيّه طويله».(۱) والتّاريـخ الدّينیّ للعالم يعدّ بمثابه تاريخ واحد لا يتجزّء، فالأديـان المتعـدّده تمثّل مجموعه ذات أجزاء متجـاوره؛ ولكن هـذا لا ـ يعنی أنّ المفـاهيم العـامّه الموجوده تتعلّق بجميع الأديان، وأن نتّخذ اتّجاه النّسبيّه التّصوريّه؛ وإنّما اتّجاهاً علميّاً واضحاً. ونظراً للتّشابه الموجود فيما بين الأديان يمكن القول بوجود دين عالمیّ يشترك فيه جميع النّاس على طول التّاريخ، كما أنّه يمكن الادّعاء بوجود علم عالمیّ ساهم فيه جميع النّاس.(۲)

مسار تطوّر وتكامل الأديان

لقـد اقتربت أغلب الأديـان فی العقود الأخيره من الوصول إلى العبوديّه التّوحيـديّه والاتّجاه نحو فكره الإله الواحـد (الله الأفضل). حيث اعتبرت فيه

۱- (۱) مايكل بترون، العقل والاعتقاد الدينیّ، ص ۴۲۲، «التّرجمه الفارسيّه لأحمد نراقی».

۲- (۲) المصدر نفسه، ص ۴۲۴.

الآلهه الآخرين مجرّد مظاهر لذلك الإله الواحد. فالمسيحيّون والبوذيّون على السّواء يعتقدون بإمكانيّه تصوّر وجوده المطلق. فهم فى الواقع يعتقدون بالله الأحد الحقيقىّ. ويتّفقون جميعاً على أنّ (الله واحد) ولكن عُبّر عنه بأسماء متعدّده فى اللّغات والثّقافات والأديان:

عباراتنا شتّى وحسنك واحد والكلّ إلى جمالك يشير

ولو نظرنا إلى التّطّورات الدّينيّه فسنواجه ما ينمّ عن تأثير التّطوّرات العلميّه والتّقدّم البشرىّ على القضايا الأخرى، وهذا ما يصدق على الدّين. فنمو العقلانيّه البشريّه واكتشافاتها الهائله على صعيد العلم المعرفىّ، معرفه الإنسان، علم النّفس والمجتمع والتّاريخ؛ عزّزت من تأثيرها على الدّين، ولكن من جهه أخرى؛ يمكن ملاحظه التّأثير العميق للنّزعه العلميّه والحداثويّه فى المجتمعات المختلفه على الهويّات الدّينيّه. فقد تسبّبت الثّوره والنّهضه العلميّه فى بلاد الغرب فى عزله الدّين وإنزوائه عن التّدخّل فى كثير من الأمور السّياسيّه والاقتصاديّه والاجتماعيّه والفرديّه... الخ.

مستقبل الدّين

لو تتبّعنا مكانه الدّين فى الحضارات والثّقافات والدّور الّذى كان يمارسه فى التّاريخ لأمكننا رسم هذه الصّوره لمستقبل الأديان:

١. إنّ الّذين يتخيّلون الأديان بأنّها مجرّد طقوس خرافيّه يتكهّنون بزواله تدريجيّاً من واقع الحياه. ولكنّ الّذى يضمحل على المدى البعيد هو هذه الاتّجاهات الخرافيّه؛ أمّا الدّين ذاته فإنّه يتبلور ويتجسّد على مستوى أرفع من هذه الاتّجاهات.

٢. البعض الآخر ومن خلال ملاحظتهم خيبه المادّيّه يعتقدون بأنّ المستقبل سيكون مترافقاً مع عوده الرّوحانيّه (المعنويّه). ويستدلّ هذا البعض

على واقعيّه هذه المسأله بانتشار الصّحوه الإسلاميّه والحركات الأصوليّه والمعنويّه الجديده.

۳. النّظريّه الأخرى تقول بأنّ تمخّض ثقافه دوليّه سيهيّء الأرضيّه لتوافق الأصول الدّاخليّه للأديان شئنا أم أبينا. فبدل أن ترتبط أيّه ثقافه كانت بدين ما على وجه التحديد، فسيختار كل فردٍ وبشكل حرّ الدّين الّذى يناسبه. إنّ هذه النّظريّه فيما لو تحقّقت فستمهّد الطّريق وإلى حدّ كبير إلى تنوّع الاتّجاهات الدّينيّه فى مجتمع ما.

فالدّين ولأجل بقائه واستمراره بحاجه إلى نوع من التّحديث والتّعامل مع عالم اليوم، العالم الّذى يعتقد فيه الإنسان بأصاله العلم. ومن الطّبيعىّ أن يتّخذ هذا التّحديث أساليب متنوّعه ويبلور ظرفيّته للانسجام مع العصر الحديث. ويعقد الصّله فيما بين الحفاظ على الأصاله والعوده إلى المنابع الأصيله له وبين احترام العلم والحرّيّه الفكريّه للإنسان، وفيما بين الحقيقه وواقعيّه العالم الجديد، وفيما بين الثّبات والتّغير، فإنّ الفلسفه والعلم والمكاسب العلميّه من الشّؤون الفكريّه والشّعوريّه الضّروريّه للإنسان ولا يمكن له العيش دون علم وفلسفه أو دون شعور وتجربه وعقل. وكذا لا يمكنه الغفله عن مكانته الأزليّه والأبديّه، المبدئيّه والغائيّه وتجاهلها. فعلى البشريّه إذن أن تسير فى اتّجاهين فى حياتها ووجودها؛ اتّجاه معرفه الوجود ومعرفه العالم واتّجاه معرفه الغايه أو معرفه المبدء.

الأديان العالميّه

ماهى المعايير الّتى يمكن من خلالها اعتبار الدّين عالميّاً؟ فلأجل أن يكون الدّين عالميّاً ينبغى توفّر معايير معيّنه فى هذا السبيل:

۱. مميّزات أصول وتعاليم ذلك الدّين.

۲. حجم أتباع ذلک الدّین یعدّ من المؤشّرات المهمّه علی ذلک، ولکن لیس مؤشّراً فاصلا.(۱)

ولکن بما أنّ النّظره الحالیه إلی الفرد تولیه مکانه خاصّه فی البناء الـدّینیّ والثّقافیّ والاجتماعیّ، وکذلک بسـبب تفرّق أتباع دین ما فی طوائف ومجتمعات مختلفه، فلذا لا یمکن الإغماض عن دور الفرد فی عملیّه نموّ وانتشار ذلک الدّین.

۳. علاقه الدّین بمؤسّـسات السّلطه (المؤسّسات الاجتماعیّه، الثقافیّه، السّیاسیّه والحکومیّه) یمکن أن تؤثّر علی عملیّه عولمه ذلک الدّین.

ویمکن تصوّر عدّه صور لعلاقه الدّول بالدّین فیما لو لم تکن ولیده المؤسّسه الدّینیّه:

۳-۱. من الممکن أن لا تعیر أهمّیّه للدّین.

۳-۲. من الممکن قبولها الدّین الجدید لبواعث وأسباب خاصّه وتسعی لنشره وترویجه.

۳-۳. من الممکن أن تعرّف وتحدّد الدّین علی نطاق ضیّق.

۳-۴. من الممکن أن تعتـبره مرفوضـاً وتضـع المعوّقـات والعراقیـل لانـتزاع حرّیّته فی العمـل وتقف فی طریق فعـالیّته ونموّه، وقد یختصّ ذلک بأحد الأدیان أو یشمل جمیعها.

۴. المعیار الآخر لتحدیـد الـدّین العالمیّ هو النظر إلی دوره فی تکامل السـلوک الإنسانیّ، وأثر ذلک فی ثقافه وسـیاسه وأخلاق المجتمع.

۵. الاحترام الّذی یکنّه أتباع باقی الأدیان لذلک الدّین، فهل ینظرون إلیه باعتباره مقدّساً ویستحقّ الاحترام أم لا؟

۱- (۱) یواخیم واخ، علم الاجتماع الدّینیّ، ص ۲۹۷، «التّرجمه الفارسیّه لجمشید آزادکان».

۶. تقویم قابلیّته العالمیّه؛ نظرته إلی العقل البشریّ والمکاسب العلمیّه والقیمیّه الّتی یعطیها للعقل وحرّیّه الإنسان. فإذا أردنا تقویم الأدیـان الفعلیّه الّتی تـدعو إلی العـالم الشّـمولیّ حسب معاییر العقلنه، فینبغی وبعیـداً عن الانحیاز، الاقتصار علی مطالعه النّصوص الأساسیّه للأدیان الکبیره، والتأمّل التاریخیّ فی اتّجاهات کلّ منها؛ لیکون تقویمنا والحکم علیها موضوعیّاً.

۷. نظره الأدیـان للإنسـان؛ إنّ تعـالیم الأدیـان المختلفه تقسّم وظائف الإنسان إلی مجموعتین رئیسـیّتین: وظائفه تّجاه الله ووظائفه تّجاه أبنـاء جنسه، ویحوز هـذا الأـمر أهمّیّه قصوی فی تقـدّم عمـل الأدیـان الکبیره،(۱) فمـن المهمّ معرفه کیفیه اعـتراف الـدّین بحقوق الإنسان الآخر، وما هو حجم الکرامه الّتی یولیها للإنسان.

۱- (۱) المصدر السّابق، ص ۳۸۲.

۶: علاقه العلم والدّين

اشاره

واجهت مسأله قدره العلم على عرض صيغه واقعيّه عن العالم تشكيكاً فی الآونه الأخيره. فقد أصبحت فكره أنّ العلوم الطّبيعيّه تستطيع نوعاً ما الحلول محلّ الله فی حاجه الإنسان إليه، رماداً تذروه الرّياح. فالتقدّم العلمیّ فی القرن العشرين أوجد أجواءً أكثر مناسبه للارتباط بالتّقاليد الدينيّه.(۱)

وعاد الدّين فی المجتمعات الحديثه وعلى خلاف المجتمعات التّقليديّه ليلعب دوره الواقعیّ بعنوانه منظّمه للمجتمع المدنیّ، ولم يعد لادّعاء العصرنه بأفول دور الدّين ذلک البريق السّابق، بل إنّ النّزعه الدّينيّه توطّدت وتعزّزت.(۲)

وقد تسبّب التّنافس الدّينیّ النّاجم عن النّموّ العالمیّ العصرانیّ والعولمیّ؛ فی ازدياد التّرابط الزّمانیّ والمكانیّ بين أتباع المذاهب المتعدّده على المستوى العالمیّ. وتهيّأت الأرضيّه المناسبه والإيجابيّه للحصول على معلومات أكثر حول مفاهيم وتعاليم وممارسات كلّ دين من الأديان «إنّ تجلّی وتجسّد التّعارضات الثّقافيّه الّتی تختصّ كلّ واحده منها بمطالبها وأرضيّتها الخاصّه بها هو فی الحقيقه

ص:۲۲۹

۱- (۱) . Religion and science ed. mark Rickard and Wesley j.Wildman p ۶.

۲- (۲) نقد حول نظريّه صراع الحضارات، ص ۹۷، «باللّغه الفارسيّه».

تضادّ فيما بين الثّقافه الغربيّه والشّرقيّه فى مفهومه العامّ؛ فإنّ اطّلاع الإنسان المعاصر أعدّ الأرضيّه للقبول بالثّقافات القويّه بشكل معقول، ولكن هل أنّ الانتخاب المتدبّر يشمل جميع الوجوه الثّقافيّه».(١)

يرى هنتيغتون أنّ مقياس نموّ المسيحيّه والإسلام على أساس المعايير الإحصائيّه يؤشّر على النّموّ والانتشار، ويستنتج بأنّ هذه المنافسه والصّراع جدّىّ، وستؤول هذه المنافسه إلى صالح أتباع الإسلام. ويُرجع تفوّق الإسلام على غيره من الأديان إلى سببين:

١. العقائديّه، ٢. التّناسل.(٢)

فمع أنّ نظريّته تلك لم تحظ بالقبول فى أسسها العلميّه، ولكن أساس هذا التّضاد فعلىّ وجدّىّ، لأنّ: «سبب الافتراق والتّمايز الثّقافى فى العالم الحديث لا يقتصر على الدّين، وإنّما هناك عوامل أخرى كاللّغه، النّسيج الاجتماعىّ، الثّقافه، التّاريخ، القوميّه والبنى السّياسيّه... الخ؛ تتدخّل فى ذلك».(٣)

إنّ الأديان السّماويّه وعلى الخصوص الإسلام تبحث عن حياه خالده وسرمديّه للإنسان وعن علاقته بما وراء الطّبيعه، وهذه المسأله ليس لها علاقه بالعلم والصّناعه والتّقدّم والتّنميه؛ أى أنّ ساحه وموضوع العلم هو الافتراضات والقوانين العلميّه والأساليب التّجربيّه والأمور المتعلّقه بالحياه المادّيّه للإنسان وأسرار عالم الطّبيعه. فالعلم بأسلوبه الخاصّ فى التّحقيق ليس له حقّ فى إبداء وجهه نظره فيما وراء المادّه أورفضها وقبولها. أمّا الشّبهات الّتى تُطرح فى هذا المجال وتضع الدّين فى مواجهه العلم أو العقل وإلقاء تبعات تخلّف المجتمعات الدّينيّه على الدّين؛ فهى أحكام جزافيّه لا أساس

١- (١) المصدر نفسه.

٢- (٢) المصدر السّابق، ص ٨٠.

٣- (٣) المصدر نفسه، ص ٨٠.

لها وليست من شأن العلم ونطاقه، أمّا انحراف الباحثين الشّباب عن الـدّين و الأخلاق فهو ليس من مسؤوليّه الـدّين، بل إنّ الدّين فى ذاته ليس له أىّ تعـارض وتضـادّ وعـدم انسـجام مع العلم والعقلانيّه والفطره والقوانين الطّبيعيّه. ويشـهد على هـذا الادّعاء أنّ انشداد الإنسان إلى الأصول العلميّه ليس مطلقاً وتامّاً. فلم يكن للعلم أىّ دور فى الأضـرار الّتى أصابت البشـريّه. ولـم يتمّ أىّ نهب وتخريب تحت ضوء هـذا المصـباح! ولأجـل إدراك العلاـقه الأـدقّ فيما بين الـدّين والعلم ينبغى ملاحظه مقـدار تأثير العلم على المعتقدات الدّينيّه، فهل أنّ العلم يدعم مثل هذه الاعتقادات أم أنّه يبطلها وينفيها؟ وهل أنّ الأديان ساهمت على السّواء فى نشوء العلم ونموّه أم أنّهـا أوصـدت البـاب دونه؟ وهـل بإمكـان العلم القيـام بـدور الـدّين؟ وإذا كـان كـذلك فهـل يمكن إثبات قيمه والتزامـاته الغـائيّه عن طريق عمليّات البحث التجريبىّ؟ وبعبـاره أخرى، هـل يسـتطيع العلم إضافه إلى توفيره الأدوات والأساليب؛ تحديـد قيمه الأهداف؟ وهل أنّ الافتراضات الأساسيّه للعلم هى فوق التّجربه كما هو الحال فى الدّين ولا يمكن تأييدها أو نفيها عن طريق أساليب العلوم التّجربيّه؟

ففى الواقع إنّ العلاقات المنطقيّه لأسـس العلم والـدّين لا يمكن تحديـدها وفق ضوابط معيّنه؛ لكون الأديان ونظراً لتنوّع ماهيّاتها واختلافاتهـا الأساسيّه فى المجـال المعرفىّ ومعرفه العـالم ومعرفه الإنسـان؛ لا تقيم علاقه متكافئه مع العلم. فلو أخـذنا على سبيل المثال؛ الأديان الشّعائريّه الّتى تقدّس رموزاً وطواطم خاصّه وتحوى مزيجاً خرافيّاً أكبر، فهذه الأديان يمكنها إقامه نوع من العلاقه مع العلم.

ولكنّ الأديـان الّتى تعتمـد الوحى تتمحور حول العلم والعقـل والبصـيره الإنسـانيّه وتقيم علاـقه معقوله ومنظّمه ومكمّله مع العلم. ومن جانب آخر يمكن القول: إنّ الأديان العرفانيّه كالنّحل العرفانيّه المسيحيّه، والبوذيّه وطرق

التّصوّف الإسلامیّ الّتی تتّبع أسلوباً خاصّاً؛ لا ترتبط بعلاقه وثیقه مع العلم. فبعد هذه المقدّمه یأتی دور الکلام حول الرّوابط المحتمله فیما بین العلم والدّین.

فأحد الآراء یعتقد بأنّ الدّین والعلم منسجمان مع بعضهما من الأساس ویسیران فی طریقین متوازیین باتّجاه الحقیقه، أو أنّ کلّ منهما له طریقه فی الوصول إلیها. وفی رأی القدّیس توماس «إذا کان الإنسان یمتلک علماً واطّلاعاً کافیاً فلن یلاحظ أیّ تعارض واختلاف فیما بین العلم والدّین».

ویمکن أن تکون وجوه الانسجام فیما بین العلم والدّین متنوّعه ومتعدّده. ففی إحدی صورها هو انصباب سعی الاثنین نحو إدراک حقیقه العالم وجوهر الذّات، ولا یمکن ملاحظه الفرق فیما بین بحثهما وسعیهما. وکما یقول کانت: «إنّ الاختلاف فی نظرتنا إلی العالم هو النّظر إلی العمق والظّاهر، فالعلم یحاول کشف الحقیقه عن طریق معرفه حقیقه الظّواهر، ولکنّ الدّین والمیتافیزیّه تحاول ذلک عن طریق معرفه جوهر وذات وحقیقه الأشیاء، ولکون العالم لیس جوهراً قائماً فی ذات، فیتوصل الأسلوبان إلی الحقیقه ذاتها فی نهایه المطاف».(۱)

إنّ إحدی الأسالیب والمساعی لحل الخلاف والصّراع فیما بین العلم والدّین هو افتراض عدم الارتباط التّام فیما بین الاثنین، فالعلم یرتکز علی العقل، فی حال أنّ الدّین یرتکز علی الإیمان. ولا یمکن الإغماض هنا عن احتمال قول القائل: إنّ أسس الاستدلال للمعرفه الدّینیّه یفترق بشکل تامّ عن عملیّات تقویم المعرفه غیر الدّینیّه.(۲)

فالاستدلال الدّینیّ ینشأ من التّجربه الباطنیّه، ومن هنا فلا یستطیع العلم الوصول إلی غایه وحقیقه منطق الدّین.

۱- (۱) هوبرماس: العولمه ومستقبل الدّیمقراطیّه.

۲- (۲) آلستون، بیتر وغیره...، الدّین والآفاق الجدیده، ص ۹۰، «التّرجمه الفارسیّه لغلام حسین توکّلی».

مکانه العلم فی المجتمعات الدّینیّه

کـان العلم فی المجتمعـات الـدّینیّه تـابع علی الـدّوام للـدّین والفلسـفات الشّـائعه، فـالعلم لم یصـل مطلقـاً إلی ذلـک الاسـتقلال والتّصرّف الّذی وصله فی الغرب، وطغی فیه علی الدّین والفلسفه، وجعل من الإنسان المالک الأوحد للعالم، أمّا العالم فی الشّرق فلم یصبح دنیویّاً مطلقاً، ولکنّه یری نفسه مرتبطاً علی الدّوام بالرّوح الحاکمه علیه وبما وراء الطّبیعه، ویری الدّین بأنّ العالم ما هو إلّا تجلّیاً للفیض الإلهیّ.

فلذا فهو لا یری له مساراً وعملیّه تحرفه عن ذلک. فالفلسـفه الغربیّه ابتنیت علی فکره التّصدیق العقلیّ والاتّجاه العینیّ، ولکنّها فی الشّرق ارتکزت علی المکاشـفه والإیمـان وکـان لهـا دائمـاً وجهـاً غیبیّاً ومـا فوق المـادّیّ. ففی الغرب تختلف الأسـالیب العلمیّه والفلسـفیّه والأیـدیولوجیّه والنّظم السّیاسـیّه والاجتمـاعیّه اختلافاً أساسـیّاً عنها فی الشّـرق والمجتمعات المـذهبیّه. فمرجعیّه الإراده البشـریّه، إعطاء العلم وزناً أکثر من الحدّ اللازم، عدم السّـماح للقوی الغیبیّه بالتّدخّل فی الحیاه والمصیر البشریّ، محوریّه الإنسان وحرّیّتـه المطلقـه فی التّـدخّل والتّصـرّف والبحث فی الطّبیعه؛ تعـدّ من ممیّزات الثّقـافه الغربیّه. فلـذا یمکن تحدیـد خصوصـیّات الحضاره الغربیّه بالشّکل التّالی:

۱. تقنیه الفکر وتقنینه.

۲. النّظره المادّیّه والمیکانیکیّه للعالم وجعله دنیویّاً.

۳. تطبیع الإنسان (من مصادیق الطّبیعه).

۴. محاربه الأسطوره والهبوط عن مستوی الغائیّه والأخرویّه إلی طبیعه الحیاه المادّیّه والنفعیّه فی اتّجاهات العلم الغربیّ.

ص:۲۳۳

مكانه الدّين فی عصر العلم

إنّ الإطاحه بظروف ومقتضيات الزّمان يعدّ من أكثر العوامل أساسيّه فی انسجام الدّين مع التّقدّم العلمیّ وعمليّه التّنميه. فهو من مستلزمات احتفاظ الدّين بقدرته، وصيانه الشّريعه داخليّاً واستعداده لتحمّل المسؤوليّه وفتح عيون أتباعه علی آفاق وطرق واضحه فی عالم التّقدّم العلمیّ. ومع أنّ الدّين بإمكانه التّأثير فی تعزيز أو تضييق أو إبطاء نمو التّقدّم العلمیّ، ولكنّ حاجات ومقتضيات الحياه البشريّه وضروره سيرها التّكاملیّ توجب إدامه هذه المسيره، وأنّ معارضه القائمين علی الدّين للعقل الحديث والتّطوّر البشریّ المتنامی يؤدّی إلی إيجاد شرخ وبعد عن الدّين وكراهيّته باعتباره عائقاً دون التّطوّر، وإلی انعكاسه بشكل، كالّذی يحاول أن يفسّره علماؤه والقائمين عليه، وليس بعنوانه حقيقه إلهيّه فيكون معرضاً للنّقد والانتقاد. ومن هنا يحاول العلماء غير الدّينيّين قراءه الدّين بشكل يؤهّله للانسجام والتناغم مع الأصول العلميّه. وهذا ما أدّی لعرض قراءات متنوّعه عنه علی مرّ التّاريخ.

وكما أنّ الاتّجاهات المنظّمه للنّزعه الطّبيعيّه والفلسفه الوضعيّه وإجراءات الشيوعيّه والعلمانيّه اللادينيّه لم تتمكّن من عزل المذهب عن حياه النّاس، فكذا الأنظمه الليبراليّه والاتّجاهات الغربيّه الأخری المنظويه تحت لافته العلميّه أو العقلنه أو العصرنه أو العولمه؛ لا تستطيع بدورها ملء فراغ حضور الدّين وعزله عن واقع الحياه. فلا يستطيع أیّ بديل مصطنع انتزاع الدّور الّذی يقوم به الدّين.

۷: علاقه الدّين والعصرنه

اشاره

إنّ الادّعاء الّذى يقول بعدم قابليّه الدّين للانسجام مع عناصر العصرنه وأسسها ومكاسبها؛ فلذا ينبغى تأويله وتطويره حسب قراءات وتفسيرات حديثه أو إبعاده من الأساس عن التّدخّل فى الشّؤون الدّنيويّه والحكوميّه والمؤسّسات المدنيّه والاجتماعيّه وغضّ النّظر عنه؛ إنّ هذا القول يعدّ قولاً مغرضاً وغير منصف فيما يتّصل بالإسلام وناجم عن الجهل بأبسط أسس الرؤيه العالميّه والمعرفيّه للإنسان وتعاليم الإسلام، ومع الإغماض عن المستلزمات والنّتائج المرفوضه لهذه النّظريّه ينبغى عدّ هذه الرؤيه تعميماً للتّجربه غير الموفّقه والخائبه للغرب والّتى يطبّل لها بعض مقلديه.

وبحسب تعبير الأستاذ مطهّرى: «كان العلم قبل حدوث النّهضه الصّناعيّه والتّنويريّه فى خدمه الحقيقه وغدا اليوم فى خدمه القوّه ورأس المال والمصالح المادّيّه. وهذا ما تسبّب فى فقد قداسته وخلعه لوجهه السّماوىّ واصطباغه بصبغه الأرض والمادّه، فغدا مجرّد وسيله لاكتشاف الطّبيعه وتذليلها والاستفاده القصوى منها، ويقول بيغن: «العلم للقوّه وفى خدمتها». فلم يأت زمن على الدّنيا كان العلم فيها أسيراً بهذا القدر وبهذه الدّرجه من خدمه المستبدين والطّغاه.(۱)

ص:۲۳۵

۱- (۱) مرتضى مطهّرى، الفكر الفلسفىّ الغربىّ، ص ۱۳۱، موجزاً.

فینبغی النّظر فی النّسبه بین هـذا الاتّجاه وموقف الـدّین من العلم، وهل أنّ وصایا القرآن والنّصوص الـدّینیّه فی الدّعوه إلی العلم والتّعقّل والتّـدبّر والتّفکّر والحکمه لم تکن دعوه إلی مثـل هـذا العلم؟ من الواضـح أنّ مثل هـذا الاتّجاه لا یرتضـیه الإسـلام ولا ینسـجم مع التعـالیم الـدّینیّه بـأیّ حـال من الأـحوال. فکما أنّ العلم الغربیّ یبتنی علی أسـس الفلسـفه العصـرانیه والنّزعه الإنسانیّه الغربیّه، فالعلمیّه الإسلامیّه ینبغی مطالعتها فی هامش الرؤیّه العالمیّه والرؤیّه الإنسانیّه والنّظام الجامع للمعرفه الإسلامیّه.

فالاختلاف الجوهریّ فیما بین العلم الّذی یصبّ فی خدمه القوّه وتوفیر الحرّیّه البشـریّه فی الاسـتمتاع المطلق والمنفلت وتسـخیر والاسـتفاده من مصادر الطّبیعه بأیّ شـکل کان، فمثل هذه النّظره غیر معقوله وغیر منصفه. فالعلم الغربیّ لا یحمل أیّه قیم وحقوق ویبتنی علی أصاله الفرد واللیبرالیّه الغربیّه ولا یعترف بحقوق الشّعوب الأخری فی العیش واستثمار المصادر الطّبیعیّه.

والعلم الغربیّ لاـ یعیر أهمّیّه للإـفرازات السّـلبیّه للتّقنیه علی مصـادر الحیـاه والمجتمعـات البشـریّه. فهو علم بلا قیود وبلا ضوابط، ویعتقد بأنّ الدّین والرّؤیه الکونیّه والقیم الإنسانیّه تقف حائلًا دون التّقدّم.

«وللتّقنیه الحدیثه مقتضـیاتها ومستلزماتها الخاصّه المرافقه لها، فإنّ أیّ نوع من التّقنیه یؤدّی إلی تطوّرات تتناسب واستخدامها فی البیئه الاجتماعیّه ولا یمکن افتراض حیادیّتها وعدم إحداثها تغییرات ثقافیّه اجتماعیّه واقتصادیّه».(۱)

«بـل إنّ التّقنیه تخلق ظروفاً جدیـده وتغیر کـلّ شـیء، فهی تغیّر طـبیعه الحیـاه».(۲) فکمـا أنّ الثّوره الصّـناعیّه فی أوربـا أحـدثت تغییرات مهمّه باختراع

۱- (۱) مهدی نصیری، الإسلام والتجدّد، ص ۳۳۴، «باللّغه الفارسیّه».
۲- (۲) المصدر نفسه، ص ۳۳۵.

الطّباعه والتّقنيات الاُخر والتّقدّم العلميّ و الصّناعيّ، وماأحدثه التّلفاز أو الكومبيوتر والأنترنيت.

فكذا يمكن تسخير التّقنيه لخدمه الإنسان واستخدامها بطريقه تؤمّن الرّخاء والأمن، وتكون أرضيّه مناسبه للسّيطره على الطّبيعه لتأمين استثمار مصادرها ونعمها الإلهيّه بشكل أفضل وأكبر، وليس استخدامها لتخريب الطّبيعه وتهديد الإنسان.

إذن فيمكن أن تكون هناك نظره إنسانيّه وعلميّه وعقلانيّه إلى الطّبيعه واستخدام التّقنيه لخدمه الإنسان، فإذا كانت لدينا مثل هذه النّظره الفلسفيّه والعقلانيّه والعلميّه والدّينيّه العادله إلى العالم، فإنّ النّظره الّتي ترى الإنسان على أنّه موجود فعّال لما يشاء وذو حرّيّه مطلقه يستخدم التّقنيه العلميّه والعقل كوسيله لنيل الملذّات وتحقيق مصالحه الشّخصيه مع جهله بحقيقه منشأ العالم والغايه من الوجود؛ فإنّ مثل هذه النّظره تجعل منه إنساناً لا- يمكنه إشباع رغباته، ويقوده ازدياد حرصه إلى تعاظم إحساسه باللاهويّه والوحده والكآبه؛ إذن فلابدّ من معرفه الإنسان والعالم بكافّه أبعاده، فحرّيّته المطلقه وتركه بلا توجيه معناه العبث والعدم، ويبيّن القرآن الكريم عاقبه مثل هذه النّظره، بقوله: (ذَرْهُمْ فِی خَوْضِهِمْ یَلْعَبُونَ) ،(1) (یَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَهِ هُمْ غافِلُونَ) ،(2) (ذَرْهُمْ یَأْکُلُوا وَ یَتَمَتَّعُوا وَ یُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ یَعْلَمُونَ) .(3)

نظریه إمکانیه الاستفاده من التّقنیه مع الحفاظ علی الهویّه الوطنیّه

إنّ هذه المسأله كانت ومنذ زمن بعيد موضع نزاع فيما بين العصرانيّه

۱- (۱) الأنعام، ۹۱.

۲- (۲) الروم، ۷.

۳- (۳) الحجر، ۳.

والتّقليديّه، وشغلت أذهان المجتمعات بطرق متعدّده، وتمثّلت على شكل جدالات فى مجال التّغرّب والتّجدّد وتيّارات التّنوير، كلّ تلك الاتّجاهات المتنوّعه كانت تسعى لبيان نوع التّعامل فيما بين الشّرق والغرب والحفاظ على الهويّه الأصليّه فى مقابل النّفوذ المتزايد للغرب، ولكنّ السّؤال الّذى لازال مطروحاً؛ هو هل يمكن التّفكيك والتفريق فيما بين التّقنيه الغربيّه وبين ثقافه وأسس التّقدّم التّقنىّ والعلمىّ، والاستدلال على أنّه من الممكن الاستفاده من المكاسب المفيده للغرب وتقنيته مع رفض ثقافته وآدابه ورسومه الثّقافيّه؟ إنّ كثيراً من المفكّرين الغربيّين والتّنويريّين غير السّياسيّين يعتقدون بعدم إمكانيه الفصل فيما بين أجزاء الحضاره الغربيّه. فالمكاسب الظّاهريّه والتّقنيه هى نتاج تطوّر فكرىّ ومساعٍ علميّه على مدى قرون مديده.

وقد أكّد بعض العلماء المسلمين فى القرون الأخيره وكردّ فعل على التّطوّر والتّقدّم العلمىّ والتّقنى الغربىّ على أنّ اكتساب العلوم والفنون المهمّه؛ يعدّ من الأمور الضّروريّه وقد أوّلوا ما ورد فى القرآن والرّوايات المتطرّقه إلى الإطراء على العلم والعقل وذم الجهل فى هذا النّطاق. ونفّروا المسلمين على اقتباس مثل هذه العلوم وعدم التّريث ولو للحظه فى هذا المجال. ويعتقد هؤلاء المفكّرون فى تصوّر أولى بأنّ العلوم الجديده ما هى إلّا استمراراً منطقيّاً ووجهاً تكامليّاً للعلوم الطّبيعيّه الّتى كانت موجوده، ولم يعتنوا بمبادئ وأسس وغايات هذه العلوم الحديثه. فى حال أنّ أهمّ هدف للعلم الحديث الّذى رافقه التّقدّم التّقنى العظيم «الميل نحو الاستيلاء والسّيطره على الطّبيعه» و «النّزعه الإنسانيّه». فالغرب يعتقد بأنّ المكاسب العلميّه والتّقدّم يعتمد على القول بأصاله العلم وأصاله الإنسان وتوهّم ألوهيّته والاعتقاد بالإراده والقدره البشريّه المطلقه ورفض المذهب والانفلات من سيطره الدّين والكنيسه. «ويعتقد بأنّ البشريّه ليست بحاجه فى ظل العلم

والتّقنيه إلى الخضوع لله والقوى الطّبيعيّه وغير الطّبيعيّه، وأنّ الإنسان له السّلطه على الطّبيعه وليس له غايه سوى كسب قدره أكبر والتّمتّع المفرَط بالدّنيا وليس له رغبه فى الخلود فيها».(۱)

إنجازات الدّين فى المجتمعات الحديثه

إذا أراد الدّين أن يكون له دور وأهمّيه فى المجتمع الحديث فعليه أن يكون عامّاً ومنظّماً، ومصدراً كامناً للإجابه على جميع الهواجس والمسائل العامّه والجماعيّه، والتّأثير على النّظام الاجتماعىّ كى يتمّ العمل بالأصول الدّينيّه ومسائل ما وراء الطّبيعه وتتوافق المسائل الاجتماعيّه والإنسانيّه معها.(۲)

فإنّ عولمه المجتمع مع الميل إلى خصخصه الدّين يعدّ أرضيّه خصبه للنّفوذ الجديد والعام للدّين. وليس المقصود من النّفوذ العامّ للدّين هو ارتقاء المستوى الدّينىّ للأفراد وإنّما المقصود هو جعل التّديّن ردّ فعل عامّ مستلهم من الدّين.(۳)

إنّ مسأله فعّاليّه الدّين فى العالم المعاصر ترتبط بشدّه بنفوذه وشموله ونفعه فى المجتمعات الحديثه. وكذلك ترتبط بنظرته الأخلاقيّه إلى المسائل الاجتماعيّه والإنسانيّه وتنظيم العلاقات الأخلاقيّه للمجتمع على أسس القواعد الدّينيّه، فتجعل هذه العمليّه من الدّين خُلقاً أو يمكن تسميتها بتنميه الأخلاق، كما أنّ النّظام الأخلاقىّ فى المجتمع يساعد كثيراً على نفوذ الدّين فيه، وتؤثّر الأخلاق الدّينيّه على تنظيم أسس العلاقات الاجتماعيّه، وتزيد من العلاقات السّليمه وتؤدّى إلى بسط الأمن والثّقه المتبادله. وكذا تحدُّ من الفوضى السّلوكيّه، وتحول دون كثير من

ص:۲۳۹

۱- (۱) مهدى نصيرى، الإسلام والتجدّد، ص ۱۰۶، «باللّغه الفارسيّه».

۲- (۲) بايكين ريتشارد، الدّين، هنا، حالياً، ص ۲۶، «التّرجمه الفارسيّه لمجيد محمّدى».

۳- (۳) المصدر نفسه، ص ۱۷۸.

مسبّبات الأزمات الاجتماعيّه؛ ممّا يؤثّر تأثيراً إيجابيّا وبنّاء على النّظام التّعليميّ والتّربوىّ والاقتصادىّ للمجتمع.

علاقه العلم والدّين فى رأى بعض مفكّرى العالم

يرسم العلّامه الإسلاميّ والفيلسوف البارز مرتضى مطهّرى علاقه الدّين والعلم بهذه الصّوره: «لا يوجد شىء أفدح وأشأم على البشريّه من فصل الدّين عن العلم. فهذا الفصل يدمّر التّوازن الاجتماعيّ للبشريّه والعالم القديم والحديث على السّواء. إنّ مرض العالم القديم يتمثّل فى بحث النّاس عن اتّجاههم الدّينيّ بمعزل عن العلم. وكما أنّ المرض الأساسيّ لعالم اليوم هو أنّ البعض يبحثون عن العلم بمعزل عن الدّين. فإنّ أغلب الانحرافات والشّقاء الّذى يهدّد إنسان اليوم ناجم عن طلب العلم دون إيمان. فاليوم الّذى تظلّل فيه السّعاده رؤوس البشريّه هو ذلك اليوم الّذى تشعر فيه شعوراً عميقا أنّها كالطّير بحاجه إلى جناحين، جناح للعلم وجناح للإيمان».(۱)

فالإسلام ليس له تصوّر مزدوج للعالم والإنسان، وإنّما يقول بأصاله الدّنيا والآخره، الجسم والرّوح وارتباطهما مع بعضهما البعض، وكذلك يقول بأنّ التّعبّد والتّعقّل، وأنّ النّظر إلى الفرد والمجتمع بشكل معقول له أهمّيّه فى تقرير مصير الإنسان والمجتمع.

إنّ هذه النّظره الإسلاميّه ليست مجرّد وهم وخيال لا يرتبط بالحياه الواقعيّه، وإنّما مبتنيه على الرّؤيه العالميّه الخاصّه بالإسلام، والّتى تربط الاهتمام بالحياه والغايات الدّنيويّه بشكل معقول وهادف مع القيم الإلهيّه الرّاقيه.

فإنّ القول بالتّعارض فيما بين المعنويّه والحاجات المادّيّه للإنسان، بين الأخرويّه ومحوريّه الدّنيا، بين الدّين والسّياسه، بين الباطن والظاهر،

۱- (۱) مرتضى مطهّرى، الإنسان الكامل، ص ۲۰۰-۲۰۱.

وإعطاء الأولويّه لأحدهما وإسقاط الآخر؛ هو مخالف للنّصوص الصّريحه للإسلام.

إنّ بعض مدّعی الفکر التّنویریّ یسعون لإظهار عدم انسجام الإسلام مع العلم والتّجدّد وعلی هذا أساس هذه الرؤیه طرحوا نظریّه (عرفیّه الدّین) أو عدم انسجام القداسه الدّینیّه مع السّیاسه. فهذا الطیف من التنویریّین الدّینیّین یجعل للعقل البشریّ دائره انتخاب ومناوره أوسع وأکبر من جمیع أبعاد الشّریعه. ولنقد مثل هذا الرأی ینبغی القول؛ بأنّ هذا التّأویل والصّیغه ترتکز علی افتراضین:

١. أنّ الدّنیا والآخره أمران متضادّان، وتفترض أنّ نوع التّعامل فیما بینهما هو من نوع التّباین، ولا یمکن الجمع والمساومه فیما بین الدّنیویّه والأخرویّه.

٢. أنّ أسلوب العلم یختلف ویغایر أسلوب ونتاج الدّین، ومن خلال إنکار الجوانب القدسیّه من الحیاه البشریّه وعالم الوجود تنتفی الحاجه إلی الدّین.

العولمه والدّین

فی رأی لوهان ذو الاتّجاه الدّینیّ؛ أنّ العولمه «لیست تقدّماً ثوریّاً إجباریّاً باتّجاه استیلاء العصرنه الغربیّه عالمیّاً، بل إنّ هذه العملیّه التّطوّریّه لیست بمعنی إنکار الواقعیّات التّجربیّه لمثل هذه الفرضیّه، وإنّما بحسب الرّأی النّظریّ ینبغی أن تکون للعولمه آثار عمیقه علی المجتمعات الأخری، والحال أنّ مقاومه العولمه وتوسّعها فی مختلف أرجاء العالم أدّی إلی نشوء حرکات مستوحاه من الدّین».(١)

ویقول فی تحلیله؛ أنّه حتّی فی المجتمعات الّتی یسیر فیها الدّین باتّجاه الخصخصه یمکن ملاحظه مثل هذه الفعّالیّه له.

١- (١) بایکین، ریتشارد، الدّین، هنا، حالیاً، ص ٢٠٦، «التّرجمه الفارسیّه لمجید محمّدی».

ویستدلّ بأنّ المعرفه المعنویّه فی المستقبل؛ ستصبح الوجه الغالب للحیاه البشریّه، ویسمّی ذلک «الرّؤیه الکونیّه المعنویّه للمجتمع الحدیث»، فهذه الرّؤیه الکونیّه تحافظ علی کثیر من المعتقدات والقیم والسّلوکیّات، ویعتقد أنّ أفضل إطار لتعزیز مثل هذا النّوع من المعنویّه هو إطار الفرد نورث وایتهد، ویتعرّض للدّفاع کلامیّاً لموقف وایتهد من الفکر الحدیث، فوایتهد ینفی دعوی الرّؤیه الکونیّه الحدیثه المبتنیه علی کشف العلاقه العلّیه فیما بین الظّواهر الفیزیاویّه ویعتقد بنوع من العلاقه الرّوحیّه والمعنویّه للظّواهر العالمیّه. ویؤکّد من خلال علاقه وتأثیر اللطف الإلهیّ بالتّضافر مع عملیّه التّطوّر والبحث والتّجارب الإنسانیّه؛ علی ضروره المعرفه المعنویّه فی عصر ما بعد الحداثه. «إنّ الاعتقاد بالعلاقه المعنویّه وتأثیر العوامل الملکوتیّه و الرّوحیّه علی الموجودات المادّیّه موجود أیضاً فی الأدیان الأخری».(۱)

وعلی أساس هذا التّصوّر؛ فإنّ التّأثیر الإلهیّ والمعنویّ لله فی الحیاه البشریّه یتجلّی فی أشکال متنوّعه من العلاقه التّکوینیّه للموجودات، وحتی العلاقه الشّعوریّه و الرّوحانیّه وغوامضهما. وکذلک الاعتقاد بالتّقدیر العامّ والأجل وکثیر من الحقائق الأُخر الخارجه عن نطاق الإدراک والإراده البشریّه، ولکنّها تؤثّر تأثیراً مهمّاً علی المصیر الإنسانیّ، کأمثال إعمال الله سلطته وتأثیره علی حیاه الإنسان من خلال الأنبیاء والکتب السّماویّه و الطّرق الأخری الّتی تتمثّل بالإراده الحتمیّه والجازمه لله ودوامها؛ فکلّ ذلک یعدّ من الدلائل الحاکیه عن قاعده اللّطف والعلاقه المعنویّه لله مع العالم والإنسان.

إنّ إحدی الجوانب الأخری لتأثیر العولمه؛ أنّها تؤدّی إلی تجدید الحیاه المذهبیّه، فبعض التّیّارات المذهبیّه ومن خلال تأکیدِها علی النّزعه الإیمانیّه

۱- (۱) المصدر السّابق، ص ۲۰۶.

بدل التّأكيد على القوميّه والوطنيّه والمحلّيّه أوجدت نوعاً من الانسجام والتّضامن فيما بين أتباع ذلك الدّين.

١. فالثّوره الإسلاميّه فى إيران على سبيل المثال كان لها أصداء واسعه فى مختلف أرجاء العالم من خلال سرعتها والمراحل الّتى طوتها، بحيث لم يشاهد ذلك فى أيّه حركه إسلاميّه تجديديّه.

٢. إنّ العولمه عزّزت العلاقات المذهبيّه.(١) فعلى سبيل المثال، البلاغات والبيانات الّتى يصدرها البابا لكلّ العالم وكذلك زياراته للدّول ولقاءاته مع قادتها قد روّجت للمسيحيّه بشكل جديد.

٣. أمّا فى الإسلام فإنّ كثيراً من المسلمين يسافرون بسهوله إلى مكّه لأداء مناسك الحجّ ويؤدّى هذا العمل العبادىّ العظيم إلى انعكاسات متعدّده سياسيّه وثقافيّه ودينيّه.

۴. انتشار كتاب سلمان رشدى عام ۱۹۸۹ والأصداء الواسعه لفتوى الإمام الخمينىّ عن طريق وسائل الإعلام العالميّه، تحوّل إلى مناسبه عالميّه لها انعكاس سياسىّ ومذهبىّ واسع.

۵. دور منظّمه المؤتمر الإسلامىّ - الّتى تأسّست فى سبعينيات القرن الماضى - فى المسائل العالميّه والقرارات الدّينيّه المهمّه.

۶. استفاده المسلمين من الأقمار الاصطناعيّه والأنترنيت للدّعوه إلى أهدافهم الدّينيّه والثّقافيّه.

أمّا الإجابه عن ماهيّه تأثير عمليّه العولمه على الدّين؛ فبعض المفكّرين الإسلاميّين أمثال محمد قطب يعتقدون بأنّ: «العولمه لا يمكنها إضعاف وإنكار الدّين وحسب، وإنّما تعدّ من أسباب تعزيزه وانتشار الصّحوه الإسلاميّه فى كافّه مناطق العالم. ويستدلّ على إثبات مدّعاه بطريقين:

١- (١) مظهر الإلوهيّه والربانيّه والمربوبيّه لله أو لمقام الخليفه الإلهىّ.

الـدّليل الأوّل؛ الّذی یمکن إقامته فی هـذا المجال هو «أنّ الحضاره الغربیّه الیوم مع ما حصدته من مکاسب علمیّه کثیره، ولکنّها من جهه أخری ساقت البشریّه نحو الـدّمار والانحطـاط وأحـدثت أزمـات متعـدّده أخلاقیّه، اجتماعیّه، بیئویّه واقتصادیّه، وصور متنوّعه من اللا أمن واللا عداله. فإنسان الیوم یعیش الفقر والتّعارض من ناحیه الأسس المعرفیّه، ویعانی من ضیاع هدفه الأساسیّ وفلسفه وجوده. ومن نـاحیه الرؤیه الإنسـانیّه والعـالمیّه فقـد دخـل فی نفـق مظلم وجهـل مطبق؛ یواجه فیه وبقوّه أزمـات روحیّه، أخلاقیّه، اجتماعیّه، بیئویّه ولا أمنیّه وتهدیدات دولیّه. فالبشریّه مع ما نالته من القدره المادّیّه والعلمیّه والاقتصادیّه والتقنیّه الفائقه، ولکنّهـا باتّجاههـا المادّیّ والمنحرف عن الـدّین سـقطت فی ورطه الانحراف والانحطاط وابتلیت بالغفله عن نفسـها. فالإنسان فی رأی المـدارس الفکریّه الغربیّه حیـوان داروینیّ طـوی مراحـل التّکامـل من العقـل والحیوانیّه، وتمکّن بواسـطه ذلـک من التّفکیر والتّحـدّث واستخدام الوسائل والإمکانات وأوجـد حضاره مادّیّه. فأهـداف هذا الإنسان فی الحیاه هی الاستمثار الأقصی للذّات الحسیّه من جهه، والانتصـار فی عملیّه تنـازع البقاء من جهه أخری، ووسائله فی هـذا النّزاع هی العلم والحرب والسّیاسه».(۱) إنّ هـذا الإنسان ومن خلال إنکاره علاقته بالله أوجـد لنفسه (إحساساً بنوع من الإلوهیّه) وأخـذ یمارس الأنانیّه واعتقـد بأنّه (فعّال لما یشاء)، وأنّ شعوره بالاستغناء والسعاده یرتبط بإنکار الـدّین وتـدخّل الله، وهـذه هی الأزمه المعنویّه والفکریّه للإنسان المعاصر والّتی لا یوجـد طریق للخروج منها إلّا بالمصالحه مع الـدّین، ولا توجـد فی هـذا المجال مـدرسه بإمکانها إنقاذ الإنسان من هـذه الأزمات المعرفیّه والفلسفیّه والمعنویّه والروحیّه والهوهویّه سوی الإسلام.

۱- (۱) محمّد قطب، المسلمون ومسأله العولمه، ص ۶۲، «التّرجمه الفارسیّه».

كيفيّه توافق الدّين مع الظّروف الجديده

هل أنّ الأصول والأحكام والتّعاليم الدّينيّه ينبغی تغييرها عند حدوث تغيير وتطوّر فی المحيط الخارجیّ، أم أنّها تبقی علی حالها من الأصاله والثّبات وعدم التّغير والتّطوّر وإن تطوّرت الأوضاع الخارجيّه وتغيّر لون ورائحه آداب ورسوم الحياه المادّيّه والفكريّه؟

وينبغی التّنبيه علی هذه النّقطه المهمّه فی هذا المجال وهی أنّنا عندما نتحدّث عن الدّين وتغييره فإنّ هذا الكلام لا يعنی تغيير جوهره وحقيقته باعتباره أمراً مقدّساً، وإنّما باعتباره ديناً موحَياً و (كتاباً منزلاً) يتلائم تطبيقه وعمل واعتقاد الإنسان الأرضیّ، وله دور مصيریّ وملهم فی الحياه الفرديّه والاجتماعيّه. فإذا أراد الدّين أن يتوافق والتّغييرات الخارجيّه وظروفها الجديده بعنوانها ظرفاً لتبلور الدّين؛ فأیّ جانب من جوانب الدّين سيطاله التّغيير؟. قبل الإجابه علی هذه المسأله واكتشاف حلّها ينبغی أوّلاً مطالعه ماهيّه هذه التّطوّرات الجديده والتأمّل فيها. فهل أنّ التّطوّرات الّتی حدثت جرّاء العولمه اقتصرت علی اختزال الزّمان والمكان فينبغی علی الدّين الّذی كان نطاقه مقتصراً علی مجتمع صغير ومنطقه خاصّه ويختصّ بقوم وقبيله معيّنه؛ أن يتجاوز زمانه ومكانه المحدود ويتّسع ليشمل كلّ العالم ويشير إلی نفسه فی المجتمع العالمیّ.

أم أنّ التّجمعات الدّينيّه والمراسم المذهبيّه تقام بذات الشّكل المعهود وفی مكانها وزمانها المعيّن؟ أم أنّها تقام بصوره غير مباشره وبواسطه وسائل الاتّصال والمواصلات الحديثه؟ وما هو الاختلاف أساساً فيما بين السّلوك الدّينیّ لمتديّنی المجتمع العالمیّ مع سلوكهم فی المحيطات الصّغيره والمحلّيّه؟

إنّ عولمه الدّين يمكن أن تكون عمليّه تحديد وفرز جديد، تُوجد موقعاً عالميّاً للمذهب، وتشمل هذه المرحله ثلاثه جوانب:

الأوّل: تؤدّى إلى تغيير حتمىّ فى كلّ المؤسّسات المذهبيّه.

الثّانى: يمكن توقّع حدوث مميّزات جديده فى مضمون المعتقدات والمناسك والرّسوم والشّعائر.

الثّالث: إنّ العولمه الّتى رافقتها تغييرات فى جميع الأديان والمذاهب، وعلى الخصوص الرؤى الفكريّه والمعرفيّه لأتباعها فى العالم الجديد؛ ستتعرّض لتطوّرات وتغييرات أخرى.

ويعتقد انتونى ماك غرو أن إحدى أشكال هذه التّغييرات هو (الأديان متعدّده القوميّات) الّتى تتمخّض فى ظروف ثقافيّه واجتماعيّه خاصّه بواسطه الجماعات المستقلّه والمنظّمات غير المرتبطه بالدّول.

النّوع الثّانى من التّغييرات؛ هو تبلور الدّين فى صوره (دين شبكىّ) بمعنى أنّ الأديان فى عصر العولمه تكسب بواسطه الإعلام العالمىّ أتباعاً عالميّين من خلال محوريّه الفعّاليّات المذهبيّه والاجتماعيّه. وتتشكّل على هذا الأساس حركات عالميّه جديده ذات اتّجاهات وفعّاليّات ثقافيّه واجتماعيّه أمثال؛ حركات السّلام، العداله، الإصلاحات الاجتماعيّه والسّياسيّه، وحركات صيانه البيئه وأنواع اخر من المسائل المرتبطه بحبّ الإنسانيّه وأعمال الخير.

ففى عمليّه العولمه «تتوفّر الإمكانيّه لكلّ دين ومذهب لترويجه خارج نطاق حدوده الوطنيّه».(۱) وذلك لتطوّر مكانه الدّين من خلال الاستفاده من الأجواء والإمكانات المستجدّه، وكذا من خلال زوال كثير من معوّقات تبليغ الدّين والحواجز المفروضه الأخرى. أمّا المسأله المهمّه الأخرى والّتى يبرز لها ارتباط روحىّ وعاطفىّ بمكانه الدّين «فنظراً للنّزعه الدّينيّه الحديثه فى

۱- (۱) محسن الويرى، الدّين والعولمه؛ الفرص والإشكالات، (مجموعه مقالات المؤتمر ۱۶ للوحده الإسلاميّه).

العالم، فقـد انساق عالم اليوم نحو الـدّين لملء الفراغ المعنوىّ والأخلاقىّ الّـذى يعانيه، وكـذا فكريّاً ومعرفيّا لإذعانه بعـدم فعّاليّه الأيـديولوجيّه الدّيمقراطيّه الليبراليّه والنّماذج الموجوده، فأخذ يبحث عن حياته فى النّظريّات الثّقافيّه والدّينيّه، ممّا أعطى المبلّغين الدّينيّين فرصهً وظرفاً جديداً لاطّلاع عامّه المجتمع ونخبه على التّعاليم الدّينيّه».(۱)

وفى مقاله لأحد المفكّرين والباحثين الدّينيّين تحت عنوان (مشاكل التديّن فى العالم المعاصر) يذكر فيها بأنّ مشكله العولمه هى من إحدى المشاكل الّتى تواجه التّديّن. ويطرح فى هذا المجال أسئله وإشكالات يمكن أن يواجهها المتديّنون فى عمليّه العولمه وتتمثّل فى:

أ) هل أنّ العولمه متحقّقه أم هى فى طور التّحقّق؟

ب) و هل أنّها إراديه ومختاره فى حال تحقّقها أم أنّها غير إراديّه؟

ج) وهل أنّها تؤمّن مصالح فئه خاصّه من النّاس؟

د) وما هى مستلزماتها ونتائجها على الذّهنيّه والنّفسيّه البشريّه؟

ثمّ يشـير إلى الطّموحـات والآفـاق الّتى ينتظرهـا الإنسـان من الـدّين ويقول: إنّ العولمه تؤدّى بنا إلى مواجهه ظواهر دينيّه أخرى، وتعرّفنا على نقاط القوّه والضّعف وامتيازات كلّ دين، وتعزّز القدره على الانتخاب والمنافسه فيما بين المتديّنين.

ويمكن الإشـاره فى هـذا السّـياق إلى ردود الأفعـال المتفـاوته الّتى أثارتها العولمه فى المحافل السياسـيّه والعلميّه والثّقافيّه؛ فالبابا جـان بـول الثّـانى رئيس الكنيسـه الكـاثوليكيّه خـاطب مجمـع الفاتيكـان السّـنوىّ قائلاً: «يجـب أن لا تتمثّـل العـولمه كنـوع من الاسـتعمار، بل ينبغى احترام التّنوّع الثّقافىّ، ودعى البشـريّه إلى الاهتمام بالأخلاق الإنسانيّه والحرّيّه فى انتخاب الثّقافه والدّين فى مسيره

۱- (۱) المصدر نفسه، ص ۲۷۸.

العولمه. وحذّر من أن يقتصر التّمتّع بالعلم والتّقنيه والمواصلات ومصادر الثّروه على الأقلّيه على حساب الإضرار بالأكثريّه».(۱)

ويحذّر ماهتير محمد رئيس الوزراء الماليزيّ السّابق من أنّ أنصار العولمه مكبون على التّهيؤ لإساءه استثمار السّوق العالميّه المفتوحه، وأهاب بالمسلمين أن يسعوا بشكل منسجم للتّأثير من خلال تعريف مفاهيمها وتقنينها، وينبغی عليهم أن يكونوا أذكياء فی امتلاک بعض الوسائل الأساسيّه للعولمه وإدراک أبعادها.

وأكّد على ارتباط دور الإسلام فی عصر العولمه بكيفيّه تعامل المسلمين حيال المسائل العالميّه المهمّه من قبيل السّلام والعداله وعمليّه التّنميه والرّخاء العام.

ويبيّن كارل جوزف كوشل مصير الدّين فی عصر العولمه قائلًا: «إنّ العداله والسّلام العالميّين وظائف ترتبط بجميع النّاس، فلا ينبغی أن توكل إلی خصوص السياسيّين والاقتصاديّين» فتقع على عاتق الاقتصاد والأنترنيت والبورصه والأديان مسؤوليّه خاصّه لبسط الرّخاء العام. وينبغی إيكال السّياسه والاقتصاد والحيلوله دون اللا أمن واللا عداله ومواجهه أسباب تهديد السّلامه الروحيّه والنّفسيّه وصيانه المسؤوليات الأخلاقيّه والقيم الإنسانيه للمواطنين فی القريه العالميّه؛ إلی عهده الفلاسفه والمفكّرين الدّينيّين.

ومن الطّبيعی أنّه ينبغی علينا الالتزام بعقائدنا وعدم التّفريط بها لمجاراه العولمه، والاعتقاد بضروره التّعامل والحوار فيما بين الأديان. فسيكون للثّقافات والأديان مكانه مهمّه فی عصر العولمه.

ولا يستطيع أحد أن يدّعی عدم وجود سوى دين واحد فی المستقبل، لعدم وجود ممهّدات وأسباب مثل هذه القضيّه فی الحاله العاديّه. ومن هنا ينبغی اعتراف الجميع بقبول الاختلاف فيما بين الأديان وحق الانتخاب وحرّيّه أتباعها.

۱- (۱) فصليّه مطالعات استراتيجيّه، العدد ۱۳، ص ۳۰۹، «باللّغه الفارسيّه».

العولمه والإسلام

لطالما كانت العلاقه بين الإسـلام والتّطوّر العالميّ حيّه، فالإسلام باعتباره تيّاراً حيّاً ومتجدّداً كان على الدّوام يساير التّطوّر على مرّ التّاريخ.(۱) ولكن ينبغى الإذعان بأنّ التّطوّر البنّاء للإسلام باعتباره ديناً مهمّاً يقع على كاهل المسلمين. فلدراسه المسيره التّكامليّه للإسـلام ومطـالعه التّطوّر الجديـد للـدّين؛ ينبغى الأخـذ بنظر الاعتبار أيضاً العوامل الخارجيّه المنبثقه عن التّطوّرات المسـتمرّه فى المحيط المحاذى للإسلام، فتطوّر الإسلام ينبغى مطالعته ضمن هذه المجموعه العالميّه العامّه.

وكما قيل؛ إنّ العولمه تجرّ الإنسان نحو الصّراع فى المجالات الاجتماعيّه المختلفه ولا يشـذّ أىّ مجال من المجالات البشـريّه عن التّأثّر بها. فهذه العمليّه شئنا أم أبينا هى فى حال شمول، سواء كان ذلك إيجابيّاً أم سلبيّاً. وكما يقول رولاند روبتسون: «إنّ توحّد العـالم أمر محتوم. فهـذه الظّاهره فى ذات الوقت الّـذى تظلّل فيه جميع الحـدود المادّيّه يمكنها أيضاً من تطوير الحـدود المعنويّه والعقائديّه».(۲)

فمـا هى وظيفه المسـلمين فى مقابـل عمليّه العولمه؟ فالأصل الأوّل للحصول على المعرفه والاطّلاع اللازم للتّعامل مع الافتراضات الأساسيّه للحضاره الغربيّه هو النّظر فى الأسس والمبانى الفلسفيّه والسّياسيّه والاقتصاديّه الغربيّه، وإلى أزماتها الاجتماعيّه والثّقافيّه والـدّينيّه العميقه الّتى انتجت المـدارس الإلحاديّه واللا أدريّه وعشـرات المـدارس العبثيّه واللهويّه، والّتى ساعـدت فى نهايه الأمر على السّقوط الأخلاقىّ فى الغرب، فإنّ لذلك أهميّه قصوى، «فالوظيفه المهمّه للمسلمين فى مقابل عمليّه العولمه هى معرفه

۱- (۱) ويلفرد، كنت وول سميث، الإسلام فى عالم اليوم، «التّرجمه الفارسيّه لحسين على هروى».

۲- (۲) جان تاملسون، العولمه والثّقافه، ص ۲۵، «التّرجمه الفارسيّه».

الحضاره الغربيّه وأسسها من جهه، والإدراک الکامل لمحتوی الثّقافه الإسلامیّه الغنیّه وظرفیّتها العالمیّه من جهه أخری؛ لأجل التّمکّن من معالجه الأزمات الفکریّه والمعنویّه للعصر الحالی والسّعی لترویض الرّوح المعنویّه والفکریّه للحضاره الغربیّه».(۱)

الإسلام فی عالم الیوم

لقد رضخت المجتمعات الإسلامیّه الیوم لضروره إقامه علاقات عالمیّه متبادله وتأسیس مؤسّسات فی هذا المجال لجعل الدول الإسلامیّه قادره علی التّعاون والظّهور برأی واحد فی الاجتماعات الدّولیّه.

ولکنّ النّموّ التّعلیمیّ والتّربیه العامّه و التّعرّف علی التّراث الإسلامیّ الثّر هو من أهمّ المسائل المؤثّره الّتی ینبغی علی المسلمین الاهتمام بها. فإنّ ازدیاد معرفه المسلمین بالدّور الّذی من الممکن أن یضطلع به التّراث الثّقافیّ الإسلامیّ العظیم یجعلهم أکثر معرفه وأکبر قدره ممّا یؤدّی إلی اعتدادهم بهویّتهم الثّقافیّه والتّاریخیّه والدّینیّه وسعیهم للحفاظ علیها فی ذات الوقت الّذی یتقبّلون فیه نماذج التّجدّد ومکاسب التّقنیه، والحیلوله دون الذّوبان فی الثّقافات الحدیثه.

فأغلب المفکّرین الإسلامیّین یؤکّدون علی أنّ النّظره العقلانیّه والانتقادیّه والإحاطه بالظّروف الزّمانیّه والمکانیّه بإمکانه أن یحافظ علی جوهر الدّین فی عصر العولمه. والبعض الآخر یشیر إلی إمکانیّه التّغلب علی الثّقافه الحدیثه بواسطه المعنویّه والعرفانیّه الإسلامیّه، ویؤکّدون علی إمکانیّه ترویض العلم والتّقنیه الغربیّه وجعلها تسیر فی خدمه الأهداف الأصیله والمعقوله للبشریّه، والاستفاده منها لنشر وتوسیع المعنویّه علی مستوی العالم.

۱- (۱) مهاتیر محمّد، خطابه فی افتتاحیّه مؤتمر القمّه الإسلامیّه.

وتؤكّد هذه الفئه على القابليّات المتعدّده للإسلام للقضاء على الفقر و استعاده المعنويّه فى العالم المعاصر نظراً لضعف الأديان الأخرى فى سدّ هذه الحاجات.

ولكن عموماً ينبغى القول؛ بأنّه يمكن للمسلمين اتّخاذ طريقين فى مقابل الحضاره الغربيّه:

١. الانسجام مع حركه الحضاره العالميّه مع الحفاظ على هويّتهم.

٢. العمل على تقويه أسسهم العلميّه والتقنيّه من خلال إعاده بناء هيكليّتهم الدّاخليّه والالتزام بالإيمان وتعاليمهم الدّينيّه والعقلانيّه الأصيله.

وبما أنّ علاقه الإسلام والغرب وصلت إلى حدود الصّراع فيما بين ثقافتين والمواجهه بين فكرين وأسلوبين يرتكزان على أسس دينيّه وفلسفيّه وسياسيّه منفصله؛ فستؤدّى هذه المواجهه الجدّيّه والخطيره إلى نزاعات ومعضلات كثيره، وستكون هذه الحقيقه أوضح وأقوى فى إطار عمليّه العولمه. ومن هنا؛ يمكن التكهّن بأنّ الإسلام سيكون من إحدى الثّقافات المهمّه والمؤثّره فى المستقبل.

فكيف سيكون تعامل الإسلام وعلاقته بالأديان الأخرى عند تحقّق التّطوّرات الفكريّه والثّقافيّه للمسلمين، وما هى استراتيجيّته فى حل المعضلات العالميّه؟ فمن خلال إمعان النّظر فى التّعارضات المتعدّده، كتضادّ الإيمان والشّكاكيّه، السّنّه والبدعه، الأصاله والالتقاطيّه، الأصوليّه فى مقابل التّردّد المفرط للتجدّديّه؛ ينبغى القول:

توجد طروح جديده لإعاده قراءه الدّين، فالتّجديد الفكرىّ للتّنويريّين الإسلاميّين والإصلاحيّين فى العالم الإسلامىّ استطاع تجاوز المراحل الأولى للدّور العالمىّ للإسلام. أمّا الآن فقد برزت ثلاثه اتّجاهات أساسيّه داخل العالم الإسلامىّ:

١. طلب التحديث والوسوسه الدّائبه للتّغيير على أمل الخلاص من الاستعمار السّياسىّ والاقتصادىّ الغربىّ.

ص:٢٥١

۲. الاستفاده من الأفضليّه الفكريّه والجداره الإسلاميّه فی المواجهات السّیاسیّه والسّعی نحو الاستقلال واستغلال الجهاد والشّهاده فی طریق العقیده والأهداف الإسلامیّه.

۳. بروز فکره عوده الحکومه فی إطار الضّوابط والمعاییر الإسلامیّه.

إنّ طراوه الأیدیولوجیّه الإسلامیّه لجدیره وقادره علی إقامه مجتمع حدیث علی أنقاض المجتمعات المنهاره، فالإسلام قادر علی إثاره قلوب أتباعه لیکافحوا بعزم معوّقات ومشاکل الحیاه من خلال التّسلّح بالإیمان والاتّحاد. فإنّ دور الإیمان لا یقتصر علی البناء الذّاتیّ للمسلم، فیستطیع الإسلام الیوم بأسلوبه الأیدلوجیّ الشّامل أن یطرح نفسه فی العالم من خلال خصوصیّتی التّسامح والطّموح فی المجال الاجتماعیّ.

وللإجابه عن هذا السّؤال وهو هل أنّ الإسلام یمکن تطابقه والتّعالیم الأساسیّه الهشّه للعولمه أم لا؟ یمکن عرض رأیین فی هذا المجال:

الرّأی الأوّل؛ یمکن طرحه وتحلیله بناءً علی مقوله علاقه الإسلام بالعصرنه، فعلی أساس هذا الرّأی یستطیع الإسلام الإجابه علی کثیر من المعضلات العلمیّه والانسدادات الفکریّه الّتی نتجت عن تناقضات العصرنه وطرح حلول ناجعه لها. ومن خلال التّفسیر الخاصّ للعصرنه یمکن التّوفیق فیما بین العقلانیّه الحدیثه والإسلام بقراءه خاصّه، وتلفیق العلم الحدیث والعقل الحدیث مع العلم المعرفیّ الدّینیّ الأساسیّ والمعرفه الغائیّه الدّینیّه للإنسان، وتعریف الدّین بعنوانه عاملاً ـ فوق المادّه ولیست هی بدیلاً عنه ومسؤولاً عن توفیر الحاجات الأساسیّه والضّروریّه للبشریّه. واعتبار العلم ومقوله محوریّه العلم والعقلنه العصرانیّه مسؤوله أیضاً عن توفیر الحاجات المادّیّه المعیشیّه للإنسان، ففی هذه المقوله یوضع الدّین فی مکانه الّذی یستحقّه، وکذا العقلانیّه الحدیثه تتمتّع بتأیید الدّین وقبوله، ومن خلال هذا

التّفسير يزول التّعارض فيما بين الدّين والعلم والعقلانيّه وكذلك التّعارض فيما بين العقلنه والنّزعه الإيمانيّه.

ولكنّ الكلام الأساسيّ فى أنّه هل ينبغى أن تطالَع وتحلَّل علاقه العالم الإسلاميّ بمسار العولمه فى قالب مقوله علاقه الإسلام بالعصرنه، أم أنّ الإسلام باعتباره نظاماً دينيّاً يتضمّن تعاليم وقيم ونماذج اعتقاديّه وعمليّه معيّنه يمكنه لعب دور أساسيّ فى عمليّه العولمه وعمليّه توحيد القيم الثّقافيّه، ويُطرح على أنّه عنصر مقتدر وعامل حاسم. ويعتمد هذا التّحليل على افتراض أنّه فيما إذا أدّت عمليّه العولمه إلى توحيد الهويّات والثّقافات وتحطيم الأسس والعناصر الحاليّه للمجتمعات. ففى هذه الحاله تكون عاملاً عالميّاً يمتلك إراده القوّه حسب رأى هيجل وفوكو وإراده العقلانيّه حسب رأى ماكس وهوبرماس؛ يلعب دوراً مؤثّراً وأساسيّاً، وترتكز هذه الفكره على أصول وعناصر العصرنه.

ويمكن تفسير وتأويل هذا الرّأى بناءً على نظريّه أمثال جون غينز وهوبرماس الّتى ترى بأنّ العصرنه هى مشروع غير متكامل. ففى هذه النّظره؛ تكون العصرنه فى صدد توسيع نفسها والسّيطره على الثّقافات والمقولات الأخرى، وفى صدد تحطيم أساس كلّ من التّقليديّه والأصوليّه أو الشّموليّه، فمن هذا الجانب تقوم العصرنه بإنكار الآخر وكلّ ما وراء الطّبيعه وكلّ أمر قدسيّ.

ويمكن تحليل علاقه الإسلام بالعولمه على أساس مبنى العصرنه بطريقه أخرى؛ وهى أنّ الإسلام وعلى أساس بعض تعاليمه كالدّعوه إلى العقلانيّه والعلم والإنسانيّه... الخ؛ ينسجم نوعاً ما مع مبانى العصرنه، ولكنّ العصرنه من جهه أخرى لا تتّفق مع بعض «وجوه مقتضيات وتعاليم الدّين كغائيّه الأخلاق، الزّهاده، المعنويّه، الإيثار، اجتناب الاستهلاك المفرَط والإسراف

وغيرها. فمن هذه النّاحيه لا ينسجم ولا يتّفق الإسلام مع العولمه ذات المعايير والمبانى العصرانيّه».(۱)

الوجه الآخر الّذى يؤدّى إلى نزاع الإسلام مع العولمه؛ هو أنّ التّعاليم الأصيله للإسلام تؤكّد على كون الحقائق الدّينيّه مطلقه وثابته وعلى أصاله القيم الدّينيّه، وكون المعايير الأخلاقيّه مطلقه وعدم قبول الأحكام الدّينيّه للتّعطيل. فى حال أنّ العولمه تتعارض والقيم الدّينيّه الثّابته والمطلقه؛ وعلى الخصوص إذا ما حلّلنا العولمه حسب مبنى ما بعد الحداثه؛ فيقوم التّعارض أيضاً فيما بين أصاله القيم الدّينيّه مع نزعه النّسبيّه والتّعدّديّه الثّقافيّه لما بعد الحداثه.

أمّا الرّأى الآخر الّذى يعبّر عن رأى بعض الباحثين الدّينيّين المعاصرين؛ فهو يرى بأنّ الماهيّه الأيديولوجيّه للعولمه لا تنسجم وتتعارض ذاتياً مع الإسلام. ويستدلّ أنصار هذا الرّأى بأنّ العولمه تقوم على التّعاليم الليبراليّه وتعمل على تحطيم أسس الهويّات والثّقافات الأُخر لتصبح عالميّه وتفرض عليها أشكالاً ونماذج ومقتضيات جديده.

إحدى الاستدلالات الأُخر لهذه الفئه أنّ الثّقافه الغربيّه ومن خلال الاستفاده من التّقنيه والقدره السّياسيّه والاقتصاديّه الأكبر وعن طريق سيطرتها على الجمعيّات والوسائل الثّقافيّه المتعدّده ووسائل الاتّصال تحاول سوق عمليّه العولمه لصالحها الخاصّ.

بعض المنظّرين الّذين يعتقدون بأنّ العولمه تعنى غربنه العالم أو سيطره النّظام الرأسمالىّ الغربىّ، يحلّلون المسأله بهذا الاتّجاه، ولكن فى مقابل هذا الرّأى يقف أمثال غينز، روبتسون ليعتقدوا «بأنّ العولمه تختلف وترويج المؤسّسات الغربيّه عالميّاً وأنّ وصول الثّقافات الأخرى إلى حاله التعقّل هو من آثارها».(۲)

۱- (۱) سيّد عبد العلى قوّام، العولمه والعالم الثّالث، ص ۳۵۸.

۲- (۲) السّيد حسين نصر، الشّباب المسلم والعالم المتجدّد، ص ۸.

وليس بإمكـان الغرب فرض ثقـافته بالإـكراه على الثّقافات والمجتمعات الأخرى. وأنّ ماهيّه ومقتضـيات العولمه النّاقضه للأسـس الّتى تعمـل على تحطيم الحـدود السّياسـيّه والجغرافيّه والثّقـافيّه لاـ تنسـجم والماهيّه الاسـتبداديّه والسّاعيه لتفوّق الحضاره الغربيّه. وأُكّد فى هـذه المقـاله كـذلك على أنّ العولمه هى عمليّه وصـيغه للنّموّ والتّنميه التـاريخيّه للبشـريّه. وليس لهـا فى ذاتها ارتباط جوهرىّ بالعصرنه، ولذا بإمكان أيّه حضاره وثقافه ومذهب أداء دور فى أجواء العولمه. وهى فى ذاتها لا تحمل أيّه ثقافه خاصّه، وإنّما هى فرصه للتّنافس الثّقافىّ العالمىّ.

نتائج البحث

فى حصـيله عـامّه لكـلّ مـا تقـدّم يمكن القول؛ بـأنّ العولمه أثّرت تـأثيراً عميقـاً على أوضاع العالم الإسـلامىّ فى العقود الأخيره. ويمكن ملاـحظه مثـل هـذا التّيأثير فى المؤسّـسات الحكوميّه والاتّجـاه التّجديـدى للمجتمعـات الإسـلاميّه فى تفاعلها مع القضايا العـالميّه والحيـاه الفرديّـه والاجتمـاعيّه والثّقـافيّه. فالاتّجـاه نحـو التّقنيـات المتقـدّمه، الانضــمام إلى المؤسّـسات الـدوليّه ورواج الديمقراطيّه؛ أدخل المجتمعات الإسـلاميّه فى خضمّ حياه عالميّه يصـطلح عليها (القريه العالميّه). أمّا المنظومات السّابقه والأسس التّقليـديّه فقـد تعرّضت للتّغير والتّحوّل فأصـبحنا نسـير نحو مجتمع غير محـدود. ففى هـذه العمليّه الّتى تـدعو إلى الوحده الثّقافيّه والهوهويّه توضع القيم الثّقافيّه أمام خيارين؛ فإمّا أن تختار الانسـجام والتّناغم معها أو الافتراق والمقاومه ضـدّها. فلو افترضـنا بأنّ العـولمه صـيغه لاـ يمكن اجتنابهـا وهى فى طـور التّحقّـق أو قـد كشـفت عن بعض مميّزاتهـا؛ فهـل يمكن الاـحتراز من إفرازاتها وأمواجها المروّعه والسّيطره عليها؟

وهل يمكن التّوصّل إلى كيفيّه مواجهه العالم الإسلامىّ لها، بناءً على

الافتراض الآنف؟ وهل يمكن للتّعاليم الدّينيّه التّعامل والانسجام مع المنهج التّقنی لها؟ أم أنّ التّعارض وعدم التّوافق فيما بينها وبين الإسلام سيكون حاسماً وقاطعا خصوصاً فی بعده الأيديولوجیّ؟

فإذا قبلنا الافتراض الأوّل وقلنا بالانسجام فيما بين الإسلام والتّقنيه، يطرح حينها هذا السؤال الهامّ؛ وهو هل من الممكن أن لا تكون للتّقنيه أيّه امتدادات قيميّه وثقافيه ومقتضيات وآثار أخرى؟ فإنّ القول بالفصل المطلق فيما بين الثّقافه والاقتصاد والسّياسه والتّقنيه لا يمكن الجزم به، نظراً للأبعاد المعقّده للمجتمعات البشريّه والتأثير والارتباط الواسع والمتنامی للتّقنيه فی جميع شؤون الحياه. ولهذا ونظراً للأبعاد المختلفه للعولمه لا يمكن اتّخاذ أسلوب عامّ فی هذا المجال. فلمعرفه أبعاد علاقتها بالدّين لابدّ من أخذ تأثيرها والتغييرات الّتی تحدثها بعين الاعتبار والرضوخ لواقعيّه (أنّ العولمه تتعارض والثّقافه الإسلاميّه والفكر الدّينیّ). ولأجل؛ عدم إمكان التّكافؤ بين جميع الثّقافات والمجتمعات فی الحصول على التّقنيه أوّلاً، وعدم لعبها دوراً مشتركا فی بروزها وتحقّقها ثانياً، وأنّ ردود أفعال الثّقافات والاتّجاهات القوميّه والمحلّيه تّجاه العولمه – الّتی تمخّضت عن هويّات جديده – يحكی عن عدم الانسجام والتّعارض فيما بينهما ثالثاً.

وهنا ينبغی التّذكير بأرنست غلنز الّذی يقول: «هناك عدم انسجام فيما بين ادّعاءات وتعاليم الغرب الّتی تتّصف بالعالميّه والشّموليّه وبين التّعاليم الإسلاميّه، ويؤدّی عدم الانسجام هذا إلى إنكار أحدهما للآخر، وإلى توالد الأصوليّه الإسلاميّه من جديد؛ لإحساسها بخطر محو الهويّه الإسلاميّه، ومن جهه تزداد تبعيّه وتماثل ثقافه المجتمعات الإسلاميّه لثقافه الغرب من خلال التّقليد الأعمى وغير المدروس، وصحوتها وحذرها من فقد هويّتها الإسلاميّه من جهه أخرى، وهذا ما سيشكّل

تهدیـداً خطیراً فی مقابل ثقافه الهیمنه الغربیّه. ویماثل هذا الوضع نهضه إحیاء الفکر الدّینیّ والإصـلاح فی المجتمعات الإسـلامیّه أبان السّیطره والنّفوذ الاستعماریّ فی الدّول الإسلامیّه».(۱)

ومن هنـا تنشـأ حاجه المسـلمین إلی التّقـدّم العلمیّ والتّقنیّ والثّقافیّ أکثر من أیّ وقت مضـی، والسّـعی لنقـد الحضاره العالمیّه و قویمها للاستفاده من نقاطها الإیجابیّه. وینبغی فی هذا المجال؛ عدم الهیبه من الغرب أو الغفله عن القدرات والقابلیات الّتی یتمتّع بها الإسلام.

ففی رأی المجدّدین الدّیتیّین؛ أنّ الإسلام دین شامل وذو رساله عالمیّه تعمّ جمیع البشر. وأنّ الرساله الأساسیّه له – باعتباره الدّین التّوحیـدیّ الخـاتم – هی هـدایه الإنسان نحو العبودیّه لله وإنقاذه من عبودیّته للإنسان الآخر والطواغیت، والخلاص من الاسـتبداد والجهـل والأمیّه. وأنّ الکرامه الإنسانیّه والعـداله الاجتماعیّه وحرّیّه الفکر والبیان والمشارکه فی تقریر المصـیر الفردیّ والسیاسـیّ والاجتماعیّ من الأهداف الأساسیّه للإسلام.

إنّ الشّـمولیّه العـالمیّه والنّظره العـالمیّه للإسـلام ونزعته السّـلمیّه تّجاه أتباع الأدیان الأخری، واحترامه للثّقافات المختلفه، وتعالیمه العـادله والسـلمیّه والتّفاهم والمساواه والأخوّه والعقلانیّه الّتی یتمتّع بها، وتثمینه دور العلم والعلماء؛ تشـکّل أرضـیّه مناسـبه لقبوله عالمیّاً وتضمن تجدّده ودوامه وعدم تقوقع هذه الثّقافه الغنیّه والشّامله فی حدود ضیّقه.

ویعتقـد بعض المفکّرین الـدّیتیّین؛ بأنّ علی الإسـلام ولأجل تمکّنه من الانسـجام مع عملیّه العولمه ترک بعض رکائزه التقلیدیّه، ففی رأی هذه الفئه أنّه ینبغی اتّخاذ بعض الخطوات فی هذا السّبیل:

۱- (۱) نیل مارفیلت، العولمه و العالم الثالث، ص ۱۳۳، «الترجمه الفارسیه».

۱. تجاوز الفردانیّه.

۲. الإدراک الصّحیح لجوهر الدّین.

۳. الاتّجاه نحو العقلانیّه الدّینیّه والبیان العقلانیّ للتّعالیم الدّینیّه.

ومن خلال تأکید القائلین بهذه النّظریه علی قابلیّه الإسلام لأن یصبح عولمیّاً؛ یعتقدون بأنّ الدّعوه إلی التّوحید والعقلانیّه یشکّل عاملاً ـ وحدویّاً وتضامنیّاً للمجتمع الإنسانیّ وسلامه الحیاه الاجتماعیّه، وأنّ العقلانیّه الّتی یراها الإسلام تتفاوت وعقلانیّه الفکر الغربیّ المرتکز علی نزعه الفلسفه الإنسانیّه وأصاله المنفعه.

فیبدو أنّ العولمه تساعد علی الصّحوه الإسلامیّه وانتشار الأفکار والأهداف الإنسانیّه والمعقوله للإسلام. فالإسلام دین حیویّ وتوعویّ، یتعاطی مع روح وفکر وإحساس الإنسان، ویشمل جمیع شؤون حیاته، ولا یقف حائلًا دون النّموّ والرّقیّ العقلانیّ له فحسب؛ وإنّما یلقی علی عاتقه مسؤولیّه فردیّه واجتماعیّه أکبر. فالإسلام یدعو الإنسان إلی الوعی والحرکه والسعی لإصلاح الفرد والمجتمع والإعمار والتّنمیه وخدمه البشریّه، ویتضمّن أرقی الحقوق وأروع التّعالیم الأخلاقیّه المدعومه بعقلانیّه محکمه.

فإذا کان التّعولم بمعنی العولمه أو الغربنه وفرض نماذج الحیاه الغربیّه علی المجتمعات الأخری؛ فسیکون فی نظر البشریّه من أسوء أنواع الاستعمار. فمع أنّ ترویج العولمه یتمّ تحت غطاء مفاهیم وقیم عامّه ومقبوله، ولکنّها فی واقع الأمر هی الاستعمار القدیم ذاته، بل وحسب توقّع الکثیر من العلماء والباحثین فی العلوم الاجتماعیّه والفلاسفه الدّینیّین أنّ العولمه تعنی انتشار الحضاره والنّماذج الغربیّه بنتائجها وأزماتها المتعدّده کالأزمات الاقتصادیّه، الحرکات المتعدّده، الشّرخ الطّبقیّ، تزاید الفقر، الأزمات البیئویّه، أزمه الهویّه، أزمه المعنویّه، أزمه الحاکمیّه، أزمه مشروعیّه السّلطه و... الخ.

فإحدى الجوانب الثّقافيّه للعولمه؛ الفساد الأخلاقىّ وعدم الالتزام بالقيم الدّينيّه الّتى تتّسع يوماً بعد آخر بواسطه الأقمار الاصطناعيّه والأنترنيت والوسائل الأخرى، والّتى تعدّ النّموذج البارز للفساد فى الأرض وطغيان الإنسان فى مقابل الله، والّذى يؤدّى إلى القضاء على الحرث والنّسل وكما نلاحظ بعض نماذجه فى عصرنا الحاضر، والّذى حسب السّنن الإلهيّه والمنظار الدّينى لا يبقى دون جواب. فمثل هذه الحضاره ستلاقى نهايه فاجعه تكون أكبر خطراً ممّا نواجهه منها اليوم؛ لبعدها عن كثير من الواقعيّات وإغماضها عن الحقائق الملموسه والعلميّه واشتباهاتها الفاحشه فى نظرتها إلى الإنسان والعالم.

وقد أكّدت السّنّه الإلهيّه وبأساليب متعدّده ومكرّره على أنّ (الله تعالى لا يترك الإنسان أن يمارس ما يريد دون رادع، وحذّره من الظّلم والطّغيان وارتكاب الآثام، وأنّ الجزاء الطّبيعىّ والوضعىّ للفسق والفجور والفساد فى الأرض سيكون بتعرّض الإنسان نفسه للهلاك والخسران). وتشير أيضاً إلى الاعتبار بالمصير الّذى واجهته المجتمعات السّابقه، فمع ما كان لها من القدره وما وصلت إليه من الحضاره لم تكن بمنأى عن العذاب الإلهىّ.

ماكس ويبر و من خلال نظرته الانتقاديّه للحداثه واتّباعاً لملهمه نيتشه، يتكهّن بموت الله وانتفاء المذهبيّه عن الثّقافه و انتشار النّسبيّه وصيروره الدّنيا مجرّد شىء كمّىّ وشيوع العبثيّه.(۱)

إنّ العلاقات العلميّه فيما بين الغرب والشّرق الّتى نجمت عن عمليّه الاستشراق وجذب نُخب العالم الإسلامىّ العلميّه إلى المراكز العلميّه الغربيّه، نجاح نماذج التّنميه فى بعض الدّول الإسلاميّه كماليزيا وغيرها، حدوث الثّوره الإسلاميّه فى إيران باتّجاهها الشّعبىّ، الاستفاده من وسائل الاتّصال

۱- (۱) ما بعد الحداثه والعولمه، ص ۱۴۶، «التّرجمه الفارسيّه».

الحديثه لإطّلاع العالم على التّعاليم والعلوم الإسلاميّه، روعه السّياحه فى العالم الإسلاميّ، الحركات الإسلاميّه، جذّابيّه المناهج والرّسوم العباديّه كالحجّ وصلاه الجمعه، الآثار الثّقافيّه والاجتماعيّه للمساجد فى الحياه المعنويّه والاجتماعيّه للمسلمين، الفن والعماره الإسلاميّه؛ كلّ ذلك يعدّ من العوامل الملفته والمدهشه بالنسبه للأمم الأخرى وذات التّأثير العالميّ لهذا الدّين.

فإذا استطاع الإسلام الاستفاده من وسائل التّقنيه الحديثه وإبراز حقيقته الثّقافيّه الأفضل بشكل منظّم ومنسجم ومتفكّر؛ فبإمكانه طرح نفسه فى مقابل أزمات تعدّديّه ما بعد الحداثه وأزمات المعنى والهويّه للعصرنه. فالإسلام لازال ينبض بالحياه سواء أخذناه كدين أم حضاره ولازالت تعاليمه على صعيد مفاهيم، كالإنسان، العالم، الله ومستقبل الوجود متوهّجه بالحيويّه لدى المسلمين. ولذا فعلى المسلمين الجدّ والسعى للحفاظ على دينهم وتأسيس حضاره إسلاميّه جديده، وذلك من خلال معرفه الأزمات الرّاهنه ومخاطر الحضاره الغربيّه.

فالحضاره الغربيّه اليوم تتضمّن ثلاثه اتّجاهات مختلفه مع بعضها البعض ولكنّها تترابط فيما بينها لفرض وجودها وبسط نفوذها:

الأوّل: محاوله القضاء على جميع الحضارات الأخرى، ومن ضمنها الإسلاميّه بذريعه تحقيق (النّظام العالميّ).

الثّانى: تدمير البيئه الطّبيعيّه من خلال استخدام التّقنيه المرافق لحرص ونهم الإنسان الليبراليّ.

الثّالث: الانهيار الدّاخليّ الذّاتيّ ومحو ما بقى من أخلاق المسيحيّه وقيم الإنسانيّه.

ومن هنا؛ فعلى المسلمين أن لا ينخدعوا بفكره الحضاره العالميّه الفاقده للهيئه والهويّه، والتّقليد الأعمى للعلم والتّقنيه الغربيّه فيساهموا فى تدمير البيئه الطّبيعيّه وعدم المبالاه بالقيم الدّينيّه والإنسانيّه.

ص: ۲۶۰

ففی عقیده جورج بنارد شاو، إنّ أعظم وأهم التّعالیم المذهبیّه هو (أصاله إعانه البشریّه)، ثمّ یعقّب بذکر بعض الأسباب الّتی یشیر من خلالها إلی أنّ باستطاعه الإسلام إعداد الوسائل الممکنه لوصول إنسان العصر الرّاهن إلی هذا المبتغی.

الاستدلال الأوّل الّذی یذکره برنارد شاو لقابلیّه تعالیم الإسلام لأن تکون مقبوله من عامّه النّاس؛ هو أنّ الإسلام لا یتنکّر للتطوّرات النّاجمه عن (الفلسفه والعلم)، وأنّه أبقی طریق التّقدّم والتّطوّر مفتوحاً علی مصراعیه أمام البشریّه، وأنّ تعالیمه ذاتها تؤدّی إلی رواج الفلسفه والعلم. فمع أنّ الإسلام یحتضن وبانفتاح العلم ومکاسبه، ولکنّه فی ذات الوقت بقی محافظاً علی طهارته وخلوصه الدّائم وعلی قواعده وأسسه.

السّبب الآخر لأفضلیّه الإسلام (احترامه لحقوق الأفراد)، فالإنسان فی الإسلام یتمیز بالکرامه الذّاتیّه والحقوق الطّبیعیّه، ویتعامل مع القضایا المعنویّه والعلمیّه للأفراد باحترام بالغ، ویعدّ نظام المساواه والأخوّه فیه أساساً دینیّاً مهمّا.

«فمسأله (اللون والعنصر) فی عالمنا المتقدّم یُحکم علیها من خلال الأحاسیس الشّخصیّه ولکنّ الإسلام یحارب ویمنع التّمییز بکلّ أشکاله وألوانه».(۱)

فالمسیحیّون لا یمکنهم إنکار الحقائق المهمّه للعالم الإسلامیّ؛ الله من جهه والإنسان من جهه أخری، ودور الإسلام فی إقامه علاقه عقلانیّه ومنطقیّه فیما بین الله والإنسان.

فالمستقبل المادّیّ والمعنویّ للمسلمین یتوقّف علی شرطین:

۱. أنّ بعث الحیاه الإسلامیّه فی العصر الحاضر یؤدّی اجتماعیّاً إلی اکتساب المجتمعات الإسلامیّه قدره وحرکه وحیویّه جدیده.

۱- (۱) السّیّد هادی خسروشاهی، الإسلام؛ الدّین ومستقبل العالم. ویلفرد ول سمیث، الإسلام فی عالم الیوم.

۲. وينفض الغبار الّذى علق بإيمان المسلم واستعادته معرفته البنّاءه بالله وعدله الشّمولىّ.

فإنّ الوهن الأساسىّ للحضاره الغربيّه فى المجالات الفكريّه والاجتماعيّه والثقافيّه يتمثّل فى عدم امتلاكها نظره متوازنه ومتكافئه لجميع النّاس باعتبارهم أفراداً يستحقّون الاحترام، وعدم إحساسها بأنّ لها التزامات متبادله مع الآخرين، كما هو عليه فى الإسلام.

أمّا على الصّعيد السّياسىّ والاقتصادىّ فلا تتقبّل إلّا على مضض بأنّ السّلام والتّطوّر العالمىّ مرهون بالتّطوّر الفكرىّ والتّفاهم البنّاء، ولذا فهى تجيز لنفسها استثمار المصادر الطّبيعيّه المشتركه وإن كانت فى أرض الغير بإىّ طريقه وكيفيّه كانت، وهذا ما يؤدّى إلى عدم إمكان الاستفاده العادله من الثّروات فى العالم.

ما الخطاب الّذى يريد الإسلام أن يوصله إلى العالم ؟

يمتلك الإسلام خطابات متعدّده يمكن أن يلفت انتباه العالم إليها، فبإمكانه طرح فكره العقلانىّ والأصيل الّذى لم يتأزّم مطلقاً كالفكر الفلسفىّ الغربىّ، أو أن يصل إلى طريق مسدود كما وصله. فبإمكانه طرحه على المستوى العالمىّ والتّوفيق فيما بين نظرته الفلسفيّه والعلميّه. فثقافه الإسلام غنيّه بالتّعاليم والقيم الإنسانيّه والأخلاقيّه والمعنويّه الأصيله؛ المعروضه فى أجمل الحلل والقوالب الأدبيّه والفنّيّه وأكثرها رونقاً وجاذبيّه. وكشف النّقاب عن أحاسيسه المملوءه بالمحبّه، الإخلاص، الوفاء، العفو والإيثار، المساواه والمواساه، خدمه الآخرين والالتزام بالأصول الإنسانيّه الراقيه؛ كى يروى غليل البشريّه المتعطّشه للمعنويّه والمحبّه.

ص:۲۶۲

وبإمكانه إراءه تعريف عقلانيّ وعرفانيّ وعلميّ كامل للإنسان، بـدل التّعريف الّـذى تعرضه نزعه الفلسـفه الإنسانيّه الغربيّه والّذى يعـدّ من أكثر النّظرات خطراً وانحطاطاً للإنسان، وإخراج العلم المعرفىّ للغرب ومعرفته للإنسان والعالم من هـذا الانسداد الفكرىّ والفلسـفىّ الّذى وصله. فالمعرفه الذّاتيّه للإنسان الشّرقىّ تجعله أكثر لطافه ورحمه فى تعامله مع نفسه والعالم، ولكن نظره الإنسان الغربىّ القاسيه والجافّه لبنى جنسه وللطبيعه خلقت أزمات متعدّده كبّلت العالم والبشريّه بأغلالها.

ويتعرّض جان سبرزيتو فى كتابه «الإسلام صراط مستقيم» لتحليل موجز وجديد عن الإسلام من خلال تقصّيه فى مجالات ظهوره وانتشاره وتبلور المعتقدات والرؤى الإسـلاميّه على صـعيد (التقنين، الإلهيّات، الفلسـفه، العرفان والعلوم الأخرى)، وسعى فيه أيضاً إلى بيـان وكيفيّه ارتبـاط المسـلمين بأسـلوب الحيـاه الإسـلاميّه، ومن خلال طرحه لمشاكل المسـلمين على نطاق واسع يشـير إلى موضوع شموليّ ومهمّ؛ وهو هاجس الأديان الإبراهيميّه من شيوع العلمانيّه واضمحلال الإيمان والقيم الإنسانيّه.

ويشـير فى النهايه إلى الغليان الّذى تعيشه كثير من مناطق العالم الإسـلامىّ لوضع قدميها على جادّه الثّوره الإسلاميّه، ولكنّ أهمّيّه وانتشار مثل هذه الثّوره لا تنطلق من كونها قنبله تدميريّه أو عنفاً أو إرهاباً؛ وإنّما من كونها تطوّراً علميّاً يشمل كافّه جوانب الحياه وعوده إلى الهويّه الأصيله.

هل باستطاعه الإسلام قياده العالم فى العصر الرّاهن ؟

يمكن الإجـابه على هـذا السّؤال من خلال حـديث شـاو، الكـاتب والمحقّق الإيرلنـدى، المعروف بكتبه على المسـتوى العالمىّ، فيقول: «أنا على الدّوام منبهر ومندهش من دين محمّد لتميّزه بالحيويّه، وأكنّ له فائق الاحترام، وفى

رأیی أنّ الإسلام هو المذهب الوحید الّذی له قابلیّه الانسجام مع المتغیّرات الحیاتیّه فی القرون المختلفه، واعتقد وکما تتّضح آثار ذلک حالیّاً بأنّه سیکون موضع ترحیب أوربا الغد»

ویقول فی موضع آخر: «فی عقیدتی أنّه لو کان مثل (محمّد) حاضراً فی عالم الیوم فإنّه سیوفّق فی حلّ مشاکل العالم وأزماته ویبسط السّلام والسّعاده الّتی تتأمّلها البشریّه».(۱)

لقد أسّس الإسلام البنی الاجتماعیّه اعتماداً علی العقل والأصول الدّینیّه، وقام بتقویه المؤسّسات المدنیّه والاجتماعیّه، وأسّس فی هذا المجال مؤسّسات رائعه؛ فالاجتماع الإسلامیّ لیس اجتماعاً طبقاتیّاً، بل علی العکس من ذلک فهو یحارب الطّبقیّه والتّمییز بکافّه أشکاله وألوانه، فإنّ ملاک الحضاره الإسلامیّه هو الاعتراف بالحقوق والکرامه الذّاتیّه للإنسان وحقّ اختیاره وتقریر مصیره بنفسه، والسّعی لتنمیه وتفتّح مهارات الفرد والمجتمع.

وترتکز الحضاره الإسلامیّه علی أساس العلم والجدّ والعمل والتّقوی والهدفیّه والقیم الإنسانیّه والإسلامیّه (محوریّه التقوی، العقلنه، محوریّه العداله، خیر وصلاح المجتمع البشریّ) الّتی استلهمت جمیعها من الإسلام.

أمّا أسسها السّیاسیّه؛ فهی تؤکّد وبشدّه علی محاربه وإسقاط الحکومات الطّاغوتیّه والاستبدادیّه والحکومات غیر العادله (ذات الاتّجاه المعارض للإنسانیّه والمذهبیّه).

ویهیّء الإسلام الأرضیّه المناسبه لنمو وازدهار وارتقاء جمیع أفراد المجتمع ویعترف ویحترم حقوق الجمیع من کلّ جنس وصنف وقوم وقبیله ولون وعرِق.

۱- (۱) برنارد شاو، رساله التّوحید وأفکار الیوم، ص ۴۷-۴۸.

ویـدین الظّلم والتّجـاوز علی حقوق الآخرین بکلّ أشـکاله ویعتبره أمراً مخالفاً للشّـرع والقانون. والملاحظه الجـدیره بالانتباه هنا؛ هی أنّ أغلب الحقوق فی الإسلام هی حقوق ذاتیّه وطبیعیّه ولیست عقدیّه أو علی سبیل المنحه أو التّوافق.

ویحول دون جمیع معوّقـات التّنمیه والسـعاده الفکریّه والثّقـافیّه والسّیاسـیّه والاقتصـادیه للمجتمع ولأـیّ فرد منه وبأیّ باعث کان، ویخطّط لآفاق النّمو والکمال والازدهار بأقصـی درجاته ولجمیع أبناء البشریّه. ویعتبر حقّ الدّفاع عن الحقوق الفردیّه والاجتماعیّه حقّاً ذاتیّاً ومشروعاً وواجباً.

آراء بعض العلماء بالإسلام

۱. یقول البروفسور والمستشـرق الغربیّ ارلبری فی کتابه (العقل والوحی فی الإسـلام): «فکما أنّ الإسـلام یعـدّ حرکه مـذهبیّه فی جذوره وأصوله، فهو حرکه سیاسـیّه کذلک، وبعباره أخری لا یوجد أیّ اختلاف بین مذهبه وسیاسـته، وقد أقیم الاسـتدلال علی أنّ تعیین القیاده والقائد کان من أُولی الخطوات الأصیله والجذریّه فی تاریخ الإسلام».

۲. وتکتب مارغریت مارکوس فی کتابها (الشّـرق الأوسط ومؤامره الشّـرق أوسطیّون): «مع أنّ الحضاره الإسلامیّه تعیش الضّعف والانحطـاط ویتعرّض المسـلمین للقهر والغلبه من قبل الأیـدیولوجیّات الأجنبیّه، ولکنّ الإسـلام لازال یتمتّع بقوّه وحیویّه فی عالم الیوم، حتّی عُدّ المنافس الأوحد القویّ والمهیب للإلحاد والمادّیه فی هذا العصـر».(۱) فمع أنّ المستشرقین الغربیّین عکسوا القیم والتّعالیم الإسلامیّه الوضّاءه بأسلوب غیر واقعیّ لحاجه فی نفس یعقوب، وعرّفوا الإسلام علی أنّه مذهب سیاسیّ حیناً، ومجرّد

۱- (۱) مارکوس، مارغریت: الشّرق الاوسط ومؤامره الشّرق أوسطیّون.

مـذهب معنویّ جـافّ ذی مناسـک وعبـادات شـاقّه عرفـانیّه وصوفیّه حینـاً آخر؛ و لکنّنـا نعلم بأنّ الإسـلام مـذهب شامل وکامل ومذهب اجتماعیّ فعّال وناشط ومذهب تحرّریّ وعقلانیّ وبنّاء.

۳. ویعتقد روجیه غارودی الفیلسوف الفرنسیّ الّذی أسلم حدیثاً:

«أنّ القـدره البرهانیّه والاسـتدلالیّه والحقائق الواضـحه للإسـلام والّتی تنسـجم مع الفطره؛ جعلت من منهجه منهجاً عالمیّا للبشـریّه جمعاء، وعلی الخصوص بعد اندحار وخیبه الأیدیولوجیّات الاشتراکیّه والرأسمالیّه وأمثالها الّتی کانت تدّعی قدرتها علی إیصال البشـریّه إلی سـعادتها المنشوده».(۱) ویشـیر إلی «أنّی عـثرت علی الاـشتراکیّه والمسـیحیّه فی الإسـلام» ویقـول: «تتمیّز القـوانین الإسلامیّه بشمولها کافّه وجوه الحیاه مع محافظتها علی القیم المعنویّه».(۲)

۴. ویقول أحـد المفکّرین البوسـنائیّین: «یعتقـد أغلب المحلّلین العالمیّین وبعض المفکّرین الغربیّین کـذلک؛ أنّ الحضاره الغربیّه تمرّ فی أزمه معنویّه کبری، وأنّ هـذه الأزمه فی حاله توسّع وانتشار حتی عصـفت بجمیع مؤسّـسات وأعمـده النّظام الغربیّ وکذا بالحیاه الاجتماعیّه فیه».(۳)

۵. ویقول لوی کار استاذ فرع الحضاره الإسلامیّه فی جامعه باریس فی تحلیلٍ لحاجه الغرب إلی الإسلام:

«إنّ الفراغ النّاشـئ من فقـد الرّوح والمعنویّه فی العـالم المـادّیّ الغربیّ أدّی بالعالم المعاصـر إلی البحث عن ما یوازن بین المادیّه والمعنویّه، ویستطیع الإسلام القیام بهذا الدّور».(۴)

۱- (۱) منوجهر دبیر سیاقی، ماذا یجری فی الغرب، ص ۲۸۸، حوار صحفیّ.

۲- (۲) المصدر نفسه، ص ۲۳۷.

۳- (۳) میر أحمد رضا حاجتی، عصر الإمام الخمینیّ، ص ۲۲۰، «باللّغه الفارسیّه».

۴- (۴) نشره الرّساله الثّقافیّه، ربیع ۱۹۸۷، ص ۳۶.

«فی رأی مفکّری الغرب الواعین أنّ سرّ الأزمه الشّامله للحضاره الغربیّه والّتی لا یمکن إنکارها؛ لم یکن سوی إعراضها عن الوحی والمعنویّه، ولا یمکن علاج هذه الأزمه وهذا الدّاء إلّا بالعوده إلی الفکر المعنویّ والمنطقیّ للإسلام».(۱)

عوامل استعاده الهویّه الإسلامیّه (عوامل التحضّر الإسلامیّ)

۱. ینبغی العمل علی تقویه روحیّه الشّباب المسلم لیتکوّن لدیه إحساس بالقوّه والعزّه، ویعدّ التّعریف بالشّخصیّات الإسلامیّه العظیمه وبالنّوابغ والتّراث الثّقافیّ والإمکانات العلمیّه والتّاریخیّه والوطنیّه من أفضل السّبل فی هذا المجال.

۲. تحفیز الشّباب للسّعی نحو طلب العلم واکتساب العلوم والتّحقیق والتّعقّل والعنایه القصوی بما أکّد علیه الإسلام علی صعید التّعلّم والتّفکّر وقیمه العلم والعلماء؛ لیکتسب العلم صفه العموم علی مستوی الأفراد وعلی مستوی الفروع المعرفیّه.

۳. سعی عموم المسلمین للتّوحّد والتّضامن والتّفاهم والانسجام فیما بینهم، وبذل الجهد لمحو وإزاله جذور الخلاف وسوء الظّن والعصبیّه والالتفات إلی أنّ الوحده والأخوّه الصّادقه کانت من أعظم العوامل وأهمّ الأسباب الّتی ساعدت علی تقدّم المسلمین فی صدر الإسلام، وأنّ الاختلاف والفرقه من العوامل الأساسیّه فی انحطاطهم وأفول نجمهم.

۴. مبادره جمیع المسلمین وممثّلیهم وعلی الخصوص القاده الفکریّین والدّینیّین للتخطیط لتربیه الشّباب تربیه دینیّه وأخلاقیّه علی أساس الهویّه الإسلامیّه لیبقی عنصر الإیمان وهّاجاً فی قلوبهم ویکون فی ذلک بصیص أمل وقوّه للوصول إلی العزّه فی طریق التّقدّم والتّطوّر. وعدم تناسی أنّ التّخلّف والفقر وفقد الإحساس بالمسؤولیّه الاجتماعیّه والدّینیّه واللا إیمان والفساد

۱- (۱) میر أحمد رضا حاجتی، عصر الإمام الخمینیّ، ص ۲۲۰.

الأخلاقیّ کان من أهمّ العوامل الّتی أدّت إلی سقوط الحضاره الإسلامیّه وانهزام المسلمین أمام مخطّطات وضربات الصّلیبیّین فی الأندلس.

۵. وعلی المفکّرین والمحقّقین الإسلامیّین؛ بیان المعارف الدّینیّه والحقائق الإسلامیّه بأفضل وسائل الاستدلال وأوضح طرق البیان اتّباعاً لأسالیب الأنبیاء، وبعیداً عن الانحراف الفکریّ والعملیّ والتحریف والخرافه والسّطحیّه، وتنقیه الدّین ممّا علق به من الآفات والأضرار والتّهم.

إنّ الثّقافه الغربیّه المستورده تفقد فی کلّ یوم یمرّ علیها بعضاً من نفوذها فی مقابل الثّقافه الإسلامیّه الّتی ترتکز علی التّکامل المعنویّ والارتقاء الرّوحیّ. فمع کلّ هذا التّطوّر والتّقدّم الصّناعیّ والبحث العلمیّ الّذی شهده الغرب والعالم تبقی للثّقافه الإسلامیّه جذّابیّتها الخاصّه لدی قطّاعات الشّباب.

فلم تستطع تلک المظاهر الغربیّه أن تزعزع ارتباط المسلمین بمعنویّه الإسلام، بل نبّهتهم إلی ضروره تعزیز إیمانهم بالله والأمل بالمستقبل والتّعلّق بالتّجربه الإسلامیّه فی صدر الإسلام، ولکنّهم من جهه أخری؛ لابدّ أن یذعنوا بأنّ الإسلام إذا أراد أن یلعب الدّور المطلوب منه علی السّاحه العالمیّه فی مثل هذه الظّروف العالمیّه؛ أن یخطوا فی ساحه التّقدّم العلمیّ والتّقنیّ بموازاه ما یمتلکونه من إیمان مذهبیّ وقیم أخلاقیّه.

والإسلام قادر دون شکّ علی توظیف التّجارب والنّظریات السّیاسیّه والاقتصادیّه والعلمیّه للأمم الأخری. وعلی العالم الغربیّ أن یخطوا بدوره لمحاوله معرفه الإسلام بحقائقه وواقعیته الّتی لا یحجبها حجاب، وتقویم ما یمکن أن یضطلع به من دور، من خلال برامجه وتعالیمه الفعّاله والمتجدّده للتّخفیف من وطأه المشاکل الّتی یعیشها العالم وإیجاد الحلول المناسبه لها. فالکتّاب الغربیّون الّذی یعیشون قلقاً مستمرّاً فی کافّه شؤون حیاتهم جرّاء التّقدّم التّقنیّ؛ لم یحاولوا أن یفصحوا عن ذلک ولم یحاولوا فی هذا المجال

أن یستقرؤا الرّؤیه الإسلامیّه بشمولیّتها الّتی تری أنّ القضاء علی هذا القلق والاضطراب من أولی مهامها وذلک من خلال تقویه روح الإیمان وبسط العداله الاجتماعیّه.

فالأمّه الإسلامیّه الّتی تفتّش عن نظام یعید لها أصالتها الحیاتیّه تأمل من الإسلام أن یقوم بهذا الدّور بثقافته الأصیله والحیویّه بعد أن ضلّت طریقها من خلال رکوبها موجه المظاهر المادّیّه للحضاره الغربیّه.

تحلیل نظریّه تعارض الإسلام مع العولمه

یعتقد بعض المفکّرین والباحثین؛ بأنّ العولمه الفعلیّه تتعارض والثّقافه الإسلامیّه والفکر الدّینیّ، ویستدلّون علی مدّعاهم هذا بأنّ الثّقافات والمجتمعات لیست علی قدم المساواه والقدره فی الحصول علی التّقنیه أوّلاً، وعدم قیامها بدور مشترک فی عملیّه بلوره وتحقّق تلک التّقنیه ثانیاً، أمّا ثالثاً؛ فإنّ ردود أفعال الثّقافات والاتّجاهات القومیّه والمحلّیّه تّجاه العولمه ونمو وتبلور الهویّات الجدیده؛ تحکی عن تعارضها وعدم انسجامها مع عملیّه العولمه. ویؤیّد هذا الرأی ویؤکّد علیه ارنست غلنر فیقول: «یوجد نوع من عدم التّوافق بین الدّعوی الّتی تقول بأنّ التّعالیم الغربیّه تتحوّل إلی تعالیم عالمیّه وشمولیّه فی عملیه العولمه وبین التّعالیم الإسلامیّه، ویؤدّی عدم التّوافق هذا إلی محاوله الطّرفین للقضاء علی أحدهما الآخر، فالأصولیّه الإسلامیّه تحاول إعاده بناء وتحدیث نفسها لإحساسها بخطر محو هویّتها الإسلامیّه. ونحن نشاهد تقلید بعض المجتمعات الإسلامیّه للغرب تقلیداً أعمی وغیر مدروس وتبعیّتها ومحاکاتها لثقافته من جهه، ویقظه وصحوه تلک المجتمعات من جهه أخری خشیه فقد هویّتها فی ظلّ تلک العملیّه. فکما أنّ نهضه إحیاء الفکر الدّینیّ وإصلاح المجتمعات الإسلامیّه برزت کردّ فعل

على التّسلّط والنفوذ الاستعماريّ، فإنّ هذا التّقليد وهذه التّبعيّه لثقافه الغرب التّسلّطيّه يعدّ تهديداً جدّيّاً لها».(۱)

فالمسلمون اليوم بحاجه أمسّ من أىّ وقت مضى إلى الاطّلاع على التّقدّم والتّطوّر العلمىّ والثّقافىّ والحضارىّ العالمىّ. وتشمير سواعدهم لنقده وتقييمه لاختيار ما هو إيجابىّ ومفيد، وعدم الغفله عن قابليّات وإمكانيّات الدّين الإسلامىّ، وطرح الخوف والهيبه من الغرب جانباً.

إنّ المجدّدين الدّينيّين يعتبرون الإسلام ديناً شاملاً ذا رساله عالميّه تعمّ جميع أفراد البشريّه. وأنّ الرساله الأساسيّه للإسلام - باعتباره آخر الأديان التّوحيديّه - هى هدايه الإنسان إلى عباده الله والخلاص من عباده النّاس والطّواغيت والانعتاق من الاستبداد والجهل والأميّه. وتعدّ الكرامه الإنسانيّه والعداله الاجتماعيّه والحرّيّه الفكريّه وحرّيّه التعبير والمشاركه فى تقرير المصير الفردىّ والسياسىّ والاجتماعىّ من الأهداف الرئيسيّه للدّين الإسلامىّ الحنيف.

وأنّ الرؤيه العالميّه والشّامله للإسلام تؤيّد وتدعو إلى السّلام مع أتباع الأديان الأخرى واحترام جميع الثّقافات. فالتّعاليم العدالتيّه للإسلام وسعيه للسّلام والتّفاهم والمساواه والأخوّه والعقلانيّه وتثمين العلم والعلماء، تعدّ أرضيّه مناسبه للقبول به عالميّاً، وممّا يؤدّى إلى ضمان تجدّده وديمومته، فلذا لا يمكن لهذه الثّقافه الغنيّه والشّموليّه أن تبقى محصوره فى نطاق حدودها الجغرافيّه الضيّقه.

أمّا هل أنّ الإسلام ينسجم والمنهج التّقنى للعولمه أم أنّه يقف على خط النّزاع والتّعارض معه؟ فجوابه ليس بتلك السّهوله المتصوّره، نظراً للآراء المختلفه الّتى نادت بها كلا مدرستيهما الفكريّتين. ولكن من الممكن القول وبصوره إجماليّه؛ إنّ هناك اتّجاهات متعدّده تطرح على هذا الصّعيد:

۱- (۱) نيل مارفيلت، العولمه والعالم الثّالث، ص ۱۳۳، «التّرجمه الفارسيّه».

۱. إنّ الإسـلام ينسـجم والبعـد التّقنى للعولمه ولاـ ينكر عليه ذلـك أبـداً، ويعتقـد بأنّ التّقنيه مكسب علمىّ وجاءت نتيجه الإراده والإبـداع والعقلاـنيّه لتحسـين وتنظيم ظروف الحيـاه العـالميّه، وإذا أخـذنا بنظر الاعتبـار القرائن والشّواهـد الّتى يمكن قراءتها فى التّعاليم الدّينيّه؛ فإنّ أساس الإبداع والإنتاج العلمىّ لا يتنافى وتعاليم الإسلام فحسب، وإنّما تعدّه أمراً معقولاً ومقبولاً ومرحب به.

۲. الاتّجـاه الآـخر يرتبـط بكيفيّه الاسـتخدام والاسـتفاده من هـذه التّقنيـات والمكـاسب العلميّه والّذى يتعلّق بـالجوانب الإنسـانيّه والأخلاقيّه والتّكليفيّه والحقوقيّه، ففى هذا المجال ينبغى القول؛ بأنّ الإسـلام يتّفق وينسـجم مع تعدّديّه العصـرنه وعقلانيّه التّفاهم فيما بين البشر. وهو من حيث الأساس يؤيّد ويوافق على استخدام الآلات والأدوات فى طريق تحقيق الأهداف العقلانيّه المنشوده. فعلى هذا الأساس ينبغى النّظر فى أنّ الواقع هل هو كذلك أم لا؟.

إنّ مسـلمى عالم اليوم فقـدوا ولأسـباب مختلفه القـدره والأرضـيّه للتّقدّم والتّخطيط للتّنميه، وغدوا فى أمسّ الحاجه إلى الآخرين على أصـعده عدّه إلى درجه سُـلبوا أبسط وسائل العيش. ففى العالم المتقدّم الّذى نعيشه وصلت التّقنيه إلى أوج تطوّرها حتى أنّ عقلاً ألكترونيّا بإمكانه اسـتنتاج حلّ (۴۰۰ ألف) مسأله فى دقيقه واحـده.، فهـذه القـدره العلميّه والإبداعيّه الخارقه تمخّضت عن العقل الإنسانىّ وتوظيفه فى مجاله الصّحيح، فتتوفّر اليوم أجهزه كامبيوتريّه مختلفه تستطيع تسجيل وتنظيم وخزن (ملايين) الكتب والموضوعـات العلميّه، بينمـا نلاحـظ أنّ هنـاك (مليارد) مسـلم يمتلكون أفضل الإمكانات والمصادر العلميّه والفكريّه والثّروات الاقتصاديّه، يعيشون الفقر والتّبعيّه للمسـتعمرين والنّظام الإمبريالىّ وكأنّ التّخلّف ختم على جبينهم (لَقَدْ كانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَهٌ) ، فإنّ حكايه أهل الباطل وسيطرتهم على الأمّه

الإسلاميّه تعدّ عبره ما بعدها عبره. فالمسلمون الّذين أقاموا أعظم حضاره عرفها التّاريخ، ويمتلكون رصيداً علميّاً واقتصاديّاً وسياسيّاً ضخماً وأعظم المفكّرين الّذين ترعرعوا فى أحضانه، وبنفوسهم الّتى تتجاوز (المليارد) نسمه، وبقوانينهم الإسلاميّه الراقيه الّتى تعتمد على العقل والوحى؛ يزدادون ضعفاً وتخلّفا يوماً بعد يوم.

ولكن مع هذا كلّه؛ فإنّ هناك أطروحات جديده لأجل إعاده النّظر فى فهم الدّين، فالتّجديد الفكرىّ للتّنويريّين الإسلاميّين والباحثين الجدد استطاع توفير متطلّبات المراحل النّهائيّه لما يمكن أن يقوم به العالم الإسلامىّ من دور على الصّعيد العالمىّ، فبرزت اليوم ثلاثه اتّجاهات أساسيّه فى داخل العالم الإسلامىّ:

١. التّحديث والبحث الدّائب عن التّغيير على أمل الخلاص من الاستعمار السّياسىّ والاقتصادىّ للغرب.

٢. توظيف أرقى الأفكار والقابليّات فى مجال الكفاح السّياسىّ والتّحرّرىّ.

٣. الاهتمام بالعلم ومكاسبه الحديثه والاستفاده منها على طريق الوصول إلى الأهداف الإسلاميّه الراقيه.

فربّما يمكن من خلال ذلك تحقيق تحديث الإسلام فى إطار الاتّجاه نحو العلم العقلانىّ.

ولأجل توضيح العلاقه الدّقيقه فيما بين العلم والعولمه؛ ينبغى الالتفات إلى الاتّجاهات المختلفه فى هذا المجال:

١. اتّجاه يسعى لإعاده تقييم المسائل الأساسيّه للمذاهب الفكريّه والثّقافيه العالميّه المتنافسه والّتى تدّعى القيم والحقائق الشّموليّه، وذلك فى إطار نظام ثقافىّ عالمىّ، وبضمنها الإسلام.

٢. الاتّجاه الثّانى يربط فيما بين التّعدّديّه الثّقافيّه القائمه على أساس ما بعد الحداثه والاتّجاه الأصولىّ القائم على أساس القيم والعقائد الدّينيّه المنسجمه.

ص:٢٧٢

ففى رأى والرشتاين أنّ العالم يسير فى نظام امبراطورىّ عريض وبزخم كبير باتّجاه العولمه؛ يترابط أساسه الاقتصادىّ بواسطه الأنظمه السّياسيّه المحلّيه المستبدّه. فإذا عمّمنا هذا الاستدلال على نسيج الأنظمه المذهبيّه العالميّه، يبرز الإسلام والمسيحيّه كأديان عالميّه، وسنواجه فى هذه الحاله بشكل خاصّ مشكله إقامه العلاقه مع الأنظمه السّياسيّه المحلّيه. وسيساعد تطوّر وظهور وسائل اتّصال حديثه على ازدياد تلك العلاقات وبشكل واسع وكبير.

فالإسلام باعتباره ديناً عالميّاً ذا أبعاد اجتماعيّه، فرديّه، سياسيّه، اقتصاديّه، عقلانيّه وعرفانيّه؛ أوسع وأشمل من النّظريّات السّياسيّه والعرفانيّه والقراءات الطّائفيّه والفئويّه الخاصّه؛ ويقوم على دعائم الإيمان والتعليم والتّربيه والإنسان والاجتماع والحكومه والعرفان والممارسات العباديّه... الخ؛ يختلف والقراءات الرّائجه للفرق المختلفه الّتى ظهرت فى أدوار التّاريخ الإسلامىّ.

إنّ الإسلام هو الوحيد من بين الأديان الّذى لا يتنكّر لدور العقل والعلم، ويضع الإنسان بوجوده الواقعىّ والموضوعىّ فى مقام أسمى ممّا تضعه فيه المدارس الوضعيّه، ويرسم دوره على أساس معرفه عميقه وشامله وكامله لنظام الوجود وفلسفه خلافه الإنسان. فالإسلام الّذى يضفى على الإنسان صفه (الخليفه الإلهىّ) ويسمو به من خلال وضع الطّبيعه بجميع أبعادها تحت تصرّفه وإرادته وعلمه، ويأخذ فى عين الاعتبار منزلته العقليّه والمعنويّه الرفيعه، بحيث يخرجه وينأى به بعيداً عن خصائص الحيوانيّه والميول الشّهوانيّه والمادّيه، ولا يضع حدوداً بوجه نموّه وتطوّره وتكامله.

عولمه الإسلام

يعرض القرآن الكريم الإسلام على أنّه دين كامل ورفيع، وأنّه الدّين الّذى سيظهر على جميع الأديان والمدارس والثّقافات من خلال إراده الله وسنّته الحتميّه فى الهدايه والحيلوله دون تغلب الكفر والباطل على الحقّ، ويتحقّق بذلك الوعد الإلهىّ بغلبه دينه الحقّ (هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) : «فبنظره مستقبليّه إلى التّقدّم الحاصل فى العلم والفكر ويسر الاتّصالات؛ يتّضح جليّاً كيف أنّ الحقائق ستبرز من خلف ستار الإعلام المضلّل والمنافق. وكيف أنّ المعوّقات الّتى وضعها أعداء الحقّ فى طريقه ستُنسف وتغدو هشيماً تذروه الرّياح؛ لينتشر الحقّ ويعمّ كافّه بقاع العالم؛ وذلك لكون جبهه الكفر والنّفاق تسير باتّجاه معاكس للسّنّه الإلهيّه الحتميّه وفلسفه الخلق».(۱)

وقد عرض بعض المفكّرين وعلماء الدّين وجوهاً لكيفيّه غلبه الإسلام على الأديان الأخرى؛ من جملتها الغلبه المنطقيّه والعقلانيّه والّتى تتمّ من خلال القبول بالفطره النّقيّه والعقل السّليم. البعض الآخر ومن خلال بيان موارد الضّعف والخلل والتّحريف الّتى ابتليت بها الأديان الأخرى؛ يثبتون بأنّ الإسلام يتميّز بميزات عقلانيّه متعدّده وأنّه دين خالص ينسجم والفطره ويؤمّن جميع الحاجات البشريّه ويتّفق والعقل والعلم والظّروف الزّمانيّه والمكانيّه لجميع المجتمعات.

وأمّا من خلال النّظره الدّينيّه الدّاخليّه؛ فإنّ كلّ مسلم وعلى أساس التّعاليم الإسلاميّه يعتقد بعالميّه وخلود الإسلام، ويعتبر ذلك من

۱- (۱) ناصر مكارم الشيرازى، التّفسير الأمثل، ج ۷، ص ۳۷۰.

المسلّمات الضّروريّه له، وممّا يؤيّد هذه الحقيقه الإجماع المتحقّق فيما بين المسلمين حولها، وكذا وجود البراهين العقليّه والنّقليّه والشّواهد التّاريخيّه فى هذا المجال.

ويؤكّد القرآن المجيد هذه السّمه العالميّه للإسلام فى آيات قرآنيّه صريحه وواضحه، والّتى يمكن الإشاره إلى بعض مواردها:

١. الآيـات الّتى تصف القرآن بالهـادى لجميع النّـاس وفى جميع الأـزمنه، كالآـيه (١٨٥ من سـوره البقره) والآـيه (٢٧ من سـوره التكوير).

٢. الآيات الّتى يتّسم خطابها بالشّمول والعموم لجميع النّاس، والّتى لا تقتصر دعوتها على قوم أو عِرق أو منطقه معيّنه.

٣. الآيات الّتى تبيّن أنّ رساله نبىّ الإسلام تشمل جميع النّاس وأنّ خطابه ورسالته عالميّه وأنّه نبىّ العالم أجمع، أمثال:

(وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلاّ رَحْمَهً لِلْعالَمِینَ) .(١)

(وَ أُوحِیَ إِلَیَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَکُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ) .(٢)

(وَ أَرْسَلْناکَ لِلنّاسِ رَسُولاً) .(٣)

(قُلْ یا أَیُّهَا النّاسُ إِنِّی رَسُولُ اللّهِ إِلَیْکُمْ جَمِیعاً) .(۴)

(وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلاّ کَافَّهً لِلنّاسِ بَشِیراً وَ نَذِیراً...) .(۵)

۴. مجموعه الآيات الّتى توضّح أنّ أحكام وقوانين الإسـلام عامّه وشامله لجميع أبناء البشريّه من كلّ لون وعنصر ولغه، ولم تُحدَّد بجهه خاصّه.

١- (١) الأنبياء، ١٠٧.

٢- (٢) الأنعام، ١٩.

٣- (٣) النّساء، ١۵٣.

۴- (۴) الأعراف، ١۵٨.

۵- (۵) سبأ، ٢٨.

۵. الآيات الّتى تُلزم أهل الكتاب بقبول الإسلام والإيمان بدعوه نبيّه، كالآيه الّتى تقول: (وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتابِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ) (۱).

۶. الآيات الّتى وعدت بغلبه الإسلام على كافّه الأديان، وتشير على أنّه دين عالميّ: (هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) .(۲)

۷. الآيات الّتى تبيّن التّعاليم العالميّه للإسلام، فإنّ سنخيّتها العالميّه وعدم اختصاصها بمنطقه محدّده تدلّل على عالميّه الإسلام؛ أمثال: التّعاليم الّتى تؤكّد على حقيقه التّوحيد والمعاد، والّتى تنفى الاتّجاهات الثّنويّه والتّثليثيّه والاتّجاهات الإشراكيه المشابهه:

(قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَهٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ) .(۳)

ويعلن القرآن الكريم فى سوره الفتح عالميّه الإسلام وعموم تعاليمه العالم أجمع، فبعض مفسّرى الآيه المتقدّمه يرون بأنّ هذه القضيّه لابدّ وأن تتحقّق؛ لكونها وعداً إلهيّاً حتميّاً، وأنّ سرعه تفشّى الإسلام ونفوذه المتعاظم فى جميع المجتمعات يعدّ دليلاً على صبغته العالميّه المتوخّاه. ولكن طبقاً للرّوايات الّتى أشارت إلى البرامج العالميّه للإمام المهدىّ عجل الله تعالى فرجه الشريف تكشف عن أنّ العالميّه المنتظره للإسلام لا تتحقّق إلّا بظهوره عجل الله تعالى فرجه الشريف. وينقل العلّامه الطّبرسىّ رحمه الله فى كتابه (مجمع البيان) حديثاً بهذا المضمون عن الإمام الباقر عليه السلام «أنّ ذلك يكون عند خروج المهدىّ فلا يبقى أحد إلّا أقرّ بمحمّد صلى الله عليه و آله».

ويبدو أنّ أىّ جهد يبذل لجعل النّاس متماثلين سيمنى بفشل ذريع؛ ففى عقيده علماء النّفس والاجتماع وكذا القرآن؛ أنّ هناك فروقاً ذاتيّه عِرقيّه

۱- (۱) آل عمران، ۱۱۰.

۲- (۲) أصاله العقلانيّه و تعلّم الحكمه.

۳- (۳) أصاله العدل وطلب العداله: (اعدلوا هو أقرب للتقوى).

وذهنيّه وعاطفيّه وذوقيّه فيما بين النّاس. ويشير القرآن الكريم إلى أنّ هذه الفروق فروقاً تكوينيّه وجوهريّه ليس باستطاعه الإنسان تغييرها:

١. (إن فی اختلاف ألسنتكم و ألوانكم... لآيات لأولی الألباب).

٢. (وَ لَوْ شاءَ رَبُّکَ لَجَعَلَ النّاسَ أُمَّهً واحِدَهً وَ لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ) .(١)

إنّ المظهر الأساسیّ للعولمه الغربيّه هو التّسلّط والسّيطره وممارسه الضّغوط على المظلومين لإخضاعهم وإجراء ما يطمحون إليه.

فی حال أنّ النّداء الخالد للإسلام يدعو إلى الحرّيّه وحقّ الاختيار العقلانیّ بعيداً عن أیّ نوع من الإكراه والإجبار.

(لا إِكْراهَ فِی الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَیِّ) .(٢)

ومن جهه أخرى فإنّ العولمه الّتی هی بحسب اعتراف الغرب مفروضه فرضاً وعلى أساس معايير الحضاره الغربيّه وتقول فی الوقت ذاته بأصاله حرّيّه واختيار الإنسان تتضمّن تناقضاً ظاهريّاً، كما هو واضح.

أدلّه شموليّه وعالميّه الإسلام

إنّ الإسلام دين عالمیّ وعامّ لا يختصّ بقوم وعِرق ولغه وبلد دون غيره، وهو عباره عن مذهب إنسانی عظيم جاء من أجل هدايه وسعاده ونجاه كافّه أفراد البشريّه. فعموم وعالميّه الإسلام حقيقه قاطعه وبديهيّه لا يشكّ أو يختلف عليها المسلمون، فكلّ المذاهب الإسلاميّه ومفكّريها يعتقدون بذلک ويعتبرونه من ضروريّات الإسلام ومن المحكَمات الأساسيّه للقرآن الكريم.

وسنحاول فی هذا البحث مطالعه الأدلّه النّظريّه فی كون الإسلام ديناً عالميّاً وحتميّه عولمته والّتی ستتحقّق على يد الإمام المهدیّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، وكذا

١- (١) هود، ١١٨.

٢- (٢) البقره، ٢٥٦.

بیان ماهیّه العولمه الإسلامیّه وعلاقتها ومقارنتها بمسار العولمه الفعلیّه الّتی یمرّ بها العالم.

فإنّ کون الإسلام دیناً عالمیّاً یمکن إثباته من خلال ما جاء فی الإسلام من عالمیّه نبوّه نبیّه وخاتمیّه رسالته، وکذلک بناءً علی أسسه العقلیّه والعلمیّه وانسجامها وتوافقها مع الفطره الإنسانیّه.

فالأحکام والقوانین الإسلامیّه بإمکانها الإجابه عن أسئله العالم المعاصر فی إیجاد الحلول المناسبه للخلاص من أزماته المستعصیه والمتعدّده والعبور به إلی شاطئ الأمن والسّعاده؛ فإنّ أمماً کثیره تعایش حالیّاً تحوّلات لها عواقب سلبیّه وغیر محموده.

ویمکن الإشاره إلی عالمیّه الإسلام من خلال بعض النّصوص القرآنیّه الّتی تؤکّد وبصراحه هذه الحقیقه النّاصعه:

۱. عالمیّه رساله نبیّ الإسلام صلی الله علیه و آله: (قُلْ یا أَیُّهَا النّاسُ إِنِّی رَسُولُ اللّهِ إِلَیْکُمْ جَمِیعاً) .(۱)

۲. نزول القرآن لکافّه النّاس: (وَ ما هُوَ إِلاّ ذِکْرٌ لِلْعالَمِینَ) .(۲)

۳. (وَ مَنْ یَرْغَبُ عَنْ مِلَّهِ إِبْراهِیمَ إِلاّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ) ؛ وتبیّن هذه الآیه بأنّ تعالیم الإسلام السّماویّه والّذی هو دین التّوحید والفطره والعداله والنّجاه والکمال؛ تتمیّز فی رؤیه الإنسان الحرّ وذی العقل السّلیم بالجذّابیّه علی طول الزّمن.

۴. إنّ الإسلام یتضمّن قوانین منسجمه تتطابق والفطره البشریّه: (فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِی فَطَرَ النّاسَ عَلَیْها لا تَبْدِیلَ لِخَلْقِ اللّهِ) .(۳)

۱- (۱) الأعراف، ۱۵۸.

۲- (۲) القلم، ۵۲.

۳- (۳) الروم، ۳۰.

۵. التّرغیب فی العلم وتفضیل العلماء: (هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ) .(۱)

۶. نظرته الشّامله والکامله لجمیع أبعاد عالم الوجود والحاجات البشریّه: (ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ) وقد وصفه الله تعالی بکونه (تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْءٍ) .

۷. اهتمامه بالبعد المعنویّ للحیاه الإنسانیّه الّتی قام بتفصیل خطوطها بشکل معقول ومعتدل.

۸. تأکیده علی المساواه بین جمیع النّاس، ومعارضته للتّمییز فیما بینهم عِرقیّاً ومادّیّاً وقومیّاً ولغویّاً.

۹. معارضته للخضوع والعبودیّه لغیر الله (وَ لا یَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ)۲ (وَ لَنْ یَجْعَلَ اللّهُ لِلْکافِرِینَ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ سَبِیلاً) .(۲)

۱۰. دعوته إلی العدل والإنصاف: (کُونُوا قَوّامِینَ بِالْقِسْطِ شُهَداءَ لِلّهِ) .(۳)

۱۱. محاربته الظّلم والفساد بکافّه أشکالِه وبواعثه: (وَ لا تُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها) .(۴)

فنظراً لهذه الممیّزات البارزه والعالمیّه للإسلام یتّضح بأنّ دائره شعاراته وبرامجه وأهدافه السّامیه تتّخذ بعداً عالمیّاً ولا تختصّ بقوم وشعب ومکان وزمان معیّن.

ویؤکّد القرآن الکریم فی مواطن أخری علی أنّ الدّین الوحید الّذی

۱- (۱) الزمر، ۹.

۲- (۳) النّساء، ۱۴۱.

۳- (۴) النّساء، ۱۳۵.

۴- (۵) الأعراف، ۵۶.

يتميّز بالشّمول والكمال والّذى يكون موضع ترحيب وقبول واسع هو الإسلام؛ كما فى الآيات التاليه:

١. (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّهِ الْإِسْلامُ) .(١)

٢. (وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِى الْآخِرَهِ مِنَ الْخاسِرِينَ) .(٢)

وقد جاء عن الإمام الصّادق عليه السلام فى تفسير الآيات الآنفه ما مضمونه:

«فوالله يا مفضّل ليرفع عن الملل والأديان الاختلاف، ويكون الدّين كلمه واحده، كما قال الله عزّ و جلّ: إنّ الدّين عند الله الإسلام».(٣)

٣. وتصرّح الآيه (٣٣ من سوره البقره) وبشكل حاسم بأنّ الإسلام هو دين الحقّ والهدايه وستدور دائرته على سائر الأديان. فهذه الآيه إضافه إلى دلالتها على حقّانيّه الإسلام تشير إلى عالميّته وحتميّه تحقّق الإراده الإلهيّه فى استيلائه وغلبته.

٤. ويأمر الله عزّ و جلّ نبيّ الإسلام بإبلاغ عالميّه دعوته ورسالته، فيقول:

(قُلْ يا أَيُّهَا النّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً) .(۴)

ويقول الإمام الحسن عليه السلام فى خصوص تفسير وشأن نزول هذه الآيه الكريمه ما مضمونه: جاء بعض اليهود إلى النبىّ صلى الله عليه و آله وقالوا: يا محمّد! هل تقول بأنّك مرسل من قِبل الله، ويجيئك الوحى كموسى؟ فسكت النبىّ صلى الله عليه و آله قليلاً ثمّ قال: نعم، أنا سيّد ولد آدم ولا فخر، إنّما أنا خاتم النّبيّين وأسوه المتّقين ورسول ربّ العالمين. فسألوا (إلى مَن؟ إلى العرب أم العجم أم إلينا؟)؛ و هنا أوحى الله لنبيّه هذه الآيه.

١- (١) آل عمران، ١٩.

٢- (٢) آل عمران، ٨٥.

٣- (٣) ر. ك: ناصر مكارم الشيرازىّ، حكومه الإسلام العالميّه.

۴- (۴) الأعراف، ١٥٨.

ویتّفق جمیع المفسّرین علی أنّ لفظ (جمیعاً) فی الآیه الکریمه تؤکّد علی عموم وشمول رساله نبیّ الإسلام جمیع النّاس.

۵. وتوجد آیات أخری تؤکّد علی عالمیّه الإسلام، من جملتها الآیه (۹۰ من سوره الأنعام) الّتی تقول: (قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاّ ذِکْری لِلْعالَمِینَ) .

۶. والآیه (۱۰۷ من سوره الأنبیاء) تبیّن وبصراحه هذه المسأله: (وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلاّ رَحْمَهً لِلْعالَمِینَ) .

۷. الآیه الأولی من سوره الفرقان والّتی تقول: (تَبارَکَ الَّذِی نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلی عَبْدِهِ لِیَکُونَ لِلْعالَمِینَ نَذِیراً) .

وتبیّن هذه الآیه أیضاً بأنّ الهدف النّهائی للقرآن هو إنذار کافّه أفراد البشریّه وتعلیمهم وهدایتهم فی کلّ زمان ومکان. وقد فسّر الشّیخ الطبرسیّ رحمه الله ذیل هذه الآیه الکریمه (لِلْعالَمِینَ) (جمیع المکلّفین من الإنس والجن).(۱)

۸. الآیه الأخری؛ الآیه (۲۸ من سوره سبأ) الّتی تقول: (وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلاّ کَافَّهً لِلنّاسِ بَشِیراً وَ نَذِیراً وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النّاسِ لا یَعْلَمُونَ) .

وینقل صاحب تفسیر (البرهان فی تفسیر ا لقرآن) حدیثاً فی ذیل هذه الآیه الکریمه یدلّ إضافه علی ثبوت عالمیّه رساله النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله علی عالمیّه الإمامه؛ یسأل فیه عبد الله بن بکر الإمام الصّادق علیه السلام: «جعلت فداک فهل یری الإمام ما بین المشرق والمغرب؟» فیقول الإمام الصّادق علیه السلام ضمن تأکیده علی عالمیّه إمامه أهل بیت العصمه علیهم السلام وشهاده کلّ إمام منهم علی الخلق ورؤیته جمیعهم وکونه حجّه وإمام علی البشریّه جمعاء، «والله یقول: (وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلاّ کَافَّهً لِلنّاسِ) ؛ یعنی «مَن علی الأرض و الحجّه من بعد

۱- (۱) الطبرسیّ، مجمع البیان، ج ۴، ص ۱۶۰.

النبیّ صلی الله علیه و آله هو یقوم مقام النبیّ وهو الدّلیل علی ما تشاجرت فیه الأمّه والأخذ بحقوق النّاس».(۱)

وإضافه إلی الآیات المتقدّمه توجد آیات متعدّده أخری تدّل علی عالمیّه الإسلام وتَحقّق الأمر الإلهیّ علی هذا الصّعید. وأکّدت کذلک أحادیث کثیره علی هذه المسأله، ونطالع منها علی سبیل المثال الأحادیث التّالیه:

۱. ینقل عبد الله بن عباس عن النّبی صلی الله علیه و آله أنّه قال: «أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شریک له وأنّی محمّداً عبده ورسوله، أرسلنی برسالته إلی جمیع خلقه، لیهلک مَن هلک عن بیّنه ویحیی مَن حییَ عن بیّنه، واصطفانی علی جمیع العالمین من الأوّلین والآخرین».(۲)

۲. و یقول الإمام الرضا علیه السلام فی وصفه معجزه القرآن وخلوده: «إنّ الله تبارک وتعالی... لم یجعله لزمانٍ دون زمان و لا لناسٍ دون ناس، فهو فی کلّ زمان جدید وعند کلّ قومٍ غضّ إلی یوم القیامه».(۳)

۳. إنّ عولمه الإسلام ستتحقّق من خلال الثّوره العالمیّه للإمام المهدیّ عجل الله تعالی فرجه الشریف. وأنّ هذا الوعد الإلهیّ حتمیّ لا یقبل التّخلّف والتّغییر. وقد أورد الشّیخ الطّبرسیّ فی ذیل الآیه الکریمه: (وَعَدَ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی الْأَرْضِ) أنّ النّبی صلی الله علیه و آله قال فی تفسیرها: «لا یبقی علی الأرض بیت مدر ولا وبر إلّا أدخله الله تعالی کلمه الإسلام».(۴)

«أجل؛ فانتشار الإسلام فی کافّه أرجاء العالم حقیقه حتمیّه ستتحقّق فی عصر ظهور الإمام المهدیّ عجل الله تعالی فرجه الشریف والّذی سیثمر رقیّاً فکریّاً ومعنویّاً

۱- (۱) البحرانیّ، البرهان فی تفسیر القرآن، ج ۳، ص ۳۵۲.

۲- (۲) المجلسیّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج ۱۶، ص ۳۷۴.

۳- (۳) المصدر نفسه، ج ۲، ص ۲۸۰.

۴- (۴) الطبرسیّ، مجمع البیان، ج ۴، ص ۱۵۲.

لجميع النّاس، وتفشّياً للسّلام والعداله واندثار الاستعمار والأنظمه اللادينيّه والاستغلال والفساد. وكما جاء فى الرّوايات والأدعيه: أنّ الإمام المهدىّ عجل الله تعالى فرجه الشريف سيقوم بطوى بشاط الجبّارين والكافرين والملحدين فى كافّه بقاع العالم. وستهبّ رياح المعنويّه والطهاره والعداله الخالصه والاطمئنان لتقتلع الظّلم والفساد إلى الأبد، ويتحقّق الدّعاء الوارد فى (دعاء العهد): «و أقصم به جبابره الكفر واقتل به الكفّار والمنافقين وجميع الملحدين، حيث كانوا من مشارق الأرض ومغاربها وبرّها وبحرها واملأ به الأرض عدلاً».

وسيستثمر ويستخدم الإمام المهدىّ عجل الله تعالى فرجه الشريف أبان ثورته العالميّه وسائل اتّصال وتقنيه معلومات متطوّره ومتقدّمه جدّاً، وقد لمّحت بعض أحاديث عصر الظّهور لهذه النّقطه، فجاء ما مضمونه: «عندما يقوم قائمنا يمدّ الله فى بصر وسمع شعيتنا فلا تكون بينهم وبينه واسطه. ففى أىّ مكان كانوا يسمعون خطابه ويرونه ويراهم».(۱)

وقد ورد حديث عن الإمام الصّادق عليه السلام ما مضمونه: «ويرى المؤمن فى زمن القائم وهو فى المشرق أخيه وهو فى المغرب وكذلك الّذى فى المغرب يرى أخيه الّذى فى المشرق».(۲)

فمن خلال الآفاق الّتى ترسمها أحاديث المعصومين عليهم السلام عن الحكومه العالميّه للإمام المهدىّ عجل الله تعالى فرجه الشريف يمكن الاستنتاج بأنّ عولمه الإسلام ووعد استخلاف المؤمنين الصّالحين على الأرض ووراثتهم لها وانتشار العدل وتجسّد الإسلام المحمّدىّ الأصيل بكافّه جوانبه؛ سيتحقّق فى زمن حكومه الإمام العالميّه وأنّ ذلك سيتمّ على يديه.

۱- (۱) الكافى، ج ۲، ص ۲۴۰.

۲- (۲) حكومه المهدىّ العالميّه، ص ۲۹۶، «باللّغه الفارسيّه».

ومن هنا؛ فإنّ هناك ارتباطاً كاملاً ووثيقاً فيما بين العولمه وتحقّق عالميّه الإسلام والثوره العالميّه للإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف. وستتهيّء جميع ظروف وأدوات ووسائل عولمه الدّين فی هذه المرحله الحسّاسه والّتی أشارت إليها النّصوص الدّينيّه بشكل صريح لا يقبل التّأويل:

۱. يقول الإمام الباقر عليه السلام فی تفسير الآيه الكريمه (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) : «إنّ ذلك يكون عند خروج المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف من آل محمّد صلى الله عليه و آله فلا يبقى أحد إلّا أقرّ بمحمّد».(۱)

۲. ونُقل عن ابن عباس فی تفسير الآيه الكريمه (هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِينِ الْحَقِّ...) ما مضمونه: «لا يأتی تأويل هذه الآيه حتی يدخل جميع اليهود والنصاری وأتباع جميع الأديان الإسلام. ويعمّ عند ذاك الأمن والسّلام حتی تأمن الشّاه والذئب والأسد والنّاس والأفاعی بعضهم بعضاً»، «... و ذلك يكون عند قيام القائم».(۲)

۳. ويورد علی بن إبراهيم حديثاً حول تفسير الآيه (۸ من سوره الصّف) (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ اللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ) يقول فيه: «قال بالقائم من آل محمّد عليهم السلام، حتی إذا خرج يظهره علی الدّين كلّه حتی لا يعبد غير الله».(۳)

وقد فصّل المفسّرون والمفكّرون الشّيعه آيات أخری تشير إلی غيبه وظهور الإمام المهديّ عجل الله تعالی فرجه الشريف: فالفيلسوف الشّهير مرتضی مطهّری ذكر مميّزات هذا الفكر المقدّس وهذه العقيده القرآنيّه تحت عنوان (مميّزات الانتظار الكبير):

۱- (۱) الطبرسیّ، مجمع البيان، ج ۳، ص ۲۵، و أيضاً ج ۵، ص ۱۲۷.

۲- (۲) الطبرسیّ، مجمع البيان، ج ۴، ص ۵۴۳.

۳- (۳) تفسير القمّیّ، ج ۲، ص ۳۶۵.

۱. التّفاؤل بمستقبل البشريّه؛ يعتقد البعض بأنّ الشّرّ والفساد والشّقاء من اللّوازم الحتميّه للحياه البشريّه، لذا؛ فإنّ أفضل ما يمكن القيام به هو إنهاء هذه الحياه الّتى لا قيمه لها.

۲. ويعتقد البعض الآخر بأنّ الحياه البشريّه بتراء من الأساس، فقد وصل الإنسان مرحله يحفر فيها قبره بنفسه إثر التّطوّر التّقنىّ المذهل وخزين أسلحه الدّمار المرعبه.

۳. وفى مقابل هاتين النّظريّتين؛ توجد نظريّه أخرى تعتقد: بأنّ الشّرّ والفساد ليسا من الأمور الطّبيعيه الملازمه للحياه البشريّه، وإنّما معلولاً ناشئاً عن الملكيه الفرديّه، فما دامت جذور الشّرّ والفساد حاضره فإنّهما كذلك. وأنّ الملكيه الفرديّه تنشأ فى الحقيقه من خلال تكامل وسائل الإنتاج. ولكن سيأتى اليوم الّذى يقوم التّكامل هذا باقتلاع تلك الجذور. إذن فالتّكامل الصّناعىّ هو الأساس والقاعده لبنيان السّعاده المرجوّه.

۴. النّظريّه الرّابعه تُرجع سبب الفساد والشّرّ إلى الفقر الرّوحىّ والمعنوىّ للإنسان، فمازال الإنسان يعيش إلى الآن مرحله الشّباب وعدم النّضج والّتى يطغى عليه فيها الغضب والشّهوه على التّعقّل.

فالإنسان يسير فطريّاً باتّجاه التّكامل الفكرىّ والأخلاقىّ والمعنوىّ. فليس الشّرف والكمال من اللوازم الطّبيعيّه للإنسان، ولا الحتم الحضارىّ يستلزم الانتحار الجماعىّ للبشريّه.

«وإنّما ذلك المستقبل الوضّاء والسّعيد والإنسانىّ هو الّذى يقتلع الشرّ والفساد من جذوره، فالنّظريّه هذه بشاره وعدَ بها الدّين»:

۱. الانتصار النّهائى للصّلاح والتّقوى والسّلام والعداله والحرّيّه والإخلاص على الظّلم والاستكبار والاستعباد والدّجل والتّضليل.

۲. الحكومه العالميّه الواحده.

۳. عمران الأرض جميعاً.

۴. البلوغ العقلی الکامل للبشریّه واتّباعها الفکر والأیدیولوجیّه والحرّیّه دون العبودیّه للظّروف الطّبیعیّه والاجتماعیّه والغرائز الحیوانیّه.

۵. الاستثمار الأمثل والأقصی لثروات الأرض.

۶. التقسیم المتکافئ للثّروات فیما بین النّاس.

۷. الانعدام الکامل للمفاسد الأخلاقیّه کالرّبا والزّنا والسّرقه والقتل والخیانه، ونقاء الأذهان من العُقد والأحقاد.

۸. انعدام أسباب الحرب، وبسط السّلام والمحبّه والتّعاون والإخلاص فیما بین الشّعوب.

۹. الانسجام التّام فیما بین الإنسان والطّبیعه.(۱)

تمایز العولمه الفعلیّه وعالمیّه حکومه المهدیّ

ولاکتشاف ماهیّه العلاقه فیما بین العولمه والشّمولیّه العالمیّه لحکومه الإمام المهدیّ عجل الله تعالی فرجه الشریف؛ ینبغی أوّلاً مطالعه أسّس وممیّزات وأهداف کلّ من العملیّتین، والنّظر فی ما تشترکان فیه وما تفترقان وتتمایزان عنه. وماهی غایه کلّ منهما؟ وهل أنّ إحداهما هی امتداد للأخری؟

فهل من الممکن أن تکون العولمه مقدّمه للثّوره العالمیّه للإمام المهدیّ عجل الله تعالی فرجه الشریف وحکومته العالمیّه الواحده؟. فالإجابه علی هذه الأسئله ستتمخّض تلقائیاً عندما نستطیع معرفه عملیّه العولمه الفعلیّه وعولمه الإمام المهدیّ عجل الله تعالی فرجه الشریف بشکل دقیق وموزون.

وقبل کلّ شیء ینبغی النّظر فی أنّ التّعولم هل هو عملیّه حقیقیّه أم أنّ الموجود هو مجرد نماذج له؟ وهل أنّ التّعولم هو العولمه ذاتها أم أنّهما

۱- (۱) مرتضی مطهّری، الثّوره الإسلامیّه للمهدیّ، ص ۶۰-۶۱.

عمليّتان مختلفتان ومنفصلتان عن بعضهما البعض؟ وما هى النّماذج السّائده للتّعولم؟ وأىّ من نظريّات التّعولم تتّفق وتنسجم مع عولمه المهدىّ عجل الله تعالى فرجه الشريف.

مميّزات عولمه الإمام المهدىّ عجل الله تعالى فرجه الشريف

يتّسم الإسلام بمميّزات وخصائص لا- يمكن مقايستها ومقارنتها مع أىّ من الأنظمه السّائده، فعولمه الإسلام فى الحقيقه تعنى عولمه تلك العناصر والمميّزات، فالإسلام باعتباره ديناً كاملاً ونظاماً شاملاً يرتكز على أسس العقلانيّه والعلميّه، المعنويّه، الكرامه الإنسانيّه والعداله و المساواه، الأمن والحقوق البشريّه الفطريّه. وطبقاً للوعد الإلهىّ فستكون للإسلام الغلبه والاستيلاء على جميع الثّقافات والأديان.

فعولمه الإسلام تعنى عولمه العلم والعقلانيّه والعداله والأمن ووعى ورقى الإنسان حيثما حلّ وأينما عاش.

وقد عرفنا ما ابتنيت عليه العولمه الغربيّه من أسس وأصول فكريّه وفلسفيّه مستمدّه من الحضاره الغربيّه والّتى يمكن الإشاره إليها بإيجاز:

١. العقلانيّه والعلم الوضعيّين.

٢. النّزعه الإنسانيّه.(١)

٣. الليبراليّه.

۴. العلمانيّه.

وتقف فى مقابلها العولمه الإسلاميّه والّتى تتّسم بما يلى:

١. الفطريّه.

٢. تثمين دور العقل والعلم.

١- (١) فلسفه تقول بقيمه الإنسان وقدرته على تحقيق الذّات عن طريق العقل ورفض أيّه قوّه خارقه للطّبيعه، «المعرّب عن قاموس المحيط».

۳. الاعتقاد بوجود علقه بين عالم الوجود ومبدئه.

۴. غائيّه نظام الخلق، والإنسان منه على وجه التّحديد.

۵. الأصاله القانونيّه (أصاله التّشريع وأصاله الدّين).

۶. استمرار نظام الهدايه والقياده الإلهيّه.

۷. أصاله الكرامه الإلهيّه للإنسان.

۸. أصاله الحاكميّه الإلهيّه لعالم الوجود.

۹. أصاله الحرّيه وحقّ العيش والاستفاده من مواهب الطّبيعه.

۱۰. أصاله العزّه والشّرف ونفى سلطه الآخرين.

۱۱. أصاله حقّ اختيار الاتّجاه وحق النّموّ والرّقى، الّذى يعدّ من مستلزمات أصاله التّكامل الفطرىّ.

فنموذج العولمه الإسلاميّه يتفاوت ويختلف عن نموذجها الغربىّ الّذى يرتكز على الليبراليّه القديمه منها والجديده:

۱. فصيغه العولمه الإسلاميّه ترتكز على القيم الإلهيّه والأخلاقيّه والمعايير الدّينيّه، ونوعيّه نظر الإنسان إلى العالم والإنسان.

۲. إنكار العولمه فى إطارها الإسلامىّ لأيّه سلطه واستعمار واستغلال ولاعداله ولامساواه وتمييز. فى حال أنّ الغربيّه تحاول السّيطره على العالم أجمع من خلال فرضها صيغتها وقيمها على باقى الثّقافات والمجتمعات. فالعولمه الإسلاميّه تعتمد الاتّجاهات الفكريّه الّتى تتلائم والعقلانيّه والمعايير والقيم الإنسانيّه والّتى تتّصف بالحرّيه وحقّ الاختيار.(۱)

۳. و العولمه الغربيّه بطبيعتها لا تتمكّن من تحسين الوضع الحياتىّ وإقرار الأمن والعداله والمساواه والسّلام، أمّا فى العولمه الإسلاميّه وثقافتها فإنّ هذه المسأله تعدّ من الأهداف الغائيّه للعالم والسّير التّكاملىّ للتّاريخ البشرىّ. وتقع

۱- (۱) الشّموليّه العالميّه للإسلام والعولمه، ص ۳۱۶.

فی طریق إزاله کافّه موانع النّموّ والکمال البشریّ وتحقّق القیم الإنسانیّه العلیا، وإقرار الأمن والعداله والسّلام والمساواه والمحبّه، وإنهاء کافّه مظاهر الفساد والکفر والشّرک والظّلم.

۴. إنّ الأساس البارز للعولمه الغربیّه هو فرض طراز وصیغه معیّنه من الحیاه ترتکز علی الفکر العلمانیّ. فهذا النموذج من العولمه یعنی فرض سلطه شامله للغرب، وذلک بالإکراه والإجبار والّتی سیکون الاستضعاف والإلحاد والفساد الإخلاقیّ واللاعداله والفقر والتمییز والاستغلال؛ ثمارها النّهائیّه. فی حال أنّ العولمه الإسلامیّه وعلی خلاف ذلک تعتمد العقل والعلم والقیم الإنسانیّه الرّاقیه؛ لتصون حقوق الإنسان وکرامته وتوفّر الحرّیّه والمساواه والعداله والسّلام لجمیع أبناء البشریّه.

فالحضاره الإسلامیّه توظّف العلم والتقنیه والصّناعه والاقتصاد لخدمه البشریّه، وتعمل علی محو وإزاله أسباب الاستعمار والاستغلال والظّلم والتّمییز.

وبتعبیر أحد علماء الإسلام الغربیّین: «إنّ الطّریق الوحید لإیجاد الهدوء والاطمئنان والاستقرار للإنسان لا یمرّ إلّا عبر الصّیغ الدّینیّه والأخلاقیّه والمعنویّه. وعالمنا الیوم ینبغی أن یتّجه فقط وفقط صوب الدّین وأسس المساواه والأخوّه بین جمیع النّاس».(۱) وأمّا معاییر وأسس الثّقافه الغربیّه الّتی لا تعترف بالمعاییر الدّینیّه والأخلاقیّه والقیم الإنسانیّه؛ فإنّها تعجز عن توفیر حاجات الشّعوب من العداله والسّلام والمعنویّه.

۱- (۱) مارسل بوازر، الإسلام فی العالم المعاصر، ص ۲۵۲، «التّرجمه الفارسیّه».

المصادر

اشاره

آلبرو، مارتی، العصر العالمیّ، ترجمه: نادر سالار زاده أمیری، النّاشر: آزاد اندیشان، طهران.

آلستون، بیتر و یینغر میلتون ولنغهاوزن، الدّین والآفاق الجدیده، ترجمه: غلام حسین توکّلی، النّاشر: مرکز مطالعات وتحقیقات إسلامی، قم ۱۳۷۶.

استوری، جان، العولمه والثّقافه العامّه، ترجمه: حسن یابنده، مجلّه ارغنون، ع ۲۴، طهران ۱۳۸۳.

استین، والتر، الدّین والرؤیه الجدیده، ترجمه: أحمد رضا جلیلی، انتشارات حکمت، طهران ۱۳۷۷.

بوازار، مارسل، الإسلام فی عالم الیوم، ترجمه: د. م. ی، دفتر نشر فرهنگ إسلامی، طهران ۱۳۶۱.

هنتیغتون، روزاموند... وآخرین، الثّقافه والمجتمع، ترجمه: فریبا عزبدفتری، نشر قطره، طهران ۱۳۸۰.

بویر، مارتین، کسوف الله، ترجمه: عبّاس کاشف وابو تراب سهراب، نشر فروزان، طهران ۱۳۸۰.

بول تیلیخ، مستقبل الأدیان، ترجمه: أحمد رضا جلیلی، النّاشر: مرکز مطالعات وتحقیقات أدیان ومذاهب، قم ۱۳۷۸.

سمر امین، هاری مجدف، جیفانی اریک، العولمه؛ بأیّ هدف؟ ترجمه: ناصر زرافشان، نشر آگه، طهران ۱۳۷۷.

بول، سوئیزی، العولمه؛ بأیّ هدف؟ ترجمه: ناصر زرافشان، نشر آگه، طهران ۱۳۸۰.

بایکین، ریتشارد، الدّین، هنا، حالیّاً، ترجمه: مجید محمّدی، نشر قطره، طهران ۱۳۷۷.

بهلوان، جنکیز، علم الثّقافه وأحادیث حول الثّقافه والحضاره، انتشارات أمیر کبیر، طهران.

ص:۲۹۱

تافلر، الوین، الموجه الثّالثه، ترجمه: شهیندخت خوارزمی، نشر آسمان، طهران ۱۳۷۰.

تامیلسون، العولمه والثّقافه، ترجمه: محسن حکیمی، نشر بژوهشهای فرهنگی، طهران ۱۳۸۰.

ترنر، برایان، فضل العولمه علی الدّین فی العصر العالمیّ، ترجمه: هاله لاجوردی، مجله ارغنون، ع ۲۴۵.

طهرانیان، مجید، العولمه؛ الأزمات واللا أمن، بإشراف أصغر افتخاری، بژوهشکده مطالعات راهبردی، طهران ۱۳۸۰.

جیمس، روزنا، عقد وتناقضات العولمه، مجلّه سیاست خارجی، طهران ۱۳۷۸.

جهانبکلو، رامین، الموجه الرّابعه، ترجمه: منصور کودرزی، نشر نی، طهران ۱۳۸۱.

حاجتی، میر أحمد رضا، عصر الإمام الخمینیّ، مؤسّسه بوستان کتاب، قم ۱۳۸۲.

حکیمی، محمّد رضا، شمس المغرب، دفتر نشر فرهنگ إسلامی، طهران ۱۳۸۱.

روبتسون، رونالد، العولمه، ترجمه: کمال بولادی، نشر ثالث، طهران ۱۳۸۰.

ریمون، اغناسیو، هل تتّجه العولمه نحو الفوضی، ترجمه: بریجهر شاهسوند، مؤسّسه انتشاراتی عطا، طهران.

رجائی، فرهنگ، ظاهره العولمه، ترجمه: عبد الحسین آذرنک، نشر آگه، طهران ۱۳۸۰.

ریفکن، جرمی و تید هوارد، العولمه؛ نحو الهاویه، ترجمه: محمّد بهزاد، نشر سروش، طهران ۱۳۷۴.

ساراب، مادن، ما بعد الأصولیّه ومابعد الحداثه، ترجمه: محمّد رضا طاجیک، نشر نی، طهران ۱۳۸۲.

شایکان، داریوش، تحت سماوات العالم، ترجمه: نازی عظیما، نشر فروزان، طهران ۱۳۷۶.

شجاعی زند، هذا المجتمع والعرفیّه، مقالات فی علم الاجتماع الدّینی، نشر مرکز، طهران ۱۳۸۰.

عاملی، سعید رضا، التّعامل التّماثلی للعولمه والدّین والمواطنه، نامه علو اجتماعی، ۱۳۸۰.

علمداری، کاظم، نقد حول نظریّه حوار الحضارات وصراع الحضارات، نشر توسعه، طهران ۱۳۸۱.

قطب، سید محمّد، المسلمون و مسأله العولمه، ترجمه: زاهد ویسی، انتشارات أمیر کبیر، طهران ۱۳۸۲.

قوام، سیّد عبد العلیّ، العولمه والعالم الثّالث (مسار العولمه ومکانه المجتمعات النّامیه فی النّظام الدّولیّ)، النّاشر: دفتر مطالعات سیاسی وزارت خارجه، ۱۳۸۲.

کاستلر، عمانوئیل، عصر المعلومات؛ المجتمع الشّبکیّ، ترجمه: أحمد علی قلیان وافشین خاکبار، ج ۱ و ۳، النّاشر: طرح نو، طهران ۱۳۸۰.

ص:۲۹۲

كاظمی، علی أصغر، عولمه الثّقافه والسّیاسه، نشر قدس، طهران ۱۳۷۹.

کندی، بول، فی استقبال القرن الواحد والعشرین، العالم حتّی عام ۲۰۲۵، ترجمه: عبّاس مخبر، طهران ۱۳۷۲.

کیت نش، عالِم الاجتماع السّیاسیّ المعاصر، ترجمه: محمّد تقی دلفروز، نشر کویر، طهران ۱۳۸۲.

کینغ، الکساندر وبراتراند، شنایدر، الثّوره العالمیّه الأولی، ترجمه: شهیندخت خوارزمی، النّاشر: احیاء کتاب، طهران ۱۳۷۴.

غریفن، دیفید ری، الله والدّین فی عالم ما بعد الحداثه، ترجمه: حمید رضا آیه اللّهی، النّاشر: آفتاب توسعه، طهران ۱۳۸۱.

غینز، انتونی، إفرازات العصرنه، ترجمه: محسن ثلاثی، النّاشر: نشر مرکز، طهران ۱۳۷۷.

غینز، هوبرماس، جیمس اف بونن و... آخرین، العصرنه والعصرانیّون، ترجمه: حسین علی نوذری، نشر نقش جهان، طهران ۱۳۷۸.

مالکوم، ووترز، العولمه، ترجمه: إسماعیل مرانی کیوی، سازمان مدیریت صنعتی، طهران.

مجموعه مقالات، العولمه والدّین؛ الفرص والإشکالات، النّاشر: دین بژوهان، قم ۱۳۸۲.

محمدی، مجید، الدّین ضدّ الإیمان، انتشارات کویر، طهران ۱۳۷۸.

مرقاتی، سیّد طه، الإسلام الشّمولیّ والعولمه، مجموعه مقالات مؤتمر الوحده الإسلامیّه السّادس عشر، مجمع تقریب مذاهب إسلامی، طهران ۱۳۸۲.

مطهّری، مرتضی، الإسلام ومقتضیات الزّمان، انتشارات قم ۱۳۶۸.

مکارم الشّیرازیّ، ناصر، حکومه المهدیّ العالمیّه، انتشارات هدف، قم.

نصر، سیّد حسن، الشّباب المسلم والعالم المتجدّد، طرح نو، طهران ۱۳۸۱.

نوذری، حسین علی، إعاده قراءه هوبرماس، نشر چشمه، طهران ۱۳۸۱.

هوبرماس، یورغن، العولمه ومستقبل الدّیمقراطیّه، ترجمه: کمال بولادی، نشر مرکز، طهران ۱۳۸۰.

هکسلی، الدّوس، عالم جدید مذهل، ترجمه: حشمت الله صباغی وحسین کامیار، انتشارات کارگاه هنر، طهران ۱۳۶۶.

هال، غیس و سام وب و مارشال و زیرغانوف، المراحل الأخیره للعولمه، ترجمه: أحمد جواهریان أحمد زاده، نشر بژوهنده، طهران ۱۳۸۱.

هنتغتون، صاموئيل، صراع الحضارات، ترجمه: مجتبى أميرى، مجلّه اطلاعات سياسى - اقتصادى، ع ۶۹-۷۰، ۱۳۷۲.

الموجه الثّالثه للدّيمقراطيّه، ترجمه: أحمد شهسا، الناشر، روزنه، طهران ۱۳۷۳.

هولد، ديفيد و انتونى ماك غرو، العولمه و معارضوها، ترجمه: عرفان ثابتى، نشر ققنوس، طهران ۱۳۸۲.

ص:۲۹۳

هاملتون، ملكوم، علم الاجتماع الدينىّ، ترجمه: محسن ثلاثى، الناشر: مؤسسه فرهنگى انتشاراتى تبيان، طهران ۱۳۷۰.

هودشتيان، عطا، العصرنه و عولمه إيران، الناشر: چاب بخش، طهران ۱۳۸۰.

هوور، ستيوارت ام و نات لاندباى، الإعلام، الدّين والثّقافه، ترجمه: مسعود آريايى نيا، تصحيح محمّد مظاهرى، النّاشر: سروش، طهران ۱۳۸۲.

هيك، جان، البعد الخامس (بحث فى مجال الرّوحانىّ)، ترجمه: بهزاد سالكى، نشر قصيدهسرا، طهران ۱۳۸۲.

المجلّات

۱. معلومات سياسيّه واقتصاديّه، ع ۱۴۷–۱۴۸.

فكر الحوزه، ع ۴۱–۴۲، بيتر ا. هاف: نزاع الأصوليّه فى الحوار بين الأديان، ترجمه على خزاعى فر.

بحوث دينيّه، دوره ۳، ع ۲، آبان ۱۳۸۲ و ع ۴ و ۵، اسفند ۱۳۸۲.

رواق الفكر، ش ۲۶.

فصليّه ارغون، ع ۲۴، صيف ۸۳.

فصليّه الحوار العالمىّ، الأديان التّوحيديّه فى عصر عولمه فالك.

فصليّه مطالعات وطنيّه، السّنه الثّانيه، ع ۵ و ۶.

قبسات، ع ۲۹، معهد بحوث الثّقافه والفكر الإسلامىّ.

مجلّه كتاب نقد، ع ۲۴ و ۲۵.

مجلّه السّياسه الخارجيّه، ع ۲، ۳، ۴ سنه ۸۱.

رساله العلوم الاجتماعيّه، ع ۱۸، شتاء ۸۰.

ملاحظه: جميع ما ذكر من المصادر هو باللّغه الفارسيّه.

ص:۲۹۴

الآیات

و لا يتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله،

و لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا،

و لو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم،

و لو شاء ربّك لجعل الناس أمّه واحدهً و لا يزالون مختلفين،

و ما أرسلناك إلا رحمهً للعالمين،

و من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه و هو فی الآخره من الخاسرين،

و من يرغب عن ملِّه إبراهيم إلّا من سفه نفسه،

قل هل يستوى الّذين يعلمون و الّذين لا يعلمون،

هو الّذى أرسل رسوله بالهدى و دين الحقّ...،

يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم و الله متمّ نوره و لو كره الكافرون،

يعلمون ظاهراً من الحياه الدّنيا و هم عن الآخره هم غافلون.

ص:۲۹۶

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فی الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فی العلوم الإسلامية وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فی العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهی منظمة فی برامج إلكترونية وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوی تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبیّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فی المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فی الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فی ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن یتحمل المؤلف مسؤولیة العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الکتب والملزمات والدوریات

إقامة المسابقات فی مطالعة الکتب

إقامة المعارض الالکترونیة: المعارض الثلاثیة الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمکنة الدینیة والسیاحیة

إنتاج الأفلام الکرتونیة والألعاب الکمبیوتریة

افتتاح موقع القائمیة الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافیة وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدینیة والأخلاقیة والاعتقادیة والردّ علیها

تصمیم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ویب کیوسک kiosk، الرسالة القصیرة ((sms

إقامة الدورات التعلیمیة الالکترونیة لعموم الناس

إقامة الدورات الالکترونیة لتدریب المعلمین

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبیقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ویمکن تحمیلها علی ۸ أنظمة؛

JAVA.۱

ANDROID.۲

EPUB.۳

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.۷

GHB.۸

إعداد ۴ الأسواق الإلکترونیة للکتاب علی موقع القائمیة ویمکن تحمیلها علی الأنظمة التالیة

ANDROID.۱

IOS.۲

WINDOWS PHONE.۳

WINDOWS.۴

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربیة والانجلیزیة والفارسیة

الکلمة الأخیرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.



مركز
القائمية
اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩